سلسلة الخباز (حلقة اولى)

فرنسا وسوريا

الجزء الاول

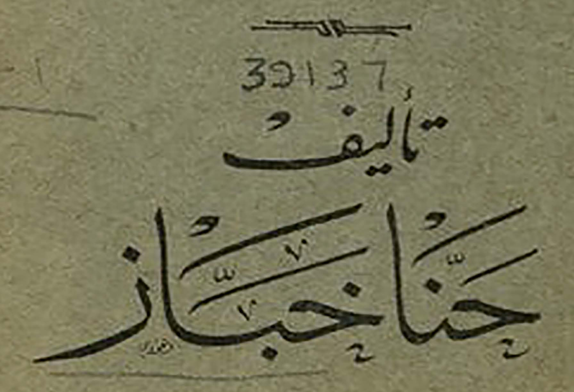
مبادىء السياسة الفرنسية فى الشرق



اذا ظهر السبب زال العجب

أو

لماذا حاربت سورية فرنسا



تأليف

حنا خباز

طبع بمطبعة علم الدين بشارع فم باب البحر بمصر سنة ١٩٢٨

سلسلة الخباز

﴿ الحلقة الاولى ﴾

اذا ظهر السبب زال العجب

أو

لماذا حاربت سورية فرنسا

الجزء الاول

اسباب عامة : سياسة فرنسا فى الشرق

حقائق تجليها النزاهة والاخلاص ويقدرها الذوق السليم

طبع : بمطبعة علم الدين بشارع فم باب البحر بمصر سنة ١٩٢٨

المثال الحكيم

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله .

قال عبدالله بن المقفع الفيلسوف العربى : —

« اذا أردت أن يقبل منك الرأى فلا تشعرنه بشيء من الهوى لانك ان جردته عن الهوى قبله منك العدو . وان انت اشعرته بشيء من الهوى رده عليك الوالد »

***

أما بعد فهذه سلسلة تآليف امامي أولها ، وامام الله آخرها . اتقدم لطبعها ونشرها ورائدي القول الحكيم المثبت أعلاه .

وعساني أوفق لتطبيق العمل على النظر ، فلا اشعر رأيي بشيء من الهوى ، وما توفيقي إلا بالله

مصر اكتوبر سنة ١٩٢٨ حنا خباز

تقدمة الكتاب

لفتاة سورية البريئة المظلومة

لك أيتها المظلومة ، المهضومة الحقوق ، المهتوكة الاستار ، المدوسة الكرامة ، اقدم كتابي هذا ، تخليداً لذكريات الظلم والنذالة واللؤم التي مازال ابن الانسان بانيها ، حتى في هذه العصور الراقية .

حكاية حالها

لاتظلمن اذا ما كنت مقتدراً   فالظلم آخره تأتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

تحت سماء سورية حدثت أفظع المظالم باشتراك الاكليرس والحكام مع المعتدين الانذال . فتلطخت أرض سورية باطهر الدماء . ولا تزال تشهد فظائع وفضائح تهتك فيها الاستار ، ويظلم الابرار ، ويفوز الفجار ، ومنها حكاية هذه الفتاة .

هي صبية حسناء ، في عنفوان الصبوة وشرخ الشباب عذراء تربت تربية حسنة . وهي في بيت أبيها آمنة طارق الحدثان

وفيما هي تتم واجباتها البيتية ، وتحلم بالمستقبل السعيد ، انقض عليها تسعة رجال مدججون بالسلاح فحملوها وساروا بها في اول الليل ، وصياحها يصم الآذان . وصعدوا بها ذروة شاهق ، في ليلة مظلمة باردة ماطرة . وكان أبوها غائبا عن البيت . ولم يجسر أحد

من أهالى القرية أن ينجدها ، ويقتفي أثر الجناة . فـكانت الفتاة تستغيث ولا مغيث . وفى الظلام ، والوحـدة ، تحت أمطار السماء الذارفة . وبايد لا تعرف الرحمة والحنان . شهروا عليها البنادق والمدى وعذبوها عذاباً أليماً . فطرحوها على الارض ، تحت أقدامهم . وليس لهذا القلم أن يصف ماحدث آنئذ . فللقارىء أن يستنتجه استنتاجا .

وبعد بضعة أيام انحدر بالفتاة غريمها . الي مدنية في شمالى سورية وهى منخفضة الرأس . ذليلة النفس . مسحوقة الروح . فى حالة لايقوى القلم على وصفها . بعد نزع عفافها . وتمزيق جيوبها . فالتزمت ان تعترف لدى الـكاهن أن ذالك الغاصب زوجها ـ وهي في حالة اليأس والقنوط ـ فقبض الـكاهن الاجرة . واتم لهما عقد القران . فاضحت والذى افترسها زوجين شرعيين . « والذى جمعه الله لا يفرقه انسان »

ليس مجال البحث هنا في هل الله هو الذي جمعها أو الشيطان ولـكن والدها عاد الي البيت . وعرف بأمرها . فجد في أثرها . واهتدى الى مقرها . بعـد أن سبق السيف العذل . وكان اجتماع الوالد الحنون بابنته المذللة اجتماعا يفتت الاكباد . فوقع على عنقها وبكيا . . . .

اجتمعت بوالد الفتاة . فقص علي نبأها . وكنت أود لو يسمح لي أدب الـكتابة بشرح تفاصيل الحادثة . ومما قاله لى : —

« لقد اعيتنى الحيل . ولم أتمـكن من أخذ حق ابنتي من غريمها . وأعظم عاثور فى طريقى هو الـكاهن الذى صلاها ـ وهو طبعاً غير

مسؤول ـ فكان الكاهن وراء الغاصب . والكنيسة وراء الكاهن والسلطة وراء الكنيسة . وربك ليس بغافل عما يعمل الظالمون »
الى هنا انتهي الامر

فرأيت أن أقدم كتابي هذا لتلك الفتاة ـ المظلومة المهملة ـ عطفاً على انسانيتها ، واحتجاجاً على الظلم والفجور والعار المؤلف من تسطي اللئام ، وتدخل الكنيسة ، واهمال الحكام . واقول مع ميرابو : ـ إذا كان في الدنيا رجل واحد فقط يحتج على الظلم فانا ذلك الواحد : —

حنا خباز



بيان و اعتذار

(١) البيان

حضرة صاحب الفخامة مسيو بونسو المفوض السامى الفرنسي بسورية المحترم

تحية الانسان الانسان ، وسلام الرجال على الرجال

لما زرتم فخامتكم مدينة طرابلس الشام سنة ١٩٢٦ ، وجاءتكم وفود حلب تحمل اليكم مطالبها الوطنية ، قلتم حينئذ ، بعد صمتكم الطويل في سورية : « انعجب أن سورية تحارب فرنسا » . هذه براعة استهلالكم في بلدنا المحبوب .

قلتم ذلك بالنظر الي نشوب الثورة في جبل الدروز والتظاء نيران الحرب بين الثوار وبين الجنود الفرنسية . وينطوى تحت تعجبكم عدة فروض يدركها العقل . وها انا مورد بعضها

الفرض الاول : أن السوريين قلائل ، لا يزيد عددهم على مليونى نفس . وفرنسا تعدأربعين مليوناً من النفوس ، عدا سكان مستعمراتها فكيف يحارب القليلون الكثيرين ؟ .

الفرض الثاني : السوريون ضعاف وفرنسا قوية . ليس للسوريين جيش منظم ، ولا قواد مدربون ، ولا أسلحة ، ولا ذخائر ، ولا شيء من معدات القتال . وفرنسا أعظم دولة حربية في الارض . ولها اضخم الجيوش ، وابرع القواد ، وامضى الاسلحة ، واوفر الذخائر

عدا الاساطيل والطيارات والغواصات والمدافع . فكيف يحارب السوريون الضعاف فرنسا القوية ؟ .

الفرض الثالث : السوريون فقراء وفرنسا غنية . ليس للسوريين موارد ثروة ، ولا صادرات ، ولا أموال احتياطية في البنوك . اما فرنسا فمعروفة بالثراء ووفرة الموارد ، وزيادة الصادر على الوارد . فكيف يحارب السوريون الفقراء فرنسا الغنية ؟ .

الفرض الرابع : عرف السوريون بالاستكانة والرضوخ للظلم ، بدليل سكونهم تحت يد الاتراك سنمائة سنة ، لم ينبثوا فيها ببنت شفة فما الذي حدا بهم الى تغيير أوضاعهم السلمية حتى قاموا يحاربون فرنسا ؟ .

بقي ياسيدي فرضان ، لا اقدر ان أقول انك قصدتهما أو قصدت أحدهما . على انني اوردهما استفاضة في البحث . وهما الفرض ٥ و ٦

الفرض الخامس : ان سورية عاشقة فرنسا ، ولدى الاستفتاء طلبت الاكثرية الساحقة في سورية حماية فرنسا ــ هكذا اذاعت المفوضية الفرنسية كما سيأتي ــ فما الذي قلب الصفحة فصارت صديقة فرنسا في الامس عدوتها اليوم ؟ .

الفرض السادس : ان فرنسا اجرت العدالة والانصاف في سورية وكانت صادقة بوعودها ، برّة بعهودها ، وهي أم السوريين الحنون ، فظللتهم بجناحيها ، وطوقتهم بذارعي المحبة والحنان ، وكان نجاحهم في عهد انتدابها مضرب الامثال . فسارت البلاد في مادياتها ومعنوياتها شوطاً بعيداً الى الامام . حتى التفتت اليها انظار نصف مليون من أبنائها في أقسام المهجر . فتركوا أشغالهم ومراكزهم وأسرعوا اليها

للاستظلال بظل عدالة فرنسا فيها . فكيف قامت سورية على « الام الحنون » تحاربها حرب الفارس المستبسل ؟ .

هل عنيتم ذلك يامولاى ؟ . انت والله أعلم . . .

أما الفرض الاول ، فأوافقكم فيه طبعاً . انا قوم قليل عديدنا وما زال يتناقص ، ولا سيما مذ حللتم ديارنا . أما أنتم فقوم كثر . فيحق لك أن تتعجب من اقدام عدد ضئيل على مقاتلة العددالوافر . ولا سيما انالمقاتلين ليسوا كلالسوريين بل هم جزء منهم ، بلحفنة قليلة من مجموعهم . ذلك أمر مستغرب جداً .

وأوافقكم كذلك في الفرض الثاني . وهو انا ضعفاء حربياً بل ارانا أكثر من ذلك ، قل موتى حربياً . نعم نحن موتى .

ليس لنا جيوش منظمة ، ولا قواد مدربة ولا أسلحة وذخائر ولا أساطيل ولا طيارات ولا غواصات . فلم يكن ينتظر منا ، والحالة هذه ، ان نحاربكم . وبالاكثر لم يكن يتوقع ان يثبت هؤلاء الضعاف امام قوات فرنسا سنتين .

وأوافقكم كذلك في الفرضين ٣ و ٤

فاننا فقراء ـ كامة ـ وفقرنا يزداد مذ أصدرتم الورقالسورى الذى يتقلب تقلب الحرباء ، بين صعود وهبوط : وهو في الحالين يستنزف القليل الباقي لنا من الثروة . ولولا فضل الله علينا ، ووجود نصف مليون سوري في المهجر يعدون ذويهم المتخلفين بالاموال ، لتعذر علينا دفع ما فرضتموه علينا من الضرائب .

ولا ننكر في انا امة مسالمة مستكينة . لم نشهر حرباً في وجوه الظالمين المئات من السنين من يونان ورومان وأتراك وغيرهم . وكان

قانع يدفع فاتحاً ، ويحل محله في بلدنا منذ العصور الخالية ، فقيامنا عليكم هو أمر غريب ، وأقل مايقال فيه انه من الخوارق .

أما الفرضان الخامس والسادس . اعني كون أكثرية السورية تعشقكم ، وان فرنسا مسند العدالة والانصاف في سورية ، وأنها الام الحنون ، فلا أريدأن أكذبكم فيهما اقتضاباً . فاتركهما لسياق البحث ـ لاتكذيباً ، بل تأييداً للحقيقة التي اليها تجوع النفوس ، مع التزام الادب الذي تفرضه على انسانيتي : ـ

والخلاصة ان محاربة السوريين الفرنسيين أمر مستغرب . والمستغرب أكثر انهم حاربوهم سنتين . والاكثر استغراباً انفرنسا لم تتمكن من قمع الثورة حتىاستعانت بانكلترا ، وتنازلت لها عن شقة حرام من الارض يزيد طولها علي ٣٠٠ كيلو متر ، تمتد من شرقي الاردن شمالا ، فاصلة بين الاراضي السورية الواقعة تحتالانتداب الفرنسي ، وبين الثوار الباقين فى الاراضي النجدية . فتحول دون الاتصال ، وتقف حاجزاً حصيناً في وجوه الثائرين . وفي ذلك منتهى العجب .

هذا ما أقوله فى أمر البيان

(٢) الاعتذار

أما الاعتذار ففيهاعترف لمن يقرأ كتابيهذا تحت كل سماء ، ان موضوع هذا التأليف يستلزم من المباحث والايضاحات أكثر كثيراً مما اتصل به قلمي . لانه إذا أريدت الاحاطة بالموضوع من

كل جهاته وجب البحث الوافي في ماهية الامة الفرنسية ، والامة السورية ، ومقدمات التصادم بينهما . وذلك يقضي بالرجوع الى العناصر التي منها تتألف الامة الفرنسية في القرون الخالية ، قبل عهد شارلمان وكلوفيس ، وقبل يوليوس ، منذ تدفقت سيول الهجرات الاسيوية على بلاد الغال ومرافقة جداول التاريخ الفرنسي في خلال القرون وكيف تنصرت فرنسا في عهد كلوفيس ، وارتقت في عهد شارلمان وتحررت في عهد جان دارك ، ونشأت فنونها وآدابها في عهد لويس الرابع عشر ، وقبل عهده . وهنا تحيط بنا المباحث الفنية والفلسفية والعلمية والتاريخية والاقتصادية والشرعية والسياسية والدينية والحربية ، كالبحار الزاخرة ، لايخوض عبابها الا أرباب الاقلام ، فيستخلصون من تلك المقدمات نتائجها ، ويجلون للحوادث أسبابها وعواملها ، في تكوين الكتلة الفرنسية ـ مهد الاحياء العلمي في فجر التاريخ الحديث ، في الفلسفة والادب والفن والحرية ـ تلك العوامل هي خالقة فرنسا الجميلة ، ومعلية في سوق المجد والعظمة عرشها فوق أمم التاريخ المتوسط والحديث. وتلك العوامل هي المكيف الاعظم لتطوراتها الاجتماعيه . وكل بحث في ماهية فرنسا خلا من ملاحظتها هو درس عقيم ، لايؤدي الي نتيجة حاسمة ، ولا يفيد فائدة بحسن سكوت المتكلم عليها

بل يجب ، علاوة علي ذلك ، خفض النظر الي تاريخ الاعصر الحديثة ، ودرس سياسة أوربا الدفاعية والاستعمارية ، منذ فتح القسطنطينية حتى الساعه . وذلك يأتى بنا الي التوازن الاوروبى ، والمسألة الشرقيه ، والمحالفات السرية ، والتقاليد القومية ، وتوفر

العوامل فى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، التي آلت الى انقسام أوربا بين التحالف والتآلف . ففي التحالف ايطاليا والنمسا والمانيا ، وفي التآلف روسيا وفرنسا وانكلترا ، وذلك بحملنا على درس الحرب الاوربية الكبرى سنة ١٩١٤ ـ ١٩١٨ درساً نقدياً تحليلياً لاستجلاء مقدماتها ونتائجها ، وتبيان كيفية اتحاد فرنسا وانكلترا في حل الامبراطورية العثمانية ، واتحاد العرب معهما ضد الاتراك . وما حدث فى الحرب ، وبعد الحرب ، من التطورات ، وكيف تجاوزت فرنسا حدود مملكة فيصل بالشام ، واجتياحها على أثر معركة ميسلون فى ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠

هذا بعض مايذكر في شأن فرنسا وعلاقاتها بالشرق

أما الامة السورية ، ماهي ، وما شأنها ، وعلاقاتها باوربا عموماً وفرنسا خصوصاً ، وبالتمدن والشرع والفلسفة والفن ، فهو بحث ابعد غوراً وأوسع مدى ، وأكثر شعاباً . ويحتاج الى تضلع من مواضيع لها علاقاتها العالمية . فيلزم كاتبها أن يرسل النظرة الى الاصول التي من مجموعها تكونت الكتلة السورية ـ اثنولوجيا ـ والحوادث التاريخية التي مرت عليها ، من سيكولوجية واجتماعية واقتصادية وفنية منذ عهد حمورابي ، وقبل عهد حمورابي . والكشف عن تواريخ الشعوب القديمة ، التي هى العناصر السورية الاصلية . كالحثية ، والارامية ، والفينيقية والعبرانية والعربية والاشورية والكلدانية والتدمرية والنبطية والكفتورية وغيرها

والبحث قاض بالفات النظر الى غزوات المصريين وحملات الاشوريين ، ومعارك الفراعنة والروتانو ، وغزوات الاشوريين

والفرس واليونان والرمان ، وخلفاء الاسكندر والعرب والدولة الاموية بالشام ، والعباسية ببغداد ، وفروعها في آسيا وأفريقية وأوربا ثم تدفق الحملات المنغولية والتركية ، والحروب الصليبية بين أوربا والاسلام ، وما تركت تلك الحروب من الآثار في نفوس الشرقيين وفي هيئة أوروبا الاجتماعيه

ويجب درس حملات نابليون ، ومصادمات انجلترا اياه بسورية ومصر ، واخراجه من البلدين بحد الحسام ، واخراج ابراهيم باشا المصري كذلك ، بعد ما كاد يقضي على الدولة العثمانية . ولا ندحة للمؤلف عن الاشارة ، ولو من طرف خفي ، الى مذابح سورية سنة ١٨٦٠ ، وارمينيا سنة ١٨٩٤ ، والقسطنطينية سنة ١٨٩٥ ، وكيليكيا سنة ١٩٠٩ . وحروب روسيا وتركيا بخصوص اليونان سنة ١٨٢٧ ورومانيا سنة ١٨٢٨ والقرم سنة ١٨٥٤ وبلغاريا سنة ١٨٧٧ و ١٨٧٨ وحروب الاتراك بطرابلس الغرب سنة ١٩١١ و ١٩١٢ ، والبلقان سنة ١٩١٢ و سنة ١٩١٣ . وما تركت هذه الحروب من المفاعيل في النفوس حسنة كانت تلك المفاعيل او سيئة .

بل يلزم النظر في أصل الديانة اليهودية ، وتأثيراتها في خلق الامة ، وتفرع المسيحية منها وفعلها في الهيئة السورية ، وفي منزلة السوريين العالميـة . ودخول النصرانية أوربا بأيدي دعاة سوريين هم أسس النصرانية ومعلمو المكونة . ونشوء المجامع اقليمية ومسكونية ونشوء البدع والارتقات في النصرانية ، بسبب امتزاجها بالفلسفة اليونانية والمذاهب المجوسية . كذلك ظهور الاسلامية منذ سنة ٦٣٢ ومصادمات أوربا والاسلام ، في القسطنطينيه والبندقيه وفينا وليبنتو

واسبانيا وغسقونيا . ومعركة تور الفاصلة بين أوربا والاسلام العربي ودخول النصرانية تحت لواء الاسلام في الشرق ، وتقهقر فروعها الشرقية ، وهجوع الفن ، وتقلص اظلال النصرانية امام الاسلام ، في غربي آسيا وشمالي أفريقية ، وفوزها في الميدان الاوربي . ثم كشف أمريكا وتأثيراته في أوربا والشرق والنصرانية عموماً . وذلك يقضي بدرس هجرة السوريين الى أمريكا وأوستراليا وأفريقية . وكيف كانوا حلقة اتصال بين المتخلفين وبين التجليات الاجتماعية الحديثة وكيف تسربت اليهم ، والى سورية بواسطتهم ، فكرة الحكم الذاتي والاستقلال.

بل يجب النظر في اللغات السامية ، عربية وعبرية وسريانية وفينيقيه وفروع هذه الاصول . ودرس آداب هذي اللغات وفنونها شعراً ونثراً . مع فن الرسم — الانساني — الذى اغفله الاسلام واخوات هذا الفن . ودرس الميثولوجيات الاشورية والكلدانية . وعلاقات سورية بوادي الفرات ووادى النيل . وصحراء العرب وبلاد فارس . وهندستان . وما اوجدت هذه العلاقات في نفس السوري من الآثار.

وانت ترى ان كتابي اصغر من ان يشتمل على كل هذه الابحاث ويوفيها حقها من البحث والنقد والتحري . مع ان لهذه الابحاث الصق العلاقات بموضوعي . وبدونها يجيء التأليف ابتر اعور اعرج غامضاً ضئيلا .

اعترف بذلك صراحة واتأسف شديد الاسف لانه لم يمكني

سد هذا الفراغ . فترى اني اقدمت على هـذا التأليف ليس بدون شعور بقصوري وعدم اهليتي ، بالنظر الى الاعتبارات المشار اليها .

* * *

من الذي يخاطب مسيو بونسو ؟ .

من هو الذي يخاطبكم ، يا الفخامة العميد ؟ . ويخاطب وراءكم أربعين مليونا فرنسيين ، وألفي مليون يعيشون اليوم تحت كل سماء ، وألوف الملايين الذين سيولدون ؟ من هو ؟ . وما شأنه ؟ . وما هي أهليته ؟ واستعداداته ؟ . وما هي فكرته الاجتماعية ؟ . وأمياله السياسية ؟ .

وما الذي حمله على هذا التأليف ؟ . افيمكن هذا القلم أن يحسن وصف من يحركه ؟ .

وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق
لان الاخلاص رائدي والنزاهة صبغتي

فأقول : —

يا الفخامة المفوض ، .

أنا رجل فقير ، من أسرة فقيرة ، في بلدة حقيرة ، في دويلة حقيرة ، . رأت عيناي النور بحمص ، في شمالي سورية سنة ١٨٧١ يوم كانت الجيوش الالمانية تطوق عروس العواصم ـ باريس الخالدة ـ

نشأت في أواخر حكم الاتراك ، واذكر ، وللذكريات في النفس آثار ، الحوادث المعاصرة ، أوربية وأسيوية ، دينية وسياسية . اذكر معارك بلافنا ، وعهدة برلين واحتلال تونس وضرب الاسكندرية وحرب اليونان واستقلال كريت ، وحرب الصين واليابان ، وحرب

الروس واليابان ، ودمار الاساطيل الروسية فى الشرق . وفتوحات انكلترا وفرنسا بافريقية . واذكر ثورة البكسرس بالصين ، والحملة المشتركة على باكين ، وحرب الترنسفال

واذكر الدوى الهائل الذى زعزع الدنيا سنة ١٩١٤ بانفجار مراجل الحرب الاوربية ، وميادينها الفرعية في آسيا وأفريقية وفى البحار البعيدة .

اذكر الذعر الشديد الذى الم ببلادى من جراء مظالم الاتراك في خلال سني الحرب . ومن علقوا على الأعواد من الصق الاحباب وأعز الاصحاب ، واذكر قدوم الحلفاء ، واتحاد العرب معهم ، بقيادة الامير فيصل - وهو اليوم ملك العراق - واحتلال مدائن سورية ، وما تلا ذلك من حوادث الصلح في فرنسا . ونظام الانتدابات ، وانسحاب أمريكا من دائرة الحلفاء ، ومؤتمرات سيفر وكان وجنيفا ونقابة الامم ، وحروب الترك واليونان ، وفوز مصطفى باشا كمال .

واذكر نطاحم الاتراك فى كيليكيا وشمالي سورية . واذكر سقوط الخلافة العثمانية . واستئثار مصطفى باشا كمال بالاناضول . وانتزاع انقرة الزعامة من عاصمة الاغريق الكبرى . وانسحاب الانكليز من تلك العاصمة بعد دمار ازمير . واذكر انقلاب الصين العظيم وسقوط الامبراطورية ونشوء الجمهورية ، والحرب الاهلية واذكر الانقلاب الروسي العظيم الذى هز الدنيا ، وسيادة البلشفية في بلد القياصرة ، ومصرع آل رومانوف ، وسقوط آل هبسبرج وآل هوهنزولرن ، والاسر المالكة فى اليونان والعجم ، ونشوء الفاشستي بايطاليا ، وفوز الوهابية في جزيرة العرب ، وسقوط الحسين ابن علي امام سعود عبد العزيز

أفول شمس الخلافة من سماء الاسلام

لهذه الامور أثرها في نفسي وحياتي وقلمي . الا ترى نخامتكم ان عصرنا غني جداً بالحوادث الكبرى والانقلابات الاجتماعية ؟ .
هذا ولم اذكر الاكتشافات الجغرافيـة والاختراعات الكهربائية والهوائية والجراحية الخارجة عن موضوع هذا الكتاب . وفعال اديسن ومركوني وكوري وكوخ وباستور وبوهر ومليكان وميشاثيلسن وانشتين ورصفائهم فى فرنسا والمانيا وانكلترا وايطاليا وأمريكا .

لهذه الامور مالها فى تكوين عطفي وميلي مع أوربا أو ضدها ـ كما لها من الرنين في اصقاع القطرين السوري والمصري ، وفى الدنيا قاطبة. وقد قرأت بعض الشيء عن تاريخ المعارف والفلسفة والتمدين والدور البديع الذى مثلته فرنسا فى تاريخ الاجتماع البشري ، واليقظة الاوربية الحديثة . وقرأت فكتور كوزينو ، وفكتور هيوغو ، وغستاف لوبون ، وادمون دي مولان ، واسكندر دوماس ، وفنلون وروسو وفولتير وديدرو وديكارت وكاسندى وبوسويه وفلامريون وفوربيه وكابيت وبوبوف وسان سيمون ولويس بلانك . كما قرأت من قبلهم ريشيليو وشارلمان وآل بوربون واكتشافات باستور وتاريخ نابليون الاول والثالث ، وظهور الجمهورية الفرنسية الاولى سنة ١٧٩٣ والثانية سنة ١٨٤٨ والثالثة سنة ١٨٧١ . ولكل هذه الاطلاعات آثار فى نفسي لا أقوى على التغلب عليها ـ حسنت أم ساءت ـ واجلائها عن دائرة حياتي ونفسيتي . فقد تؤثر هذه الآثار في أحكامى ولا أشعر . لكنني أعني أن اكون مخلصاً نزيها ، وقرائي ـ والتاريخ حكم في مبلغ نزاهتي واخلاصي . وسيحكم حكمه المبرم لي أو علي

بعد أن أغمض عيني عن نور هذا الجلد ، وزوال المؤثرات والمكيفات التي تساور حياتي ووجودي . ولم تبق الا الحقيقة عارية في متحف التاريخ كالقطع الفنية تعلن درجة صناعها في سلم الفن

واليك بعض مبادئي ، لاتمام التفاهم وازدياد التعارف .

١ : أول مبادئي واشهرها : انصافي الخصوم : وليس الشرف عندي كيدالخصم بل احتماله وانصافه . اتشبث بهذا المبدا ولو صلبت الف مرة ، على ألف خشبة ، في ألف جلجثة . فان الخصم يهبنا اثمن فرصة لممارسة اسنى مزية . فانصاف الخصم تسعة اعشار الشرف . أما التحامل عليه ، واتهامه بما ليس فيه ، ثم تفنيدما نسب اليه زوراً وبهتاناً ، فهو من أدل الظاهرات على صغارة الكاتب ، وركاكة حجته ، وقلة بضاعته ، وعدم أهليته . وما كنت لارضى لنفسي ذلك ، ولو ملكت العالم وما فيه . لقد أمسكت القلم منذ أربعين سنة ، وكتبت عشرات الالوف من الصفحات ، يمكنك أن تجد فيها كل أنواع الخطأ الا التحامل على الخصوم والمطاعن الشخصية . فليس ذلك ، في شرعي ، من أوضاع الرجال . ولا أثر له في كتاباتي .

٢ : وثاني مبادئي : تقديس الانظلام : وعندي ان الويل للظالمين أما المظلوم فاني أغبطه ، واشفق قلبياً على ظالميه . وأرى أن اعظم بركات حياتي هي أن أكون مظلوماً لاظالماً واثقل لعنة تسكبها السماء على الناس هي أن يكونوا ظالمين . أما الظالمون فهم ظالمو أنفسهم أولا ، وليس لهم عاذر أو مدافع . وقد أوضح ذلك افلاطون في جمهوريته ، ايضاحاً وافياً . وابان سوأة الظلم ومصارع الظالمين .

٣ : ثالث مبادئي : استقلال الحق عن القوة : رسمياً وسرمدياً .

وقد لا يرد تطبيق هذه النظرية في التاريخ ، فيشك صغار الاحلام في صحة القاعدة اما في نفسي فانها من البداهة والاولیات ، لا ينزعها من قرارتها انسان ولا شيطان ولا ملاك ولا اله . فهما يتبجح المتفذون ، ومهما يسجلوا من مدعيات برهم ، ومهما تنطلق الالسن والاقلام في مدحهم وتقريظهم ، فلا أرى الحقيقة تتلاشي وراء سحب المداجات والرياء . بل أراها تتألق في جو صاف خال من شوائب الخطل والخطأ . وتمزق أنوارها سحب البطلان وغياهب البهتان . فالحق حق في ذاته . والبطل بطل نفع أو اضر . والمتسلح بالبطل صغير وان يكبر ، والمعتصم بالحق كبير مهما يصغر

فصغير أهل الحق طود شامخ   وكبير أهل البطل عقدة اصبع

هذا هو السر في هدوء روحي في التأليف ، وارتياحي الى البحث والتنقيب فالحقيقة في يقيني أصلح للبقاء . فمهما يتحامل الخصوم ، ومهما تتشعب مسالك البحث ، ومهما تحجب عيا الحقيقة ، فلا أزال انظر فيها نظراً حسابياً ، غير متأثر باحكام العاصف تأثراً يحرجني فيخرجني عن العدالة الى النزق فاسخر عقلي وقلمي للانفعال . اللهم الا ما تسرب الى نفسي على سبيل الوراثة ، وكمن في قرارها وراء حدود شعوري . ولا طوق للانسان ، مادام انساناً ، على التحرر من كل نقص وخطأ . وحسب الفاضل أن يكون نزيهاً مبدئياً ، فلا يدينه ضميره على حركة غير قويمة في نفسه . والعصمة والكمال لله وحده

٤ : ومن خصائصي حبي أوربا عموماً وفرنسا خصوصاً .

فاذا كان ذلك الحب عيباً فانا معاب بالخامة العميد . واذا كان ذلك الحب فخراً فلا فخر لي ، كما لا فخر لي في تيقن البداهة . أعني

اني في حبي غير مختار ، ولا افضل حبث لا اختيار . فقد حل ذلك الحب نفسي ووجودي بدون اختياري ولا سعيي . احببت عن عقيدة ، وما كان لبشر أن يغير أحكام العقائد في نفسه . فانا عاشق فرنسا ، وان كان عاشقها مهاناً . ولا ينزع حب فرنسا من قلبي الا فرنسا . وذلك باثباتها لي اني مخطيء في عقيدتي . فالعقيدة عندي متصرفة في الحب وحاكمة عليه . فاذا أقنعتني فرنسا اني مغرور بها فاني آخر من ينزع حبها من فؤادي . على أن فلسفتي تحملني على التسامح مع الاحباب ولو أساءوا ، احتفاظاً بفضائلهم ودواعي أهليتهم

٥ : اني احتقر الانتقام ، واكره سيف النقمة . واذكر جيداً اني كنت حراً من هذه العاطفة كل الحياة حتى محو الذين سموا في حياتي وفي ماهو أعز عندي من حياتي . فلم اسع في خصم ولا نصبت شركاً لمقاوم ظلوم . فاهنيء خصومي بصفحي واهنيء نفسي بعدتها . وعندي أن توخي النفع أرقى كثيراً من تعمد الانتقام ، وارقى من هذا وذاك الغيرية . ذلك المبدأ المقدس الذي يحمل المرء على ايثاره غيره على نفسه ، هذا هو الآلة الرافعة التي تجلس الانسان على عرش الالهة . هذا هو النور السموي الذي يبدد الظلمات عن هذا العالم ويقوده في سبيل الابرار .

فما اجمل اليوم الذي يحل فيه الايثار محل الاثرة ياسيدي بونسو ؟ . فتصير الارض كالسماء والناس كالملائكة .

٦ : بني يامولاي ، ان من مبادئي اني لا أحرك قلمي لجر مغنم ولا لدفع مغرم الا ما كان لخير بني الانسانية . ولا سيما اذا كانوا مظلومين مهضومي الحقوق ، مهتوكي الاستار ، كالتي قدمت كتابي لها ،

ووا شديد عطفي عليها . فقد ظلمت ولم تنصفوها .

انى حر العاطفة من طلاب المناصب ، والسعي وراء الوظيفة أو الرفعة ، سواء كان ذلك عندكم أو عند غيركم من الدوائر الحاكمة فاني في نحو الستين من العمر ، وقد صارت المطامع والاغراض ورائي ، وقد بلغ اصغر أولادي الثانية والعشرين . وكلهم تقريباً خارج منطقة الانتداب . وهم في مناصب ورواتب يرضونها . فلست مثالاً على نصيب أو وظيفة خسرتها في حكمكم . وليس فيّ ولا في أولادي شعور مر يحملنا على القيام ضد فرنسا . وأزيد على ذلك اني من أنصار الانتداب . وقد أيدته شفاهاً وكتابة ونشرت كتابتي بهذا الشأن في جرائد أمركا وهي الهدى والسائح والشعب وأبو الهول . وفي مجلتي جادة الرشاد بحمص واذا كان قد ساءبني وطني مني خليقة فان هي الا تحيزي لفرنسا . ولما شبت الثورة كنت أنا وأولادي في البلاد ، ولم أشترك فيها سرا ولا علناً . ولم يعمني غرض عن خطيئات الثورة والثوار . وكنت شديد الوطأة عليهم ، وها أنا أكتب غير مدفوع منهم ، ولا مستند اليهم ، ولا علاقة لي بهم إلا علاقة الحب الواجبة علي نحو جميع الناس . فلست مأجوراً ، ولا انتفاعياً ، وقد قضيت الحياة خادماً العلم والادب في بلدي ، غير مأجور ولا منتفع ، بل معتصماً بالحقيقة ومن غواتها .

على هذا الاساس أتقدم للكلام في رد سؤالكم

لماذا حاربت سورية فرنسا ؟ .

رامياً في ذلك الى تجلية الحقيقة ، لك ولبني قومك الفرنسيين

ولكل من يقرأ كتابي هذا . وقد قسمته الي أربعة أقسام ستصدر بأربعة مجلدات .

الاول : أسباب الثورة العامة. أي ما نشأ عن سياسة فرنسا في الشرق

الثاني : أسباب ثانية . نشأت عن تصرفات موظفيكم الفنيين. والاداريين في سورية .

الثالث : الاجراءات والعيوب العسكرية ، سابقة ولاحقة .

الرابع : اختباري الخاص ، في ما جري لي شخصياً مع الفرنسيين مما يصح اتخاذه نموذجاً يقاس به تصرف فرنسا مع احبابها

الجزء الاول

أسباب عامة حملت السوريين على محاربة فرنسا . وهي ناشئة عن أسلوب السياسة الفرنسية في الشرق ، والاحوال المقارنة انتدابها في سورية

توزع هذه الاسباب ، والعوامل الباعثة على نشوب الحرب بين السوريين والفرنسيين في فروع عديدة ، يرجع بعضها الى استعداد الاكثرية الساحقة في سورية ، روحياً واجتماعياً . ويرجع بعضها الي خيبة الامل بفرنسا ، والاضرار الكثيرة التي أحلتها بالبلاد السورية وساكنيها فاضطرت لامتشاق الحسام ، مع اختلال التوازن بين الجانبين المتحاربين ، اذ كانت القوة الى جانب فرنسا ، والضعف الى جانب سورية

واليك الاسباب متوالية مع شرحها وايضاحها

السبب الاول

دخول فرنسا سورية منتدبة بدون رضا السوريين

سيدي مسيو بونسو

تقول لماذا حاربكم السوريون ؟ فالجواب هو لانهم لا يريدونكم منتدبين لبلادهم . وقد دخلتم سورية بالسيف لا بالحب ، فليس لكم عندهم الا السيف . ليس هذا شوقي ولكنه الواقع اردناه ام لم نرده ، اقرره بقلمي وقلبي حر منه كل الحرية .

* * *

أصدرت المفوضية الفرنسية بلاغاً سنة ١٩١٩ ، تقول فيه : « جرى الاستفتاء في سورية فكانت الاكثرية تطلب الانتداب الفرنسي » :

فيالها من خطيئة ، ويا له من ظلم احلته المفوضية الفرنسية بنفسها وبقومها . اصحيح ان اكثرية السوريين طلبت انتداب فرنسا ؟ . وكم هي تلك الاكثرية ؟ . واذا كانت الاكثرية تطلبكم فلماذا حاربتموها ؟ . ان الذي يحبك ، وانت تحبه ، يدعوك الى بيته فتدخله بالحب والسلام . ولا تسوق أمامك جيشاً لجباً ، مجهزاً بالمتفجرات والدبابات والطيارات وغيرها من معدات القتال .

ان الاستفتاء الذي اشار اليه البلاغ الفرنسي لم يجر في ظلام الليل ، ولا في زاوية خالية . بل جرى في ضوء النهار ، اياماً متوالية في كل انحاء سورية ولبنان وفلسطين : وقامت به لجنة مؤلفة من اناس اجانب عن سورية واوربا . اناس لا ناقة لهم فيها ولا جمل . لجنة امريكية كاتبها هنري س . كنغ ورئيسها شارلس د . كراين

موفدين من طرف رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، الدكتور وود رو ولصن .

ليس هذان الرجلان من عامة الناس ، فيسيران في عملهما فوضى . بل هما من الذين الفوا الاعمال الرسميه ، والتقارير المدققة وقد كان رئيس اللجنة شارلس كراين سفيراً الولايات المتحدة الامريكية بالصين وقد دونت اللجنة في دفاترها تقريرات مضبوطة جمعت فيها كل شاردة وواردة ، من متعلقات الاستفتاء .

واليك بعض ما اثبتوه في تقريرهم . عن جريدة التيمس النيويركية ، وهي من اشهر صحف امريكا واوفرها رصانة واستقامة . وقد قدمت لهذا التقرير مقدمة بليغة من قلم المستر وليم ت . آلس من كبار كتاب امريكا الذين يعنون بشؤون الشرق جاء في تلك المقدمة : —

ان السر في امتناع وزارة خارجية امريكا عن نشر هـذا التقرير هو ما اشتمل عليه . ولو نشر في حينه لغير مجرى الحوادث في تركيا . . . . . وهاك ملخص التقرير : —

« يعرض الاعضاء الامريكيون في اللجنة الدولية المعينة لدرس الوصايات في تركيا تقريرهم الاخير عن القسم السوري من مهمتهم وقد صدرت اللجنة غرضها ببيان كانت تعطيه للصحف اينما حلت يوضح مهمتها ويحددها كما عينها الرئيس ولسن وهي — ان الشعب الامريكي ليس له مطامع سياسية باوربا او الشرق الادنى . بل يؤثر على قدر الامكان تجنب كل علاقة بالمشاكل الاوربية والاسيوية والافريقية . ويرغب في ان يسود السلام الدائم وانه بهذه الروح

يدنو من مشاكل الشرق الادنى —

لقد عين مجلس الاربعة . ارلندو عن ايطاليا . وكليمانصو عن فرنسا . واللويد جورج عن انكلترا . والرئيس واصن عن اميركا لجنة دولية لدرس الحالة في المملكة التركية لعلاقتها بالوصايات . فغاية القسم الامريكي الموجود الان هي الوقوف جهد المستطاع على احوال السكان والسلطات وعلاقاتهم . ليكون الرئيس ولصن والشعب الامريكي على بينة من الحقائق في كل سياسة يدعى الى السير عليها . فيما يتعلق بمشاكل الشرق الادنى . سواء كان ذلك في مؤتمر الصلح او في جمعية الامم

زارت اللجنة ٣٦ مدينه من اهم مدائن سوريه . المنتشرة في المناطق العسكرية الثلاث · الظاهرة في الجداول كلا على حدة · وهي الانكليزية والعربية والفرنسية ووقفت على احوال الجهات الاخرى من الوفود واللجان التي قابلتها · ولا تشمل اللائحة اسماء القرى المجاورة التي زارتها لانها كانت ممثلة بذوا بها الذين زاروا اللجنة · وتضم السجلات اسماء ١٥٢٠ قرية من هذا النوع

بلغ مجموع سكان سورية	٣٢٤٥٥٠٠	نفس
منهم مسلمون	٢٣٥٥٠٠٠	«
ومسيحيون	٠٥٧٥٥٠٠	«
ودروز	٠١٤٠٠٠٠	«
ويهود	٠١١٠٠٠٠	«
طوائف أخرى	٠٠٥٥٠٠٠	«

تلقت اللجنة ١٨٦٣ عريضة · مدة وجودها في سوريه

محتويات هذه العرائض ما يأتي . كان في ١٣٦٤ من هذه العرائض اتفاق تام — بالحرف الواحد — فالعرائض التي طلبت وصاية انكلترا بالدرجة الثانية هي ١٠٧٣ ومجموع العرائض التي طلبت الانتداب الفرنسي بالدرجة الاولى ٢٧٤ والتي طلبتها بالدرجة الثانية هي ثلاث . والعرائض التي طلبت الانتداب الامريكي بالدرجة الاولى ١١٢٩ أو هي ٦٠ في المائة من العرائض تطلب انتداب امريكا . في هذه العرائض كانت الشكاوى العامة على الفرنسيين كبيرة جداً . وبلغ عددها ١١٢٩

قضت اللجنة في القدس أسبوعاً . . . وطافت شمالي فلسطين بسرعة ووصلت بيروت بعد ان جابت فلسطين ، والنصف الجنوبي من منطقة الاحتلال الغربية . فقضت يومين في مقابلة اللجان ، فكانت تزور الاماكن من صور الي البترون بالسيارة وزارت طرابلس واللاذقية والاسكندرونة . وقابلت الوفود ، وسمعت أقوالهم ، في كل جهات المنطقة الغربية .

أما في لبنان الاصلي الصغير فالاكثرية مخلصة لفرنسا معارضة للانكليز . وأما في المناطق الاخرى التي يراد ضمها الى لبنان الكبير مثل صور وصيدا وطرابلس ، فان فيها أكثرية تعترض على الحكم الفرنسي وتقاومه ، ويدخل في هذه الاكثرية جميع المسلمين السنيين وأكثر الشيعيين ، وقسم من الارثذكس ، وطائفة البروتستانت . فأكثر هؤلاء يريدون أمريكا أولا وانكلترا بالدرجه الثانية . والاكثرية في باقي المنطقة الغربيه الى شمالي لبنان الكبير المراد انشاؤه هي ضد الوصاية الفرنسية في كل الاحوال

واقامت اللجنة في دمشق تسعة أيام ، قضت ستة منها فى مقابلة الوفود الدينية والسياسية ، والهيئات الرسمية ، وأصحاب المراكز السامية من كل الطبقات . ومكثت هنا أكثر من كل مكان آخر .
وعقد المؤتمر السوري في اثناء وجود اللجنة في دمشق ، وعلقت فى الشوارع ألواح كتب عليها « نريد الاستقلال التام » . وكانت خلاصة مطالب المسلمين الاستقلال الناجز ، بلا وصاية ولا حماية . ولكنهم لما كانوا يشعرون بحاجتهم الي الارشاد الاقتصادى والمالى فيطلبون مايلزم من المستشارين – بعد الاعتراف باستقلالهم – من آمريكا .
وكان المسيحيون ، وهم فئة قليلة فى خوف عظيم . يطلبون تعيين دولة قوية على سورية ليحصلوا على الحماية التامة . وهم يفضلون ان تكون بريطانيا العظمى تلك الدولة . وقضت اللجنة يوماً واحداً فى بعلبك . وبعد أن مكثت عشرة أيام في المنطقة الغربية عادت ثانية الى المنطقة الشرقية في الطريق الممتدة من حمص الي طرابلس . وقصدت الى حلب ، بعد أن اصغت لاقوال الوفود بحمص وحماه . ومكثت ثلاثة أيام في حلب . فطلب القوم في هذه المنطقة « سورية المتحدة » بالاجماع تقريباً . وطلبوا لها الاستقلال الناجز ، ورفضوا كل مساعدة فرنسية . واتفق المسلمون كلهم على طلب المساعدة من أمريكا . وكان الكاثوليك كلهم واللاتين يطلبون الوصاية البريطانية او وصاية أمريكا ، اذا كان الانكليز لايستطيعون المجيء لسبب ما .
وكان الارثذكس السوريون كلهم فى جانب أمريكا . هنا يرد فى التقرير منشور المؤتمر السورى وفيه يطلبون انتداب أمريكا ، والا فانكلترا . ويرفضون انتداب فرنسا بهذا النص : —

« ٦ — لا نعترف بأي حق تدعيه الحكومة الفرنسية في أي شطر من بلادنا السورية مهما يكن . ونرفض مساعدتها ، أو ان يكون لها يد في بلادنا في اي حال وفي اي مكان » . ويقول مستر كراين « ان من الصعوبات في طريق الوحدة السورية هي كره العرب العظيم في الشرق للسيطرة الفرنسية » . وقال « ان ماوصلنا اليه في درسنا لايدع مجالا للشك في رغبة أكثرية الشعب السوري . فانه بالرغم من كون قبول أمريكا الوصاية أمراً مجهولا كل الجهل فقد كانت أمريكا الدولة التي اختارها السوريون في الدرجة الاولى . وكانت نسبة العرائض التي تطلبها ٦٠ في المائة في المجموع كله . ولم تنل دولة أخري أكثر من ١٥ في المائة من المجموع . (في الدرجة الاولى) . ثم يقول : « ان الجداول تبين ان هنالك ١٠٧٣ عريضة في سورية تطلب وصاية بريطانيا العظمي ، اذا لم تأخذ امريكا الوصاية وهذا يزيد كثيراً على العرائض التي تطالب فرنسا . بل أن ستين في المائة من العرائض تحتج بشدة على وصاية فرنسا مباشرة . وتتحاشى اللجنة البحث في أسباب هذه الحالة ، مضطرة الي الاعتقاد بان الموقف تستحيل معه الاشارة بأن تكون سورية كلها تحت وصاية فرنسية . ان شعور العرب في الجهة الشرقية شديد ضد فرنسا . وهنالك سبب خطير يدعو الى الاعتقاد بان السعي لاكراه القوم على قبول الوصاية الفرنسية يؤدي الى حرب بين العرب والفرنسيين . ولعل اللجنة يسمح لها أن تقول ان هـذا الاستنتاج يخالف ماكانت ترجوه في البدء فقد كانت تأمل بالنظر الى علاقات فرنسا القديمة والودية مع سورية والى تضحياتها الفائقة في الحرب ، ان تتمكن من الاشارة على المؤتمر

بوضع سورية كلها تحت وصاية فرنسا . ولكن كلما طال مقام اللجنة في سورية تأكدت ان هذا الامر لا تمكن الاشارة اليه ، ولا العمل به » .
وختمت اللجنة تقريرها بهذه الجملة : « اذا كانت فرنسا تتشبث بمصالحها في سورية تشبثاً لا تبالي معه بالعلاقات الودية بين الحلفاء . فانه من الممكن أن تعطى وصاية على لبنان غير مكبر بالانفراد عن سورية ، كما ترغب جماعات كبيرة في هذه المنطقة ولا تستطيع اللجنة ان تشير بهذا الامر على المؤتمر ، ولكنه ترتيب ممكن » .

(هنري س كنغ) (شارلس د . كراين)

فليحكم القاري في درجة صراحة ووضوح هذا التقرير ونزاهته .
ان بلاغ المفوضية الفرنسية « ان أكثرية السوريين طلبت انتداب فرنسا » علاوة كونه مخالفاً للواقع ، هو أيضاً مجحف بكرامة فرنسا لانه يلقي عليها أعظم ملام في نشوب الثورة . ولا يدع لها عذراً مقبولا لدى التاريخ . فقد يقال : ـ اذا كانت أكثرية السوريين ترغب في انتداب فرنسا فلماذا حاربتها ؟ . اليس لانها ظلمتهم ظلماً فاحشاً فانقلبوا اعداء ، بعد ما كانوا اصدقاء ؟ . ومن السهل قبول هذا الاعتراض ، فتكون فرنسا قد قطعت على نفسها خط الرجعة ، وحصرت نفسها في دائرة يعسر عليها الخروج منها
ولكن أيوجد سوري واحد يظن ان بلاغ المفوضية الفرنسية صادق ؟ . وان تقرير لجنة كراين الامريكية كاذب ؟ . وان الاكثرية السورية تطلب انتداب فرنسا ؟ . ان حقيقة الحال على ما أعلمه ، ويعلمه كل من له اطلاع على نفسية السوريين هو أن الاكثرية السورية ضد الانتداب الفرنسي . فتقرير كراين هو الصحيح ، لانه مطابق

الواقع . وانا كسوري كنت من الحزب الذي اراد انتداب فرنسا لكنني لا أجهل ان الاكثرية الساحقة - خارج لبنان الصغير - كانت ضدنا . وكان كل محيطي ضدي ، حتي أقاربي . فكنت يتيما في طلبي انتداب فرنسا . ورفاقي في طلبي اقلية مطلقة ، يكادون ينحصرون بلبنان الصغير ، وفي بعض كاثوليك سورية ، وأفراد قلائل نظيري . واعلم علم اليقين ان الاكثرية السورية لم تكن ضد الانتداب الفرنسي فقط بل ضد فرنسا أيضاً ، تكرهها وتقاومها . وقد هبت لمقاومتها وتزييفها قبلما رأت منها خيراً أو شراً . وأرى ان اثبات هذه الحقيقة هو في مصلحة فرنسا . افلا يجد مسيو بونسو في ذلك رفقا بفرنسا امام التاريخ اكثر مما في ذلك البلاغ الرسمي ؟ . واية فائدة في الادعاء ان الاكثرية السورية تطلب انتداب فرنسا ؟ . وكيف ومتى كانت الاكثرية تطلب ذلك الطلب ؟ .

ان المفوضية الفرنسية بسورية خسرت ذلك الرفق والانصاف وجنت على نفسها وعلى قومها ، واضاعت عذراً كبيراً بادعائها ذلك الادعاء الفارغ . ولم تستفد منه الا تسجيل العار على اسمها مرتين الاولى في كونه مخالفاً الواقع ، والثانية في تحملها مسؤولية انقلاب السوريين عليها . وقد جاءت الوقائع التاريخية مبررة نظرية مستر كراين ومسفهة بلاغ المفوضية الفرنسية . فهلم الي ميسلون ، والبلاغ النهائي المقدم من الجنرال غورو ، غب اطلاع انكلترا عليه ، الى الملك فيصل في الشام في ٢٠ تموز سنة ١٩٢٠ . وبه تطلب فرنسا من الملك فيصل ستة أمور . والمهلة ٤٨ ساعة . والمطالب هي - ملخصة -

الاول : أن تقبل حكومة فيصل ان تخلي الجنود الفرنسية سكة

الحديد السورية من رياق الى حلب

الثاني : وبان تحتل محطات حمص وحماه وحلب احتلالا عسكريا

الثالث : أن تقبل البلاد الخاضعة لحكم فيصل التعامل بالورق السوري النقدى

الرابع : ان تقبل انتداب فرنسا عليها — مرغمة ولو كانت الاكثرية تريد ذلك الانتداب — فما هي الحاجة الى هذا البند — ؟ .

الخامس : ان تعاقب الثائرين (في مذابح مرجعيون سنة ١٩٢٠)

السادس : أن تمنع التجنيد ، الذى كان على قدم وساق في ملكوت فيصل . لست في موقف الدفاع عن حقوق السوريين ، ولا في مقام الاحتجاج والرد على هذه البنود . هل هي عادلة أو غير عادلة ؟ : . وهل يجوز أن نخاطب بهادوالة راقية جارتها أو لا يجوز ؟ . ليس هذا موضع نظرى . لان تأ لبني على محايد فوضع نظري هو أن الجيوش الفرنسية ، لا اختيار الشعب السورى ، هو الذى ، أو هي التي ، أوجدت الانتداب الفرنسي في سورية

ويجب أن أقول أن الجيوش الفرنسية تقدمت على أثر ذلك البلاغ في داخلية سورية ، والتقت بالجنود الشريفية فى ميدان ميسلون . افيمكن ان يوجد مجال للمراء في أن الانتداب الفرنسي على سورية حصل ضد رضا السوريين واختيارهم ؟ . واذا فرضنا جدلا انه وجد من يمارى بهذه الحقيقة الواضحة وضوح شمس الظهيرة افيجوز أن يكون ذلك الواحد مسيو بونسو الرجل الفهيم الخبير ؟ . أما أنا فلا أظن ذلك الظن قطعياً . ويقيني ان فخامتكم تعلم كما يعلم هذا العاجز وكما يعلم كل عاقل حر النفس ، ان انتدابكم على سورية لم يكن الا قسراً

وارغاماً ، وقد نفذ بقوة « الحديد والنار » . هذا كل ما أريد تقريره الآن . ولذلك اعطف على ماجريات الاحوال سنة ١٩٢٠ استتماماً للبحث وزيادة في الايضاح ، وترسيخاً للحقيقة فأقول : ـ

قال كولونيل فرنسي مانصه « ان السوريين يظنون أن قواتنا لاتتجاوز ٢٥٠٠٠ محارب في حين ان لدينا أكثر من ٩٠٠٠٠ في سورية وكيليكيا . وتبلغ معداتنا ١٢٠ مدفعاً عيار ٧٥ و ١٢ مدفعاً من عيار ١٥ . وعندنا خمسون دبابة ، واربعون اوتوموبيلا مدرعاً ، ومئة وخمسون طيارة . واننا مصرون على الزحف على الداخلية » .

هذا كلام صادق . فلماذا ياحبيبي كل هذه المعدات ، وأنتم تملنون ان أكثرية السوريين تريدكم ؟ . الا يري القاريء هنا الحقيقة ساطعة سطوع شمس الظهيرة أن السوريين كافة هم ضد الانتداب الفرنسي ؟ .

* * *

وسارت القوات الفرنسية الى داخلية سورية في ٢١ تموز بقيادة الجنرال غارنيه القائد العام . وتوزعت قواته في ثلاث فرق .

انجهت الفرقة الاولي الى بلاد الدروز ، في وادى التيم وحوران وما وراء حوران

وضرب الفرقة الثانية شمالا في طريق حمص وحماه

والثالثة قصدت الى الشام رأساً بطريق وادي الحرير

افلا يوضح سير هذه القوات ، مصحوبة بالاجهزة والاعتاد الحربية برية وهوائية ، كل الايضاح ، الصفة الحقيقية التي بها دخل الانتداب الفرنسي سورية ؟

أقول . ولقد قص على مواطني النزيه هاشم بك الاتاسي ، رئيس وزارة فيصل يومئذ أنهم لما أبرقوا للجنرال غورو يبلغونه قبولهم بنود بلاغه النهائي قال « وبذلك وضعنا أرواحنا في أكفنا ، واجتزنا اضيق حلقات الخطر . ولولا توفيقات الله الخارقة لكنا سبقنا عبد الرحمن باشا اليوسف وعلاء الدين بك الدروبي » . (اللذين قتلا بعدئذ في خربة الغزالة) قال . « ولكننا رأينا من حسن السياسة الرضوخ لمنطوق البلاغ الفرنسي » .

ولكن قوات فرنسا تقدمت قبل الميعاد . ولما وصلها الرد كانت جنودها قد بلغت عين الجديدة في لبنان الشرقي . فارسل الجنرال غورو مذكرة حبية للملك فيصل . ولكن الجنود الشريفية ، وعدداً من العرب هجموا على فصيلة فرنسية مرابطة تل كلخ - مركز قضاء في منتصف الطريق بين طرابلس وحمص - فهزمتهم الفصيلة يوم ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ واسرت منهم خمسين محارباً بينهم ضابطان ، وغنمت مدفعاً من عيار ٧٧ وستة مدافع سريعة الطلقات ، وقتلت وجرحت عدداً غير قليل . عند ذلك أطلق الجنرال غورو لنفسه العنان بحرية العمل ، لان الحزب المتطرف بدمشق قوي ، وهو كان بالحرض على القتال .

وفي الساعة الثالثة بعد نصف ليل ٢٤ تموز تقدمت الجنود الفرنسية المعقودة اللواء للاميرال غوابيه ، من جنود تابعة للالاى ٤١٥ من المشاة ، والاي الرماة والافريقيين ، والاي الصباحيين المغاربة . ومعهم بطاريات ميدان ، ومدافع جبلية من عيار ١٥٥ . والتقت بالجنود الشريفية بمعركة شديدة . وكانت الجنود الشريفية مؤلفة من فرقة

دمشق ، ومن عصابات من البدو مسلحة بالمدافع الكبيرة ، ومدافع سريعة الطلقات ، وهي تحتل المضائق على طول ثمانية كيلو مترات ، من وادي التكية الى خان ميسلون حيث المعسكر الشريفي

وبعد معركة دامت ثماني ساعات ، اطلقت فيها الدبابات والطيارات القنابل ، استولى الفرنسيون على جميع مواقع أعدائهم ، والحقوا بهم خسارة كبيرة واكرهوهم على الفرار . فهربوا تاركين وراءهم تسعة مدافع و ٢٥ مدفعا سريع الطلقات ، ومقداراً كبيراً من الذخائر والمركبات والمعدات الحربية . وقتل يوسف بك العظمة وزير الحربية .

وفي نهار ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ وصلت الجيوش الفرنسية الشام . ويعني هذا بالفوز الباهر انحلال الجيش الشريفي تلا ذلك أن الجنرال غورو ابلغ الملك فيصل في ٣٠ تموز قرار الحكومة الفرنسية بوجوب مغادرته الشام ، والعودة الى الحجاز ، والمهلة ٤٨ ساعة .

هل كانت تصرفات فرنسا منطبقة على المبادىء المعمول بها دبلوماتيكياً (سياسياً) فاستحق الملك فيصل هذه المعاملة ، أو أن فرنسا خرجت عن حدود التقاليد المتبعة ، وعاملته معاملة ضئزى ؟ . يمكن أن يقال هذا أو ذاك ، وسواء كان الحكم في جانب فرنسا ، أو في جانب خصومها ، على الحالين ، فالقضية التي ارمى الى اثباتها هي هي . أي أن دخول فرنسا سورية منتدبة لم يكن برضا السوريين بل بحد الحسام . فلم تدخل فرنسا الشام دخول الاحباب ، بل دخول الظافرين . ولم يستقبلها الاهلون استقبال الصديق ، بل استقبال المقهور فاتحا قهره فالترحيب بفرنسا ، اذا كان ثمة ترحيب ، هو تكلف ، ناشىء عن قلوب سحيقة ناقمة تتحين الفرص للقيام على

قاهرها القوى . وإذ أجلى الفرنسيون الملك فيصلا عن الشام ورثوا حقد الشوام وضغينتهم . هذا ما أردت تبيانه مع حفظ كرامة كل من الخصمين . فلست أقصد بما أوردته ذم فرنسا ولا مدح خصومها ، بل تقرير حقيقة تاريخية يوقن بصحتها كل فرد من الملايين تحت سماء سورية وهي أن فرنسا لم تدخل سورية برضا أهلها ، ولا احترمت عواطف الامة . وهم ـ السوريون ـ يقولون : ـ أية أمة في الدنيا عاملتها جارتها بمثل ما عاملتنا فرنسا ؟ . أية دولة توجب على جارتها التعامل بنقدها ؟ . واخلاء موانئها ؟ . وحل جيوشها ؟ . لست أقول أن الوطنين لم يخطئوا ، فان خطيئاتهم تبين لهم ، ولكنها خطيئات تحملت الامة السورية تبعتها . ولكن مهما يكن من أمر خطيئات السوريين وخطلهم فالقضية التي أعالجها هي في محلها وهي : أن فرنسا دخلت سورية بالسيف لا بالحب ، وبالقوة لا بالرضا . ولذلك فالامة السورية ناقمة ، غير راضية ، تتحين الفرص السانحة للقيام على الانتداب الفرنسي ، لاقصاء فرنسا عن ربوع الشام بالسيف كما دخلتها بالسيف ورغائب الناس مقدمات أعمالهم .

هل يرى القارىء اني اصبت هدفي بذلك أو انى اخطأته ؟ . إذا كان رأيي اخطأت فأرجو أن يؤكد أن ذلك الخطأ لم ينشأ عن قصد سيء لا ضد السوريين ، ولا ضد فرنسا . انى كاتب نزيه ، يثبت اقتناعاته ، ويرفع الحقيقة مجردة عن كل غرض ، ويرجو عفو الله عن زلله .

هنا اجود بالتفاتة لطيفة الى المفوض السامي كالخ واخاطبه بتمام الكياسة والادب ، قائلا : ـ يافخامة المفوض السامى

انك تبدي التعجب من أن السوريين حاربوكم ، وانت ترى انه لا يمكن التخلص من داعي تعجبك الا باحد أمرين . الاول ان يكون السوريون موتي روحياً ، وعديمي الاحساس والشعور . فلا يبدون ادنى ظاهرة من ظاهرات الاحساس والقومية . والثانى ان تنقلب فرنسا بعد بسط حمايتها عليهم بالقوة منقلب انكلترا في الترنسفال ، فتعمد الى محاسنة القوم وانهاض عواطفهم ، بعد ماقهرتهم بميدان الحرب والاهم من ذلك كثيراً ان تنصفهم ، أو تعدل في حكمهم

أما فرنسا فلم تنهج هذا المنهج ، كما سأثبت ذلك بالادلة القاطعة والظاهر أن السوريين لم يبلغ فيهم الموت آخر مبالغه . فلم تكن ثمة ندحة عن امتشاق الحسام . وبناء عليه أرى في تعجبكم ، يا فخامة المفوض ، توقع المحال . فاترك القضية لادبك السامي ، واطلاعك الواسع ، الا ترى ياصاحب الفخامة ان محاربة السوريين دولتكم أمر طبيعي ؟ . والا فماذا تظن انه كان يجب ان يفعلوا ؟ . او ماذا تظن أنهم سيفعلون بعد هذا ؟ . اما انا فارى امامهم أحد أمرين . أما الموت أو محاربتكم . فاذا نجحتم في اماتة نفوسهم وقيتم شر محاربتهم والا فدونكم ميداناً لايرد سيره حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا .

هذا أول أسباب الحرب بين سورية وفرنسا : دخول فرنسا سورية بغير رضا أهلها . وهو على ماترى من الاسباب المعدة . والذى أراه ان كل الاسباب التي ساوردها فى هذا الجزء من تأليفى هي من هذا النوع ـ أسباب معدة ـ متعلقة بسياسية فرنسا الاستعمارية . اما الاسباب المتممة ، التي لها علاقة مباشرة بنشوب القتال فسترد في الجزء الثانى والثالث ان شاء الله .

السبب الثاني

لماذا حاربت سورية فرنسا ؟.

الجواب : لان فرنسا دخلت سورية راشية ، مادياً وأدبياً. ولانها لم تحسن الرشوة بل جرت فيها ضد مصلحتها . و بذلك دفعت السوريين للقيام عليها .

لاجراءات الدولة علاقة كبيرة بمنزلتها في قلوب الناس ، وبحفظ كرامتها في التاريخ . وبروز نتائج أعمالها لا بد منه عاجلا أو آجلا للارتباط النتيجة بالمقدمات . فماذا عملت فرنسا في سورية حتى تفر السوريون الى السلاح ؟ .

أقول ، كأنه لم يكف فرنسا انها دخلت بالسيف بلداً تكرهها أكثرية سكانه . فاضافت الى ذلك سوأة غير عادية ، تقضي على كل مايمكن ان يكون قد بقي لها من الكرامة في عيونهم . وتلك السوأة هي انها « عمدت ، حال دخولها ، الى رشوة السوريين »

لا أعني أن المأمورين الفرنسيين ، كانوا يرتشون ، بل الخطب أفظع من ذلك كثيراً وهو ان فرنسا كانت ترشو السوريين لاستمالتهم اليها وقبولهم انتدابها . وهي قضية لا اذكر أنه عالجها غير هذا القلم مع ان جميع ارباب الاقلام يعرفونها .

قلت ان هذه الرشوة كانت على نوعين ، مادية وادبية ، وأقول ان فرنسا ارتكبت في النوعين خطأ واحداً ، وهو انها علاوة على ارتكابها جرم الرشوة ، لم تحسنها . فوضعت الرشوة في غير محلها ،

أي انها رشت الاضعف ، والاقل تأثيراً ودونك البيان

أولا الرشوة المادية : الاصفر الرنان .

التقيت بمدينة سانبولو البرازيل سنة ١٩٢٢ برجل صحافي من شمالي سورية . كان قد برح وطنه الى ديار كولمبوس. فتبادلنا الحديث. وكلانا من حزب الانتداب . فافضى الي باحاديث طويلة عن فرنسا والسوريين . وذكر لي في عرض الحديث ان فرنسا كانت تدفع له راتباً شهرياً بالجنيهات الذهب . فلم اتعمق يومئذ بالبحث في هذا الشأن ، فمرت الجملة في عرض الحديث مرور النيزك في عرض الفضاء وكالنيزك رسمت جملة صديقي خطاً نورانياً في سماء عقلي المظلم – فرنسا دفعت رشوة – وكانت هذه الجملة تتردد في ذهني ، ولكن ذلك التردد لم يقترن باستهانة بفرنسا ، أو بسوء ظن . وقلت ربما كان صديقي يقوم بخدمة للمفوضية ، فكانت تكافي أتعابه ، « والفاعل مستحق طعامه » .

وبعد عودتي الى سورية – بعد غياب تسع سنين – كنت ذات يوم احدث صحافياً آخر ، من طبقة الاول ، فقص علي ضاحكاً – ويجب أن أقول ساخراً – ان فرنسا كانت تدفع له مرتباً شهرياً بالجنيهات الذهب. والمبلغ على ما اذكر مضاعف ذاك . فابديت استهجاني الامر . وقلت له بلهجة الانكار، « وعلى م كانت فرنسا تدفع لك؟ » فرد على انكاري بانكار نظيره قائلا « وهل كانت تدفع لي وحدي » ؟. قلت فلمن دفعت ؟ . قال بلهجة ساخر « للكل » . يعني أن فرنسا كانت تدفع لكثيرين من أرباب الصحف رواتب شهرية . قلت وهل كان لها نفع من ذلك الدفع ؟ . فضحك صديقي حتى ذرف الدموع ، وقال « أي نفع ترجو أن يكون » ؟ . . .

ان مجلة هذا كجريدة ذاك الذي لقيته في برازيل ، لا حول ولا طول من حيث التاثير فى الرأي العام . فلا دولة فيهاذرة من العقل تجود بالاصفر الرنان على كتاب جرائد كهذه . ان اوضح ظاهرات العقل هى القوة المتصرفة . واضبط مقاييس القوة المتصرفة ه استعمال الدراهم . .

فالعاقل لا يدفع الا لسبب كاف . ومن يبذر الدراهم على غير منتوج فليس بعاقل . فاين عقليه فرنسا فى تبذيرها هذا ؟ .

والانكى من ذلك ان فرنسا كانت تدفع الدنانير الصفراء لجريدة غير هاتين وتلك الجريدة اقل من الاثنين السابقتين انتشاراً ونفوذاً . كان كاتبها يقبض ٥٠٠ غرش تركي اجرة تاليفها -راتباً شهرياً - فجعلت فرنسا تدفع له عشرين جنيها عثمانيا ذهباً اعنى ٢٢٠٠ غرش او اكثر من ستة اضعاف راتبه . ويود القارىء ان يعرف نتيجة ذلك الدفع . فاقول أنى مررت بمدينة سنتياغو وكان نزولي فى محل وكالة تلك الجريدة . فرأيت اعدادها مكدسة على الارض وقد نبذها قراؤها ؟ ولدى السؤال علمت ان سبب سقوطها هو تشيعها لفرنسا . فنفر الناس منها نفورهم من الطاعون . فكان ما دفعته فرنسا لتلك الجريدة قاضياً على كرامتها ، وكان قاضيا في نفس الوقت على كرامة الجريدة ايضاً فى عيون قرائها . لانهم اعتدوها ساقطة المبدأ وآلة فساد بيد فرنسا .

وقال لى بعضهم « يا استاذنا لو ان فرنسا رشت كبار الكتاب لما احتقرناها ، ولكن ان ترشو فلانا وفلانا ؟ . فانت احكم فى اهلية عملها . فعلى م نحترمها ؟ . قالوا ذلك لى رداً على دفاعي عنها .

فترى ان فرنسا اشترت بتلك الدراهم اهانتها وسقوطها . لأنها لم تدفعها لمساعدة المحتاجين ، ولا لنشر العلم بل رشوة في غير محلها . فلو ان فرنسا دخلت سورية برضا السوريين – وكانت اهلا للانتداب – لوجب ان السوريين يدفعون لها لا انها هي تدفع لهم . لان الدفع حتم على المنتفع لنافعه . فالمريض هو الذي يدفع اجرة الطبيب وثمن العلاج . والمتعلم هو الذي يدفع للمعلم . وصاحب الحذاء هو الذي يدفع للراقع . اما دفع الطبيب للمريض ، ودفع المعلم للمتعلم والخياط لصاحب الثياب فامر غير منطقي ولا طبيعي . وهذا الذي عملته فرنسا ولي في هذا الموقف نظرات ، اوردها مع قليل من الشرح ، وللقارئ الحكم

النظرة الاولى : ان رشوة فرنسا صحف سورية تدل دلالة واضحة على عدم ثقة فرنسا بعدالة تصرفها ، ومن يثق بعدالة قضيته لا يعمد الى الرشوة ، بل يستند الى الحق – فلو كانت فرنسا عادلة واحسنت صنعاً ، في بلد هو غاية في الاحتياج الى رعاية امثالها ، فماذا كانت الحاجة الى الرشوة ! . هذا احد نواميس الاجتماع ، وعلى القارئ النزيه ان يثق بنواميس الاجتماع ، وبربها . وقد لمس الشاعر العربي هذه الحقيقة فنظمها ، واثقاً بتأييد الرأي العام ، قال:

احسن الى الناس تستعبد قلوبهم　　فطالما استعبد الانسان احسان

ولو وضعت فرنسا العدالة موضع الرشوة لاحسنت . لان العدالة مأثورة . اما الاساءة فهي خسران . وتغطية الاساءة بالرشوة افتضاح . لانها تغطية العار بالعار .

النظرة الثانية : ان رشوة فرنسا السوريين بهذه الصورة هي مظهر جهلها نفسية الشعب السوري ، ومنزلة صحافته . وكيفية ذلك

هي ان للصحف في العالم المتمدين منزلة رفيعة ونفوذاً عظيما .ولذلك النفوذ أكبر تأثير في تطورات الامم وتحويل مجاري امورها . وفرنسا احدى الامم المتمدينة ، وفيها أحزاب ، ولها صحف ، ولصحفها . محازبة ومحايدة ـ تأثير عظيم في تيار الامور ، وفي نقط التحول . فقاست سورية على نفسها ، ظانة ان لتلك الصحف في سورية ما لاخواتها في فرنسا . فجادت عليها ببدر الاموال آملة انها بذلك تستميل السوريين .

ولاجل تنوير القارىء اميط اللثام عن صحافة فرنسا ، ومنزلتها في الامة : ـ

تقسم الصحف الفرنسية الى قسمين كبيرين محازبة ومحايدة . فالحزبية اربعة اقسام وهي الوطنية والملكية والشيوعية وصحف اليسار

١ : الصحف الوطنية هي لسان حال احزاب اليمين ، وهي التي ندعوها محافظة وفيها : ايكو دي باري (صدى باريس) وكاتبها هنري دي كيريليس خصم الجنرال ساراي الالد . ومنها الغلوا والفيغارو :

٢ : صحف اليسار هي لسان حال الحزب الراديكالي والحزب الاشتراكي ، وهم القابضون على ازمة السلطة منذ ١١ ايار سنة ١٩٢٦ . وفيها الكوتيديان والاوفر والابرنوفل

٣ : اما ما اذكره من الصحف الملكية فهي الاوكسيون

٤ : ومن الشيوعية الاومانيتيه (الانسانية)

هذا ما يقال في الصحف الحزبية . اما الصحف المحايدة فهي كثيرة ، واشهرها قسمان كبيران

القسم الاول : الاخبارية المحضة ، واهمها الماتان وبتي جورنال وبتي باريسيان

القسم الثاني: الاخبارية مع البحث السياسي ومنها الطان والجورنال.

ويقال مثل ذلك في صحف انكلترا والمانيا وايطاليا وامريكا واليابان

اما في سورية فلا أرى للصحافة شيئاً من شأن اخواتها في الغرب . ولست انتقص اخواني كتاب الصحف السورية ، فهب انهم اكثر من كتاب الغرب حذاقة ولياقة ونزاهة وحيلة ، ولكن ليس لهم - لسوء الحظ - او ليس لصحفهم ، ما لاخواتها من الحول والطول . فالتجاء المفوضية الفرنسية في سورية الى الصحف ، ولا سيما الضعيفة المهملة منها ، وبذلها الاموال في سبيلها، عمل في غير محله وهو احد مظاهر عدم الاهلية لجهل فرنسا نفسية السوريين

والا فليبين لي من اراد الدفاع عن تلك السياسة ما معنى دفعها عشرين جنيهاً شهرياً لكاتب لو عرض نفسه على الصحافة لما استأجره احد بجنيهين ؟ . وما القصد من دفع الجنيهات لصحف كان كتابها يهزأون بعمل فرنسا ونتيجة كتابتهم الوحيدة نفور الناس من الانتداب ؟ .

النظرة الثالثة : ولو فرضنا أن مرامي فرنسا في رشوتها الصحف كانت صائبة ، وان للصحافة السورية ما توهمه الفرنسيون من النفوذ والتأثير ، وهو غير واقع ، مع ذلك ، فرشوتها في شرع العقلاء افظع ضروب الفضائح . تحتقر الحكومة ، ويستهان بها اذا هي قبضت رشوة . ولا يمكن حكومة من حكومات الدنيا ان تحوز على كرامة وثقة واحترام على غير قياس نزاهتها وعفافها . واذا انتشرت فيها الرشوة

خسرت كرامتها في عيون الناس . هذا ما يقال في أمر ارتشاء الدولة. اما ان تكون هي الراشية فذلك ظاهرة السقوط التام وخسران كل هيبة واحترام ، وبينة فساد اخلاق لا حد له . لان افظع خطيئات الزعماء انهم هم انفسهم يقودون تابعيهم الي الخطأ وهذا ما عملت فرنسا في سورية ، قادت الناس الى الخطأ الذي يقضي عليها واجبها بنزعه وتطهير البلاد منه . فهوى بها ذلك من حالق مجدها ، وافقدها هيبتها ، وجرأ الناس على مناوأتها الى حد لم تحلم به فرنسا ولا حلم السوريون .

٤ : ولي نظرة رابعة هي اعمق واغنى من كل ما ذكر ، وهي ان الراشي طبعاً عديم الحق ، وان يكن صاحب حق ـ فان استناده الى الرشوة يفسد حقه ، فيحسب في شرع النبلاء عديم الاخلاص والنزاهة والاستقامة . فلا يركن اليه ، ولا يعتمد على بيناته ، ولا يسمع له قول ، ولا يعتبر منه دليل ولا برهان ، لانه راش . وقد فرضت كل شرائع الدنيا عقوبة ثقيلة على الراشي والمرشي . واخف تلك العقوبات سقوطه من الحق المدني . والناس مطبوعون على الاحتساب من الراشي . والتبرؤ منه ، والخروج على سطوته وسيطرته ، وحسبان دائره نفوذه دنية . لان ذلك النفوذ غير طبيعي ، ولم يحصل بوسائل حميدة ، بل هو ثمرة زواج غير شرعي بين الراشي والمرشي . فلا يربح قلوب الجماعات غير الاستقامة والاخلاص . والسعي في ربحها عن طريق الرشوة يؤدي الى خسرانها ، ويفسد كل علاقاتها.

والآن احول المسائل التالية لفخامة مسيو بونسو ـ فيجيب عليها بنفسه لنفسه

١ : هل رشت فرنسا السوريين حباً بهم او لمصلحة اخرى ؟.

٢ : هل يمكن الجمع بين الرشوة وبين الشرف ؟ .

٣ : وهل تحفظ الدولة مكانتها في النفوس عن غير طريق الشرف ؟ .

٤ : اي ادنى ؟ . ارشوة المحكوم للحاكم ام رشوة الحاكم المحكوم ؟ .

٥ : هل راجع مسيو بونسو ميزانيات سنة ١٩٢٠ وسنة ١٩٢١ للانتداب الفرنسي بسورية ليرى كم كانت تدفع من تلك الميزانية للصحف السورية

٦ : وهل تحرى ضخامة الحسابات ، وراجع القابضين الدراهم ليتحقق مطابقة القيود المدفوعات او ان بعضه قبضه الصحافيون والقسم الآخر تسرب الى جيوب الذين باعوا هيبة فرنسا بانتفاعهم المنكر .

٧ : وهل مسيو بونسو هو من رأي اولئك الراشين ؟ .

٨ : وهل فعل الراشون ذلك من انفسهم او بمصادقة الجمهورية الفرنسية

٩ : وهل الامة الفرنسية راضية عن ذلك ؟

١٠ : واذا كان ذلك ضد رأي الامة ، والراشون يمثلون الحكومة الفرنسية ، والامة الفرنسية ، بسورية ، ومع ذلك فقد سكت البرلمان الفرنسي عن هذه الجريمة ولم يناقش الحكومة الحساب ، فالجرم واقع على الامة الفرنسية باجمعها . افتتعجب ياسيدي ، اذا حاربكم السوريون بعد ذلك ومزقوا اوصال رجالكم ؟....

وحقك إني أكثر منك تعجبا . لاني اعلم سكينة قومي ودعتهم

وقد ادهشني مارأيت منهم ، ولو أخبرت به لما صدقته . كما سابينه لك يامولاي بالضبط والوضوح ، بحيث لا ابقي في نفسك ريبة في انى الحق أقول . ولذلك ،فمع يقيني ان شعبي أبعد الشعوب عن امتشاق الحسام اراني أكثر دهشة وتعجبا لو لم يحاربوا

ثانياً : الرشوة المعنوية

ينحصر ماتقدم في الرشوة المادية . وهي الرشوة البسيطة ، أو صغرى الرشوتين ولكن هنا لك رشوة أخرى افظع شكلا ، وادنى عنصراً ، واوفر فساداً ، وأشد نكالا ، وهي الرشوة الادبية — المعنوية .وفي هذه أيضا كما في تلك لم تصب فرنسا المرمى . بل اخطأته واضلت نفسها ، لانها رشت الذين لاتقدر أن تستفيد من رشوتهم .

هلم معي ايها القارىء الى بيروت سنة ١٩١٩ وانظر واسمع ماجرى تحت سمائها : —

وافت الدارعة جيرار دي لاكزافير الفرنسية من اوربا تقل غبطة البطريرك الياس الحويك بطريرك الطائفة المارونية فلما بلغت المياه السورية ، وألقت مراسيها الى قاع البحر انحدر منها غبطته في طراد فرنسي الى البر . ولما وصل البر عزفت الموسيقى العسكرية ترحيباً واصطفت فصائل الجند الى جانبي الطريق لاخذ سلامه . وكان موكبه مؤلفا من سيارات لايحصى عددها ، تحمل امراء العسكرية وكبار الموظفين . وكانت كوكبة من فرسان الجيش الفرنسي تحف بسيارة غبطته حتى اذا بلغ ركابه مقر نزوله بادرت الاقوام — وفي مقدمهم كبار العسكريين — لتحيته بالاعظام . ا . ه .

فلمن كل هذا الاعظام ؟ ولماذا ؟

لست احتقر رئيساً من رؤساء الدين . ولا أكره طائفة من طوائف الارض نصرانيـة كانت أو غير نصرانية . على أني اخص الطوائف الصغرى في الارض بحب خاص ، كاليهود والارمن والاقباط والدروز والموارنة . زد على ذلك اني أحب الطائفة المارونية حباً جماً ، وذلك لاسباب عادلة ساذكرها في غير هذا الموضع ، وابطريركها في نفسي الاحترام الذي يستوجبه . فلست أنكر عليه الاكرام ولكن تصرف السلطة الفرنسية في سورية هو غير مألوف عندنا . فقد أكرمت البطريرك الماروني أكثر مما تكرم كل بطاركة الدنيا وأكثر من اكرام الكرادلة ، ورئيس الكرادلة ، بل ان البابا نفسه لما زار فرنسا لم يلق مثل هذا الاكرام :

فلابد ان وراء ذلك الاكرام الخارق مقصدا خارقا . فما هو ذلك المقصد ؟

ان غبطة البطريرك رئيس ديني . والمفوضية الفرنسية تمثل دولة فيها تمام الانفصال بين الدين والسياسة فلا تعبأ برجال الدين ، ولا تستقبل رئيس أساقفة فرنسا بمثل ما استقبلت به بطريرك الموارنة فما السر في هذه المعاملة ؟ ماهي درجة البطريرك الاجتماعية؟اما انه ليس الهـا فمسألة لاتحتاج الى بحث . وانه رئيس أقلية في سورية أمر ثابت بالارقام كما ثبت ذلك باحصاء الانتداب نفسه ، فماذا عمل البطريرك لسورية ، وللانسانية ، حتى تقابله السلطة العسكرية الفرنسية بمثل هذا الاكرام ؟ وما هي الفائدة التي جنتها فرنسا من مساعيه ؟ .

ومسألة المسائل هي : — اى تاثير كان ، او يمكن أن يكون لتصرف المفوضية الفرنسية هذا فى نفوس الاكثرية في سورية ؟

ان أكثرية السوريين اسلاميه ، يتبعها الدروز والنصيرية . افلا يرى فخامة ، المفوض السامى ان معاملة البطريرك الماروني بمثل هذا الاكرام الخارق يثير كوامن الحقد والعداء فى صدور غير الموارنة فى سورية ؟ افهذا ما تقصده المفوضية ؟ أعني هل قصدت من اكرام بطريرك الموارنة ، اكراماً خارقا ، اثارة عداء الاكثرية فى سورية لان لها وراء تلك الاثارة مقاصد ؟ اذا كان نعم ، وقد حصل ماأرادت وماسعت اليه فمم يتعجب فخامة العميد ؟

اماهذا الفلفيرى معاملة البطريرك — المحترم — على الصورة التي سبق وصفها خطأ مركباً ، وفيه اضرار كبيرة للموارنة وللسوريين وللانتداب وللانسانية عموماً . وهو عمل خارج حدود الاعتدال . وما تجاوز حدود الاعتدال تجاوز حدود اللياقة وهو عمل يدل على جهل مطبق فى ادراك نفسية الامة السورية ، وقوانين الجماعات ، ومظهر قصر نظر في السياسة ، بل خرق سياسي لا يتناسب مع منزلة فرنسا فى الدنيا .

وهاك خارقة ثانية تدل على خرق اعظم

ادب الجنرال غورو مأدبة لغبطة البطريرك — بطريرك الطائفة المارونية — ومطارنته ، لم يحضرها أحد من الاهالى ولا من رجال الحكومة . وبعد الغدا اختلى الجنرال بغبطة البطريرك من الساعة الثانية الي الساعة الرابعة تماماً . ولم يعلم احد بماذا دار الحديث بينهما في هذه الخلوة . ولكن البطريرك خرج ودلائل البشر بادية

على وجه أحسن سياسة هذا يافخامة العميد امسوء سياسة ؟ . وهل لذلك مثل في سياستكم العالية ؟ ان البطريرك الياس الحويك رئيس طائفة لايجهلون ما بينها و بين جيرانها غير المسيحيين من المواجد . ببلد للتعصبات فى جنباته مركز لايجهله حصيف . فلما تعينت فرنسا منتدبة للبلاد ، يعلم ربي ويعلم قلبي ، انه كان في عداد الاسباب لنقمة الاكثرية على ذلك التعيين والجهد برفضه — كما أثبت ذلك فى تقارير مستر كرين الامريكي — تحيز فرنسا لموارنة لبنان . فتظاهرها هذا فى اكرام البطريرك اكراما خارقا مما يذكي نيران العداء ويوسع شقة التقاطع والنفار في قلوب الاكثرية ، ويضع العراقيل في سبيل الانتداب ، ويعود على فرنسا والانتداب والبلاد السورية بسيء العواقب . هل قلت فى ذلك قولا نكراً ؟

ورب قائل يقول . — ان ذلك التصرف هو اليمسؤولية الجنرال غورو شخصيا ، وان فرنسا براء من هذه مرة وانها اشرف كثيرا من هذه المفاصد . فاذا كان هنا لك سوء ادارة أوسوء نية فليست فرنسا بمسؤوله . بل المسؤول هو رجال الانتداب . فلكي لاألقي الكلام في ردي عليه جزافاً اجعل الرد برهاناً ، بايرادي صورة كتاب مسيو كليمانصو ، رئيس وزارة فرنسا في ذلك الحين ، ومفوضها في مجلس فرساي العظيم ؟ الذي كتبه الى غبطة البطريرك الماروني في باريس ، يعبر به عن موقف فرنسا الرسمي تجاه البطريرك ، ولا حاجة الى القول ان فرنسا مسؤولة بهذا الكتاب . وعليها كدولة يقع اللوم ان كان هنا لك لوم وهذا نص الكتاب . —

الى غبطة بطريرك الموارنة

باريس أت ٢ ١٩١٩

ايها السيد

ان المفاوضات التي جرت من يوم وصول غبطتكم الى باريس في ما بينكم وبين وزير الخارجية وبيني قد وطدت دون أدنى شك فيكم الاعتقاد ان حكومة الجمهورية متمسكة تمسكاً ، لاتنفصم عراه بتقاليد الوداد المتبادل القائم منذ قرون بين فرنسا ولبنان . فتلك المفاوضات انما هي حل المشكل الذي نسعى الى حله في مؤتمر الصلح على وجه الاجمال . مطابقا لاماني الشعب الذي أنت ممثله السامي .

ان رغبة اللبنانيين في المحافظة على حكومة ذاتية ونظام وطني مستقل تتفق كل الاتفاق مع تقاليد فرنسا الحرة . وان اللبنانيين لمتأكدون مع مساعدة فرنسا ومؤازرتها ، وبالاستقلال عن كل مجموع حزبي اياً كان ، ان يحفظوا تقاليدهم ، ويوسعوا نطاق نظاماتهم السياسية والادارية ، وان يستعجلوا بانفسهم زمن الانتفاع التام من مرافق بلادهم . واخيراً أن يتأهب اولادهم بمدارسهم للانتفاع بالوظائف العمومية

اما الحدود التي سيجرى ضمنها هذا الاستقلال فلا يمكن تعيينها نهائياً قبل ان يتقرر ويتحدد امر الوصاية على سورية

على ان فرنسا التي بذلت ما في وسعها سنة ١٨٦٠ ، لكي تخول لبنان ارضاً اوسع لاتنسى ان تضييق حدوده كما هي الآن ، هو نتيجة الضغط الذى أن منه لبنان طويلا . وان فرنسا ترغب في تحسين الصلات الاقتصادية بين البلاد الموضوعة تحت وصايتها ستنظر ايضاً بعين العناية عند تحديد تخوم لبنان فى ضرورة تخويل الجبل

الاراضى السهلية والمرافىء البحرية اللازمة .

واني على ثقـة ان التأكيدات التى ابديها لغبطتـكم توافق العواطف التي حملت الشعب اللبناني هذه المرة ايضاً على طلب وصاية فرنسا لبلاده . ولي الامل ان الحل النهائي الذي سيدركه مؤتمر الصلح في المسأله السورية سيفسح المجال للحـكومة الفرنسية ويمكنها ان تحقق كل التحقيق اماني هذا الشعب الباسل . تنازل واقبل يا صاحب الغبطة فائق اعتباري «كليمانصو»

وعلى القارىء اولا : ان يذكر ان كليمانصو رجل لاديني ولما دعـوه لحضور حفلة شكر في الـكنيسة بمناسبة القاء الحرب اوزارها هزأ بهم قائلا : اذهبوا انتم واشكروا :

فاكرامه غبطة البطريرك ليس اكراماً دينياً . انما هو عمل رسمي من رئيس وزارة لمتحق بالجمهورية الفرنسية .

ثانياً : ان غبطة البطريرك راهب مسيحي ، وان رئيسه ومثاله لم يكن له اين يسند رأسه . فاذا عرضت له الدنيا بزخرفها وراودته على ان تجود عليه بلذيذ وصالها ، اشاح عنها ببصره ، وحنى رأسه وصلى قائلا « لا تدخلنا فى تجربة » .

فالاكرام المقدم لغبطته ليس اكراماً شخصيا

٣ : هب ان طائفة البطريرك ارتاح خاطرها الي ما اسبغ على زعيمها من مجالي الاكرام والتبجيل فالطوائف الاخرى ، ولاسيما غير النصرانية تتأثر من ذلك تأثراً سيئاً تحفظه فى نفسها ، وتبرزه في يوم بجعل الولدان شيباً . وها أنا اورد احصاء لبنان سنة ١٩٢٢

٧٢٠٠٠٠	سكان لبنان الكبير
١٣٠٠٠٠	منهم في المهجر
٦٠٠٠٠٠	الباقون ستمائة الف

اقسامهم حسب طوائفهم

١٩٥٠٠٠	موارنة
٢٢٩٠٠٠	مسلمون سنيون وشيعيون
٠٨٠٠٠٠	روم ارثذكس
٠٥٠٠٠٠	دروز
٠٤٥٠٠٠	روم كاثوليك
٠١١٠٠٠	بقية الطوائف

فموارنة لبنان اقل من ثلث مجموع سكانه . وهم في سورية ، وسكانها ٣٢٤٥٥٠٠ ، اقل من جزء من ١٥ او اقل من ٦ في المائة .

فالبلاد اسلامية ، وتظاهر فرنسا بالميل لبطريرك مسيحي فيها، واشارتها الى حوادث سنة ١٨٦٠ هو مناف لمقتضى الحال .

٤ : بقي ان يقال ان غبطة البطريرك رئيس الوفد الذي يمثل لبنان ، واكرام فرنسا له هو لا باعتبار كونه بطريركا ، بل باعتبار كونه رئيس الوفد اللبناني . افيعتبر مسيو بونسو كثيراً هذا الدفاع ؟ .

ان ارساله الى فرنسا رئيساً للوفد ، حال كونه بطريركا ، هو

نفس ما نشكوه لسوء اختياره. ونعلم علم اليقين ، ان للانتداب اصابع في تعيينه وأرساله بمهمة سياسية ، وهو زاهد مسيحي ، ديدنه الصوم والصلاة ، وقداسة الحياة .

فاذا كان الموارنة في لبنان الكبير ١٩٥ تجاه ٤٠٥ وفي سورية ١ الى ١٦ . فعلى اى اساس ، وباي منطق جاز لحكومة فرنسا ان تعامله المعاملة التي مر وصفها ؟ . نقول انها رشوة . حسناً

ان فرنسا هنا ايضاً ، كما في معاملة الصحافيين لم تحسن الرشوة . بل كانت رشوتها وبالا عليها ، وعلى الذين رشتهم .

لقد قلت اني احب الطائفة المارونية حباً جماً والآن ابين اسباب ذلك

١ : لأنها احدى الطوائف الصغرى في الدنيا وقد مر بيان ذلك

٢ : لانها في يقيني ، صميم السوريين . فانها الطائفة الوحيدة التي لم يتلوث جسمها بدم اجنبي . وبعبارة اضبط ان دمها اقرب الى السلامة من كل طوائف البلاد السورية .

نحن السوريين اراميون اصلا ، ممزجون كثيراً اوقليلا بالعرب . ففي الموارنة ، ولسان الموارنة ـ السرياني ـ وترانيمهم الشرقية ، استمرار حياة اجدادنا وفنونهم . ولما حضرت قداسهم فاضت دموع العين مني تأثراً ، لعلمي ان امهات اجدادنا كن يهومن لاطفالهن بمثل هذه الالحان ليناموا ، وذلك في العصور الخالية . فنحن سريان قبل حنا مارون ، وقبل محمد ، وقبل عيسى ، وقبل موسى . واعتقد ، وقد اكون مخطئاً ، اني اتنو لوجياً سرياني اراميي . وأرى ان استعمال الموارنة اللغة السريانية في عباداتهم وترانيمهم الكنسية ، مع استعمال

هذا اللسان عند بعض اهالي جبل قلمون دليل ساطع على انه لسان السلف الكريم الذي انتسب اليه . فقلبي اذا ماروني مدنياً ، ان لم اكن مارونياً مذهبياً

٣ : قد لقيت من الموارنة ، في سياحتي حول الارض افضل رعاية واكرام . واذكر رجال هذه الطائفة بالشكر ما حييت ، واثبته في الصحف ليظل بعد موتي اعترافاً بفضلهم مؤبداً

٤ : اني شريك هذه الطائفة بحب فرنسا ، وفي ارادة تسدابهل وكتاباتي شاهدة علي

ولي اكثر من ذلك في هذا الباب ، وهو مهم جداً ، لا يمكني اثباته هنا . ولكن ما قيل يكفي لاثبات صفاء طويتي نحو الطائفة المارونية . وبهذا الاعتبار لا أرى تشيع فرنسا للطائفة المارونية في مصلحة فرنسا ، ولا في مصلحة الطائفة المارونية ، ولا في مصلحة سورية .

وعندي معلومات في هذا الباب لاتحتملها الاوراق . والذي اعلنه وارجو من ورائه خيراً كبيراً ، هو ان خير الامة السورية يحصل بوقوف فرنسا ، امام مختلف الطوائف ، موقفاً واحداً . لا تقدم طائفة على اختها ، ولا تؤخر طائفة عن اخواتها . ولا تخص رئيس احداها بالاكرام ولا تصب على رئيس غيرها جامات غضبها .

والاهم من ذلك ، والافيد ، والاشرف ، والاكثر ضرورة لحياتنا ، نحن السوريين ، وهو الامر الذي تعلنه ملائك الحضرة لو انحدرت الينا ، هو

: ان تفهم طوائف هذا البلد التاعس اننا اخوان ، وان

الدرزي واليهودي والمسلم والعلوي والبدوي اقرب الينا من الانكليزي والفرنسي والالماني والايطالي ، وذلك بحكم المصلحة .

فابكي ايتها السموات ، ولتضحك جهنم على قوم يتبرأون من اخوانهم وينتمون لاعدائهم . أجل انى لا اخص بكلامي هذا اخواني ابناء المارونية ، معاذ الله ، فاذا كان هنا لك ملام فهو على الاقوى والاقدر على لم الشعث ، وحفظ الوحدة الروحية فى البلاد. ولم ار بين هذا الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام

وارجو اخوانى السوريين المعذرة اذا شاموا فى كلامي هذا شيئاً يخالف اميالهم .

* * * * * * * * *

وخلاصة ما اقول فى هذا القسم الثاني أن فرنسا بعد ان دخلت سورية بدون رضا اهلها ـ الاكثرية ـ وبسطت انتدابها عليها بقوة الحديد والنار ، جعلت ترشو الاهالي مادياً وروحياً ، وقد اخطأت بالامرين . وكان لخطأها تأثير ، غير مباشر ، في قيام السوريين عليها سنة ١٩٢٥ و سنة ١٩٢٦

واقول واظن انى منصف ، انه لو ان فرنسا أكرمت رئيس كل وفد مثل اكرام بطريرك الموارنة ، لوجب استثناؤه من ذلك الاكرام . وفقاً به وبطائفته ، لان ذلك الاكرام لا يتناسب مع حالة البلاد النفسية ، ولا تؤمن عواقبه .

السبب الثالث

سقوط الجيوش الفرنسية في الاناضول

ان انسحاب الجيوش الفرنسية من ولاية كيليكية ، ومن سناجق عنتاب ، وأورفة ، ومرعش ، اعظم صدمة اصابت نفوذ فرنسا في الشرق عموماً ، وفي سورية خصوصا ! فزعزعت مركز فرنسا شرقي المتوسط أي زعزاع واسقطت هيبتها في عيون الشرق عموماً والمسلمين خصوصا ، وآثارت عليها المسلمين في أسيا والمسيحيين في أوربا . فكان ذلك الانسحاب سبباً ، غير مباشر ، لقيام السوريين عليها ومحاربتهم اياها

وهي قضية تستلزم ، في حسباني البحث بمزيد الدقة ، والاحاطة بها من كل جهاتها ، ولوانى خصصتها بمجلد برمته ، لما كنت مسرفاً ، بل لما كفى للاحاطة بها ، ولبيان علاقاتها البعيدة والقريبة .

تمشي كرامة الدول في الدنيا ، ولاسيما في الشرق ، على قاعدتين . القاعدة الاولى قوتها المادية . والثانية قوتها الروحية . وتتناسب معاملات الامم اى دولة وا كرامهم اياها ، مع هاتين القاعدتين فيهابون دولة القوة والبطش ، ويحبون دولة العدالة والحق ولو رأوا في امة في الارض هاتين المزيتين ، اعني القوة المادية والقوة الروحية ، لعبدوها ولاذوا بها. واذا فقدت دولة من الدول القوتين ، المادية والادبية ، نبذوها نبذ الحذاء المرقع اعتبر عا في التاريخ من الانباء .

جاءت فرنسا الي الشرق حامية الاقليات ، باسم الدول المعظمة ومصادقتها ، واخذت على عاتقها صيانة الامن العام ، وارشاد

الاهالي الى ادارة شؤونهم بانفسهم حتى متى بلغوا حد الاستقلال التام كانوا كفاة لاستلام ازمة الامور . فانظر خطورة المركز الذي شغلته فرنسا ، ومقدار الشرف المعلق عليه . فكان لفرنسا أثمن فرصة لصيانة عرضها ، وترسيخ هيبتها في القلوب . فماذا كان منها ؟ . اي مقدار من القوة العسكرية اظهرت ؟. وكم من القوة الروحية ؟ .

ان موقفي هذا ، كمؤلف ، هو غاية في الدقة والحراجة ، واراني في حاجة الى كل ماوضع الله في روحي من النزاهة والادب والرفق بالخصوم ، لئلا أجرح عاطفة اوامس احساساً ، أوكرامة

ولا أدري هل ماعندي كاف لسلامة العواطف وحفظ الكرامة لان ما أظهرته فرنسا من الضعف والانخذال بميدان كيليكية وشمالي سورية يكسو المدافع عنها عارا لايستهان به ، في عين التاريخ . وفي عيون أرباب النظر الثاقب . فلا أدافع عن فرنسا ، ولا أحملها فوق ما حملت نفسها . لانني لست لواماً ، ولا محامياً بل مؤرخ ينشد الحقيقة ويثبتها . ولذلك اورد قرارات المفوضية ، التي نشرت في بلدي وفي بلادها وبلاد حلفائها

وليست المسألة بعيدة عنا ، ومن حوادث العصور الخالية ، كاساطير طسم وجديس . ولاهي قضية ملفعة بحجب الخفاء بل هي قضية اليوم ، وقد حدثت بيننا، فهي محسوسة ملموسة . فلا سبيل معها للمراء ، ولا تحتمل المذاهب والاراء . وها أنا ابسطها للقارىء على ما هي في ذاتها غير آخذ على نفسي مسؤولية الرواية

﴿ الأرمن ﴾

لاامة في الدنيا اصابها ما أصاب الامة الارمنية من الكوارث

والنكبات ، اللهم الا الامة اليهودية فكانت مذابح الارمن، والفضائح المرتبطة بها مواسم تتوالى كمواسم الجراد . من حين الى حين كان يضج العالم المتمدن بسمع اخبار السوء . او اسوإ الاخبار، عن ذبح الارمن ذبح الاغنام ، وحرق كنائسهم ، ونهب ارزاقهم ، وهتك اعراضهم . فقامت اوربا وقعدت لهول ما سمعت عن الارمن، وشددت النكير على الباب العالي ، وارغمته على اصدار ارادة بانفاذ الاصلاحات في الامبراطورية التركية . وارسلت اساطيلها الى الدردنيل والاستانة سنة ١٨٩٥ ، وضيقت عليه الخناق حتى قبل . وقام الخطباء والكتاب السياسيون في كل عواصم اوربا وامريكا ينادون بوجوب حل المسألة الشرقية ، واخراج الاتراك من اوربا ، وتقليم اظافرهم في اسيا .

هل كان الذنب ، في تلك الكوارث ذنب الارمن وحدهم ، فسببوا كما قيل هذه الشرور بسوء تصرفهم ؟ .

او هو ذنب تركيا وحدها ، التي أدى سوء ادارتها الى هذه النتائج المحزنة ؟ أو ذنب التركمان والاكراد ، الذين حملتهم همجيتهم على الفتك بجيرانهم واخوانهم ؟ او ذنب اوربا التي دفعتهم الى طلب الحرية ثم تخلت عنهم ؟ او ذنب انكلترا وحدها التي ارادت ان تقيم من الجسم الارمني حاجزا حصينا يصد روسيا عن الامبراطورية العثمانية في اسيا ، او ذنب امبراطور المانيا وحده الذي اراد ان يشتري صداقة يلدز بدماء الارمن ؟ او ذنب روسيا وحدها التي اباحت دماء الارمن لمقاصدها السياسية المعلومة ؟

اوهل الحق على الديانات وواضعيها ، التي اقامت الاخوان خصوماً

او ان المسألة من الله عز وجل ، قضى بها لحكمة خفيت على عقولنا؟ سواء كان هذا او ذاك ، أي سواء أكان الحق على الارمن ، ام على الترك ، أم على انكلترا ، أم على المانيا ، أم روسيا ، ام اوربا ، ام على النصرانية ، ام على الاسلامية ام على الجميع على السواء ، او ان لم يكن من لوم على احد ، وان الامر من الله ، على كل حال ، فما حل بهم هو شيء فظيع ٠ هذا الذي اريد تقريره. واترك لله وللتاريخ الحكم في موقع المسؤولية .

اما ما حل بهم في خلال سني الحرب الاربع سنة ١٩١٤ ١٩١٨ فمما لا تقوى على وصفه الاقلام — وهذا ايضاً ليس من اغراض تاليفي ــ فلا اريد ان اشوش عقل القارىء بغير المقصود. فالذي اروم حصر النظر فيه هو هذه النقطة : بقيت من الارمن بقية ، ورفعت هذه البقية نظرها الى اوربا وسألتها ،المساعدة ، بتعيين دولة حامية لها :

هذا هو محط النظر ، احسن الارمن او اساءوا . فسمعت اوربا للارمن ، وقررت استقلالهم ، تحت وصاية ، واذ رفضت امريكا حمايتهم عمد الحلفاء اي استقلال قطعة من بلاد قوقاسيا باسم الجمهورية الارمنية ، يلجأ اليها الارمن الغريبون من تلك الاصقاع ، وقرروا ان تحمي فرنسا ولاية ادنه ــ او اطنة ــ مع انتدابها على سورية . فكان الباقون من سناجق ولاية حلب ــ مرعش واورفه وعينتاب واسكندرونة وانطاكية ــ مع ولاية ادنه تحت حماية فرنسا .

هذا الذي اريد تقريره أولا . وهذا هو موضوع البحث

قبلت فرنسا بذلك ،وارسلت جنودها المدربة، مصحوبة بالذخائر

والمؤن الى وادي سيحون والفرات . فحلوا تلك الاصقاع ، وشرفوا جوها بالعلم المثلث . فعلق الارمن آمالهم على فرنسا . ووضعوا يدهم بيدها . . وتجند شبانهم تحت لوائها . وخضعوا لاحكام قوادها . وباعوا ارواحهم رخيصة في ميادينها . وكان المنتظر ان تحرز فرنسا شرف القيام بحماية امة اخنى عليها الدهر بكلكله . فتثبت عطفها وحنانها وامانتها وصدقها وانسانيتها، بالذود عن حياة الارمن ومالهم وعرضهم وجاههم . وتثبت شهامتها في عدم التخلي عمن وثقوا بها ، وصدقوا وعودها ، وعرفوا أهليتها الحربية . وبذلك تصون هيبتها في الشرق .

فهل قامت فرنسا بذلك ؟ .

هل حمت الارمن ؟ . هل ضمنت سلامتهم وحقوقهم ؟ . واقرتهم فى اوطانهم ؟ . لا ادري اذا كان يوجد من يقول « نعم » ولو انه العميد الذي اخاطبه بمؤلفاتى . هل قامت فرنسا ، يا فخامة العميد ، بوعدها للارمن لحمتهم ورعتهم ؟ .

لا أدري اذا كان هنا لك من يجرؤ على القول ان فرنسا قامت بمواعيدها . وهب انه وجد من يقول هذا القول . فما هي قيمة قوله وتقارير فرنسا الرسمية ضده ؟ .

بل ما نراه ونسمعه ونلمسه هو ضده ؟ .

لا اطرق باباً من ابواب البحث الا واراني امام فرنسا في موقف المشفق العطوف . واراني حائراً فى امري . فاذا قلت غير الحقيقة كان ذلك مني انتحاراً روحياً واذا قلت الحقيقة كنت خصما لفرنسا : والحق انى لست خصما لها . بل أنا خصم الباطل والفساد . ولكن

فالحق اولى بان يقال ، ولا يكونن للمؤلف نعرة ولا حزب ، ولا طائفة ولا جنسية ولا دولة بل فليكن كالنور يضرب في عرض الفضاء دون تحيز . هكذا اراني امام فرنسا لذلك اعرض عن التعليق والتعريض ، واقتصر على الرواية .

جاء في برقيات ٥ شباط سنة ١٩٢١ ما نصه : —

جاء من مرعش ان عصابات تركية لجأت الى اعلى الجبال . فقصدت اليها قوة من الجيش الفرنسي ، فنكلت بهم تنكيلا ، وقتلت من رجالها ١٣٠

ونشرت جرائد بيروت البلاغ الرسمي الذي اصدرته السلطة الفرنسية وهو : —

« علمنا ان قرية حمام التي تبعد ٣٠ كيلو متراً عن حلب من جهة طريق اسكندرونة قد هاجمتها عصابة من الاشقياء ، عددها من ٥٠٠ الى ٦٠٠ رجل . غير ان قو مسيرنا العالي — الجنرال غورو — المستيقظ ، لم يفت ادراكه امرهم . فاوفد وقت هجومهم ثلة من الجنود لنجدة اهالي تلك الناحية . فابلت فيهم البلاء الحسن . معيدة ما فعلته جنودنا البواسل في الحرب الكبرى من الفنون الحربية . فقتلت منهم ٥٠ رجلا . واسرت ١٧٠ رجلا . اما الباقون فانهزموا شر هزيمة ، وهم لا يلوون على شيء » :

هذا هو نص البلاغ الفرنسي الرسمي

وسنتقدم للوقوف على حقيقة الواقع : فيكون لهذا البلاغ حظه من الاعتبار او عدم الاعتبار .

جاء في الصحف السورية ما نصه : —

« ثار اهالي جرابلس عند الفرات ، وخربوا السكة الحديدية . فسيرت الحكومة قطارا فيه ٢٠٠ جندي ومدافع رشاشة . فنزل الفرنسيون من القطار . وساروا لمقاتلة الثائرين . فعاملهم هؤلاء بالمثل . وصدوهم ـ اي صدوا الجنود الفرنسية ـ فعادوا الى قطارهم تاركين وراءهم ٤٠ من القتلى و ٦ مدافع رشاشة :

وجاء في جريدة المفيد بتاريخ ٩ و ١٠ شباط سنة ١٩٢١ : قتل الاتراك ٢٥٠ جندياً فرنسياً في ضواحي جرابلس شماليها، واستولوا على المراكز وظهرت العصابات في ١٧ مكانا في آن واحد . وحاصروا خمس محطات من ذلك الخط . وخربوا بعض الجسور . ولا تزال الثورة تمتد . وخافت الحكومة العربية ثورة الاهالي اذا مرت في منطقتها نجدات فرنسية ذاهبة لمعونة القوة الفرنسية المهددة بزحف الاتراك والاكراد :

ونشرت جريدة الدفاع الدمشقية مايلي: —

« تفيد الانباء الاخيرة ان قد امتد لهيب الثورة الي ادنه وانحائها وانحاز الاهالي هناك الى العشائر الثائرة . وقام الجميع على القوة الفرنسية واعملوا فيها الفتك . فقتلوا كثيرين بينهم ١١ ضابطا ويظهر من الانباء ان العصابات التركية في جهات ادنه ومايجاورها تعمل عملا منظما . فقد ذكرت الانباء ان جميع من يقع في أسرها من الجنود الفرنسية يرسل في سيارات ومركبات خاصة الى سيواس رأساً :

والذى أقوله على مسؤوليتي ان نشر هذى الاخبار في سورية يحرك فى نفوسهم ثائرة القيام على فرنسا . فيعاملونها بمثل ما عاملتها عصابات الاتراك فى ادنه . فسقوط الجيش الفرنسي أمام تلك

المصابات هو مقدمة منطقية للثورة في سورية

وأعود الى نشريات الصحف السورية جاء في ٢٥ شباط — :

ابلغت القومسيرية الفرنسية العليا فى بيروت الجرائد مايلي : نشرت شركة ليون الفرنسية اللاسلكية في ٤ شباط الجارى خبراً مبتوراً بشأن المسألة التركية . وقع التباس في ترجمته ، وهو ان فرنسا ستعطى امثولة من النزاهة با كتفائها بكيليكية : ان النقط الواردة في هذه البرقية نقطة كيليكية ناشئة عن التأثير الذى احدثته الحالة الجوية في البرقية المذكورة بحيث اشكل معناها وحقيقة هذه البرقية انها لاتتناول غير حل المسألة التركية ، ولا دخل فيها للمسألة السورية، التى لم يطرأ عليها شيء من التغيير لان السلطة التركية قد انتزعت عنها نهائياً . فاصبحت خارجة عن الاتفاق الذى سيعقد بين فرنسا وتركيا بشأن كيليكية . والجملة التي وردت النقطة فيها لايراد بها الا الاتفاق المنوى عقده :

ان سبب هذا الاستدراك من المفوضية هو الاشاعات المتواترة عن رغبة الترك بالزحف على سورية . وظلت هذه الاشاعات الى سنة ١٩٢٣ . حين تم الاتفاق نهائياً بين الاتراك وبين فرنسا على اعطاء سنجق اسكندرونة صفة استثنائية . فاعتقد جميع الناس ان ذلك مقدمة انضمام ذلك السنجق الى الاناضول .

والان أتتبع نقط الحوادث المؤلف منها خط انسحاب فرنسا من الشمال : جاء بتاريخ ٢٩ أذار سنة ١٩٢١ مانصه : —

هاجم الثوار جرابلس فاخلاها الفرنسيون خوفاً من قطع خط الرجعة عليهم ، وانسحبوا الى كلس :

في ١٠ حزيران سنة ١٩٢١ : —

بمناسبة تقهقر فرنسا امام الاتراك انشأ القومندان جان جبريل الفرنسي مقالة عن حوادث مرعش واورفه وسيس قال : اصبحت الحالة مرتبكة في تركيا الاسيوية . فقد هوجمت اورطة من جنودنا منذ شهرين في مرعش التي تبعد عن حلب ٥٤ كيلومتراً ، و٥٠ كيلو متراً عن سكة حديد بغداد . فانفصلت تلك الاورطة عن قواتنا النازلة في جهة حلب ، واضطرت الى التقهقر امام قوات الجنود النظامية التركية ثم تحول هذا التقهقر الى فشل شديد . لان الاراضي الممتدة من مرعش الى خليج اسكندرونة صعبة جداً . فلا يسهل على قوة متقهقرة ان تسوق مركباتها وبطارياتها وهي تقابل عدوها في مثل تلك الاراضي الوعره

ولما ترامى خبر هذا التقهقر الى فرنسا قال الجمهور الفرنسي انها مناوشة خسرنا فيها مئات من الجنود ولن تتجدد . ولكن ما انقضت اسابيع قليلة حتى أصبنا بفشل آخر في أورفه . وهي تبعد عن حلب ١٨٥ كيلومتراً من الجهة الشمالية الشرقية ، تحميها قلعة مشرفة عليها وخنادق منقورة في الصخر عمقها ١٢ قدما . وكان لنا في أورفه اورطة ، نصفها من الجزائريين والسنكاليين . فاخذت العصابات التركية التي ألفها مصطفى باشا كمال تحاصرها منذ ١٥ ابريل الماضي . فقاومتها وقطع عمال الترك المؤونة عنها وهدموا مجارى المياه التي كانت تشرب منها . فاضطرت الى ترك أورفه ، بعد الاتفاق مع مصطفى باشا كمال . وبينما كانت تتقهقر بغتتها عصابات من الاتراك والاكراد أكثر منها عدداً فخسرنا ٥٠ رجلا بين قتيل وجريح

ومفقود . من تلك الحامية ، التي حلت محل الجنود الانكليزية في اورفة لتبقي الى ان يعقد الصلح النهائي . وعلى أثر هذه الحوادث ازدادت هجمات العصابات التركية الكردية ، وكثر عددها في كيليكية . وبلغنا اخيراً ان الترك حصروا جنودنا في عينتاب وسيس. وان العصابات وصلت الى طورس ومرسين . فارسل الجنرال غورو فصيلتين لانجادهم ، أحداها بقيادة الكولونيل نورمان ، فرفعت الحصار عن سيس، والثانية لانقاذ بوزانتي،آخر نقطتنا على سكة الحديد.

ولا تزال الفتنة تشتد وتمتد في جهة مرسين . ان الحوادث التي جرت ليست الا وقائع منفردة . وهي مقدمات لحوادث اعظم منها ، ينوى الترك والكرد ان يقوموا بها .

هذه المقالة بقلم قومندان فرنسي صريحة الدلالة على صدق أخبار الصحف السورية ، وسقوط الجيش الفرنسي امام عصابات مصطفى باشا كمال . والبرقيات والمقالات من هذا النوع كثيرة لاطائل في سردها . والذي اريد اثباته هنا هو نتيجتها القطعية وهي انسحاب فرنسا من تلك الجهات . هذا الذي اسوق اليه مطايا البحث . وفي ٢٣ ت ٢ سنة ١٩٢٣ تم الاتفاق بين الاتراك والفرنسيين بخصوص كيليكية التي كانت فرنسا قد استلمتها من الحلفاء فان فرنسا لم تدخل كيليكية بالسيف ولكنها خرجت منها بالسيف. وكان الانتداب عليها من درجة ب . اي دون سورية وقد . قدمت اللائحة الى مجالس انقره وباريس لتوقيعها . ومندرجاتها ثلاثة أمور

١ : انهاء الحرب بين فرنسا وانقره

٢ : اطلاق سراح الاسرى الفرنسيين الذين بيد الترك

٣ : انسحاب الجنود الفرنسية من جهات كيليكية في خلال شهرين من الزمان

وقد وقع هذه اللائحة مسيو بريان وسامي بك .

والخلاصة ان فرنسا قد ارغمت على اخلاء كيليكية وعينتاب واورفة ومرعش بعد نحو سنتين من دخولها

الدوي الهائل الذي احدثه

انسحاب فرنسا

وكان لاخلاء فرنسا تلك الاصقاع دوي هائل في اوربا وفي كل الارض . كما يستفاد من البرقيات التالية ، وهي قطرات من يم مما نشرته شركات البرق بهذا الشأن .

واعترضت الحكومة الانكليزية على فرنسا اعتراضاً شديداً ، فقدم اللورد كرزن ناظر خارجيتها مذكرة بهذا الشأن لحكومة فرنسا. يطالبها بها بحماية الاقليات ، ويذكرها بها أن مسيو بريان قطع عهداً في تموز سنة ١٩١٤ بان لا يصالح تركياً منفرداً ، بل بالاتفاق مع حليفته انكلترا . هذا ما قاله الانكليز .

وجاء في برقيات هافاس بتاريخ ٢٣ ت ٢ سنة ١٩٢٢ ما نصه « نظر مجلس الوزراء الانكليزي بعد ظهر امس في الاتفاق الفرنسي الكمالي وسترسل انكلترا مذكرة بهذا الشأن الى فرنسا :

وعن لندن في ٢٧ ت ٢ سنة ١٩٢٢

تؤكد شركة هافاس ان مجلس الوزراء البريطاني قرر ارسال مذكرة الى الحكومة الفرنسية . وسيصر بها على ان اتفاق انقرة ليس اتفاقاً محلياً ـ كما ادعت فرنسا ـ وانه يمس عمل الحلفاء في

الشرق الادنى . وان فرنسا « اخلت بعقد ذلك الاتفاق في امر التضامن الذى اندمجت به مع الحلفاء . وان بريطانيا قد تضطر للدفاع عن مصالحها فى الشرق الادنى وستكون هذه المذكرة من حكومة الى حكومة : وستسلم الى الحكومة الفرنسية فى هذا الاسبوع

وعن لندن فى ٢٤ منه : « خطب اللرد كرزن فى مأدبة في ستي هول (قاعة المدينة) فاستطرق الى الكلام عن الاتفاق الفرنسي الكمالي فقال : —

« ان الصلح بين الترك واليونان لن يعقد اذا حاولت دولة من الدول ان تسابق سائر الدول خلسة ، وعقدت اتفاقاً منفردة . فان هذه التدابير تؤدي الى مآزق يستحيل الخروج منها : »:

ان المذكرة الانكليزية . مسبوكة في قالب المخاطبات السياسية، ويرون فى عباراتها منتهى ما تبلغه مذكرة دولية من الشدة . فانها ابانت بصراحة تامة ان انخذال فرنسا في الاناضول يمس منزلة الدول الاوربية في الشرق . وان فرنسا لا تملك هذه الصلاحية حتى تتخلى عن اراضي للترك . لانها استلمت تلك الاراضي من ايدي الحلفاء . فكان عليها ان تردها للحلفاء ، او انها تراجع الحلفاء في امرها اذا هي عجزت عن حمايتها .

هذه كانت المحادثات بين الدول . فاسمع ما ذا كان يجري في حلب في تلك الاوقات

٢٦ ت ٢ سنة ١٩٢٢ : ـ

دعا الجنرال دي لاموط ، مندوب المفوض السامي بحلب ، وقائد قواتها الفرنسية الحربية ، في ذلك الحين ، رجال الحكومة الحلبيين

والرؤساء الروحيين ، واعيان المدينة ، وكبار تجارها . والتي عليهم بيانات هي على جانب عظيم من الاهمية ، قال : —

اعرف اضطراب اهالي عينتاب ومرعش واورفه - الارمن - على انني انصح لهم ان لا يتسرعوا ، ولا يستسلموا للمخاوف . وهل تختلف حالة اهالي عينتاب عن سواهاء لانهم حاربوا الاتراك (تحت اعلام فرنسا) . فاذا شاءوا الانتقال فانا اسهل عليهم ذ ولكنني اقول لارمن عينتاب ان الضمانات التي اتخذت بشأ وافية جداً .

وهذه برقية وردت الي من الجنرال غورو ، يقول فيها بوجوب لفت انظار أهالي عينتاب الى ان مصلحتهم تقضي بأن يبقوا فيها ، ولا يبرحوها قبل وصول مندوب الحكومة الفرنسية ، الذي سيصل مع المسيو فرنكلان بويون :

لندن في ٢٨ ت ٢

وصلت ثغر الاسكندرونه ثلاث بواخر غاصة بالارمن ، القادمين من مرسين . ولم يستقر القرار بعد على السماح لهم بالنزول الى البر

تعني هذه البرقية ان الارمن ، الذين كانوا حماية فرنسا ، وقد حاربوا تحت اعلامها ، حاربوا اخوانهم وجيرانهم الاتراك ، والآن وقد انخذلت فرنسا امام الاتراك وانسحبت من البلاد ، وخاف الارمن على ارواحهم واعراضهم ، فاخلوا هم ايضاً البلاد ، وبرحوها وهم لا يلوون على شيء مخافة فتك الاتراك بهم انتقاماً . هؤلاء الارمن التاعسون ، لما وصلوا مياه الاسكندرونه حيث يرجون عطف فرنسا عليهم ، والاخذ بيدهم ، جزاء معاونتهم جنودها ، لم

الآن بالبواخر، في عرض البحر ولم تأذن السلطة لهم بالنزول الى البر . هذا فحوى البرقية .

ولست اريد ان اعلق على هذه الانباء ، وهي بالحقيقة في غنى عن التعليق . فانتقدم الى انباء برقيات ومقالات هذا الموضوع .

باريس في ٢٩ ت ٢

قالت الطان الباريسية بمناسبة اتفاق انقره : —

ان وجود قائد انكليزي في الاستانة ، وقائد الاسطول الانكليزي في الدردنيل ، وقائد البارجة كنكورد في مرسين. . . لا تترك للترك مجالا للريب في وجوب رضا انكلترا للوصول الى سلم عام . وليس في بريطانيا حكومة تستطيع ان تقول ان فرنسا يجب ان تبذل جنودها ومواردها في تركيا . وليس في فرنسا حكومة تسلم بذلك .

اقول ، ان في هذه البرقية صراحة تامة في ان فرنسا مقهورة في الاناضول . وانها عديمة الامل في حفظ مركزها . ولا اريد ان ناقشها في ذلك بل اريد ان يكون مفهوماً عند القارىء ان تخلي فرنسا عن كيليكية وشمالي سورية لم يكن « مثال النزاهة » بل ظاهرة سقوط عسكري اذا لم اقل اكثر من ذلك .

جاء في المورنن بوست الانكليزية : —

ينتظر ان يكون لنشر شروط الاتفاق بين فرنسا والترك وقع سيء جداً في نفوس العرب . فقد روعي في معاهدة سيفر ان تكون الحدود بحسب العهدة التي قطعتها انكلترا للملك حسين سنة ١٩١٥ . وقد اتفق على تعيين هذه الحدود لاعتبارات جنسية ، خطأ

فاصلا بين البلاد التي يتكلم اهلها العربية ، والبلاد التي يتكلم اهلها التركية . اما الاتفاق التركي الفرنسي الاخير فينص على ان تعيد فرنسا لتركيا بلاداً طولها ٣٠٠ كيلو متر ، وعرضها يتراوح بين ٣٠ و ٦٠ كيلو متر (فتكون مساحتها بين ٩٠٠٠ و ١٨٠٠٠ كيلو متر مربع) . فيدخل في ذلك عينتاب وبيره جيك واورفه ومرعش ونواحيها . مع ان هذه المواقع حررت من الترك سنة ١٩١٨ . فصارت الآن في عيون العرب في حكم الاراضي غير المحررة ، بل المفقودة والمسألة التي يدور عليها البحث الآن هي :

« هل لفرنسا صلاحية بصفة كونها منتدبة لسورية أن تتنازل عن مقاطعة من بلاد الدولة التي انتدبت لها » ؟ .

زد على ذلك ان الترك صاروا الآن اصحاب السلطان على جانبي السكة الحديدية الوحيدة التي تصل سورية بالعراق العربي . وصار في وسعهم ايضاً ان يتمتعوا بالمزايا الحربية والاقتصادية العديدة التي يخولهم اياها مركزهم على جانبي السكة الحديدية » . انتهى كلام مورنن بوست

لندن في ١٩ ت ٢ سنة ١٩٢١

تقدمت رسالة اللورد كرزن الى سفير فرنسا بلندن بتاريخ ٥ ت٢ سنة ١٩٢١ : سرد فيها اعتراضات الحكومة البريطانية على اتفاق فرنسا مع انقره . — ولم اكد اصدق ان الحكومة الفرنسية تقبل الاتفاق في صيغته الحالية . فانه يتضمن الاعتراف الصريح بان مجلس انقرة الوطني الاكبر هو الحكومة صاحبة السلطة في تركيا . واذاً يكون الصلح مع انقرة مناقضاً للمعاهدة الفرنسية البريطانية المعقودة

في ٤ ايلول سنة ١٩١٤ ، وعهدة لندن في ٢ ت ١٩٢٥

وليس في المادة الثالثة ضمان لتنفيذ وعود الكماليين بحماية الاقليات المسيحية . ثم ان تعديل حدود سورية الشمالية كما جاء في مادة ٨ ليس من اختصاص فرنسا وحدها . لان هذه الحدود عينت بمعاهدة سيفر

وفي الختام أقول ان الحكومة البريطانية لا ترى ان الاتفاق في صيغته الحالية ، التي هي وقتية لا محالة ، يشبه الاتفاق المحلي الذي ذكره مسيو بريان . بل ترى فيه اتفاقاً منفرداً عقده احد الحلفاء مع حكومة معادية من غير ان يستشير سائر الحلفاء . وتأثير هذا ضار بسياسة التعاون التي ما فتئت الحكومة البريطانية تؤمن بها والتي جرت عليها بلا استثناء رغبة منها في احلال السلام العام في الشرق الادنى . فالحكومة البريطانية تنتظر ايضاحاً ودياً وافياً بجميع هذه الامور التي توافق عليها الحكومة البريطانية اجتناباً لاسباب النزاع وسوء التفاهم »

هذا بعض ما في مذكرة ناظر خارجية بريطانيا .

واليك برقية أخرى عن لندن ١٨ ك ١ سنة ١٩٢١

روتر : عقدت اللجنة البريطانية الارمنية اجتماعاً حافلا وافقت فيه على قرار بالاحتجاج على اعادة كيليكية للترك ، والمطالبة بالوفاء بالعهود التي قطعت للارمن في اثناء الحرب ، والالحاح في اثناء سير المفاوضات على مسائل الشرق الادنى في انشاء وطن قومي للارمن مستقلا تمام الاستقلال عن تركيا :

وعلي كمورخ مدقق ان اثبت هنا ان الاستياء من تصرف فرنسا

هذا لا ينحصر بانكلترا بل شمل غيرها من دول الحلفاء ، ومن جملتها ايطاليا . واليك ما جاء تحت عنوان « ايطاليا واتفاق انقره» رومية في ٢ ك ٢ سنة ١٩٢٢ . قال المسيو دي توريتا اليوم للجنة الامور الاجنبية الخارجية في مجلس النواب : —

ان الاتفاق الفرنسي التركي عرضة للاعتراضات ، ليس من جانب الحكومة البريطانية فقط ، بل ايضاً من جانب الحكومة الايطالية » .

هذا هو نص البرقية الايطالية وهي واضحة ، كما ان اساسها السياسي واضح لارباب الاطلاع . ولكنني لست اريد ان اذهب في الشعاب ، بل استأنف سيري الى الامام في شرح هذه النقطة المهمة . فأقول . ان الاستياء من تصرف فرنسا في الاناضول لم ينحصر في دول الحلفاء ، بل تجاوزها الى فرنسا نفسها . جاء عن باريس بنفس التاريخ الآنف ما نصه : —

اخذت المعارضة للاتفاق الفرنسي الكمالي تظهر من أيام في بعض الدوائر السياسية الفرنسية .

وقد ارسل أكثر من مائة عضو من اعضاء مجلس الشيوخ بينهم مسيو بوانكاره كتاباً الى مسيو بريان اعربوا فيه قلقهم عن الشديد من جراء التعديل الذي طرأ على سورية ، وجعل الاسكندرونة تحت رحمة المدافع التركية . وقالوا ان المسيحيين من اهالي كيليكية تعرضوا لخطر عظيم من جراء جلاء الفرنسيين . وطلب مرسلو الكتاب الكف عن الجلاء الى ان تتوفر الضمانات الاكيدة للمسيحيين » :

فليتأمل القارىء ذلك جيداً . وليذكر من يود الدفاع عن سياسة فرنسا في الشرق بالمائة عضو أي مجلس الشيوخ ، وعلى رأسهم مسيو بوانكاره - رجل فرنسا العظيم - فلا اظن ان المتحيز لفرنسا تحت سمائنا يكون أكثر غيرة عليها من هؤلاء الاقطاب . فالمسألة ليست بسيطة . وفيها ما فيها .

هذا قليل من كثير مما تناقلته صحف اوربا وامريكا واسيا ومجالسها النيابية ، ودوائرها الوزارية وجمعياتها الدولية ، مما يتعلق بالمسألة الارمنية . وهو واضح الدلالة على منزلة الاتفاق التركي الفرنسي في نظر العالم المتمدن عموماً ، وفي نظر ارقى طبقات الهيئة الاجتماعية خصوصاً . ولا اشك في ان مسيو بونسو ينظر بالاشمئزاز الى ذلك الاتفاق ، لانه يعلم انه اسقط هيبة فرنسا في الشرق ، واضر بمصالحها ضرراً بليغاً . وان تخليها عن أرمن كيليكيا وشمالي سورية ليس في مصلحتها ولا اظن ان فخامة العميد يستخف بالمائة عضو الشيوخ ومسيو بوانكاره الذين خاطبوا مسيو بريان رئيس الوزارة الفرنسية - مستنكرين هذا الامر .

لست اقول ان رجالات فرنسا بالاناضول قد ارتشوا ، او انهم اغفلوا واجبهم ، ليس هذا المراد .

فقد يكونون احسنوا صنعاً ، وانهم كانوا غاية في الحكمة — دعني افرض ذلك - وانهم فوق انكار المنكرين ، وتفنيد المفندين ، وان يكن بين اولئك المنكرين المفندين اللرد كورزن ومسيو بوانكاره وغيرهما بعواصم اوربا وامريكا ، وفي كل الارض .

ولكن غرضي الخاص هو هذا : ان انسحاب الفرنسيين من

كيليكية اسقط هيبتهم في الشرق اسقاطاً فاضحاً .

وذلك باعتبارات عديدة اشير اليها بمختصر الاشارات

الاعتبار الاول . ان السوريين وهم على مقربة من كيليكيا ، بل هم على مرأى ومسمع مما حدث . وقد تواردت عليهم جماعات المهاجرين من الارمن ، وهم لا يلوون على شيء ، وقد علموا انهم كانوا يعلقون ثقتهم بحماية فرنسا ، حصل فيهم - اي في السوريين - ولا شك ، شعور عميق بعجز فرنسا . ولا يمكن ازالة ذلك الشعور بعشرات السنين . وليس حصوله في النفس اختيارياً بل هو ضربة لازب . والنتيجة انهم استصغروا فرنسا . أصابوا في ذلك ام اخطأوا؟ ليس هذا من شأني ، قد يقال انهم اصابوا ، وقد يقال انهم اخطأوا وقد يعذرون وقد لا يعذرون . ولكن الواقع هو الذي اقرره هنا . وهو ان السوريين راوا في الفرنسيين انحطاطاً بحرمهم الاحترام الذي كان في نفوس السوريين لهم من ذي قبل . فقابلوا ما اصاب كيليكية واهالي كيليكية ، بما جنت مصر والمصريون في خلال الاحتلال البريطاني في ذلك القطر السعيد ، فسجلوا لكل من بريطانيا وفرنسا درجة من الاحترام هي غير ما لاختها . وقد ينكر المصرى فضل الانكليز على قطره . وقد يكون المصري على هدى في انكاره . مع ذلك فقد رسخ في نفوس عامة السوريين ، ولا سيما المسلمين منهم ان مصر سعدت ببريطانيا . فهم يحترمونها ويقدرونها فوق قدر فرانسا كثيراً .

الاعتبار الثاني . لما رأت الاكثرية غير المسيحية . في سورية ، فلول الجيش الفرنسي تنسحب من الاقطار الشمالية تحت رصاص

الاتراك ، على النحو الذي وصفه القومندان « جان جبريل » ، نشأ فيهم استخفاف بمقدرة فرنسا ، شجعهم على التحدث بالقيام عليها قائلين اذا كانت عصابات الاتراك قد اجلتها عن ربوعهم فنحن ايضاً

الاعتبار الثالث : قد ذكر السوريون بلاغات المفوضية الرسمية التي كانت تنشرها بينهم ، تحتقر بها المجاهدين الترك ، وتلقبهم الاشقياء ، وانها دحرتهم الخ . ثم رأوا الجنود الفرنسية تنسحب امام « عصابات الاشقياء » مخذولة ، تاركة وراءها جثث المئات والالوف من قتلاها، فنشأ فيهم يقين جديد في منزلة فرنسا الادبية . لا شيء يحقر دولة من دول الارض ككذب بلاغاتها ، وافتضاح امرها ، ببزوغ انوار الحقيقة . فكان تلك البلاغات كانت تروم ان تحجب السموات ،، بالقباوات . ،،

انى اذكر ، وليس بدون خجل ، جماعات الارمن في حلب والشام وبيروت وغيرها من مدائن سورية . وانهم اجلوا عن ديارهم وخسروا ارزاقهم وكرامتهم جزاء ثقتهم بفرنسا واذكر جيداً كتابات الصحف السورية ، واحاديث السهرات ، التي حرمت فرنسا الشهرة الحربية التي منحتها اياها معارك المارن وفردون وامبيان وشيمن دي دام. فاين كبار قوادها ؟. واين ابطالها الكماة واين حكمة اركان حربها ؟ - واين - واين - واين ؟ .

فرنسا زعيمة الحلفاء عسكرياً ، والدولة التي قادت خمسة أو ستة ملايين في الجهة الغربية ، من جنود الانكليز والامريكان عدا جنودها وجنود ايطاليا ، وهم لا يقلون عن ذلك العدد ، واحرزت

الفوز النهائي بحسن ادارتها ، وبسالة جنودهـا ، افتنسحب الآن امام عصابات تركية ؟ .

سقطت تركيا اولا امام ايطاليا بطرابلس الغرب ، وبنغازي : ثم جرفتها جيوش دويلات البلقان المتحدة . فاخرجتها من ديارها خالية الوفاض بادية الاوفاض . فلم يمكنها أن تقف على قدميها الا متوكئة على ذراع المانيا والنمسا . فامدتاها بالاسلحة والذخائر والقواد والاموال . مع ذلك لم تقدر ان تحفظ مركزها امام جزء صغير من الجنود البريطانية . هو اقل من عشر جيوش بريطانيا . فدحرها فساقها امامه من ترعة السويس غرباً ومن شط العرب جنوباً ، الى ما وراء طورس شمالا والموصل شرقاً . والخلاصة ان جزءاً صغيراً من الجيش الانكليزي سحق الجيوش التركية بفلسطين والعراق وسورية ، بما فيه من ضباط المان ، ومدفعيون نمسيون . فكم كان لهذا الفوز من الرنين ، والطنطنة في نفوس السوريين ؟ .

اخبرني اسوجي اسمه دونالدسن ، كان في طهران العجم قال :

— انه كان لسقوط القدس الشريف بايدي الانكليز تأثير لاحد له في نفوس الفرس .

ونشرت صحفهم المقالات الضافية تصف بها فتح عواصم الامويين والعباسيين بقوة الانكليز وحدهم . بل بقوة جزء صغير من جيوشهم ، على ما سبق بيانه : فاعلى ذلك منزلة الانكليز في عيون الاقوام ، وصارت بريطانيا عندهم مناط الآمال في كل الشؤون فاحترموها كثيراً . ولا غرابة في ذلك فالقوة معبودة في الشرق . او ليس لهذا السبب اله اليونانيون ابطالهم ؟ .

فليتصور القارىء الحالة ، لما انسحبت الجيوش البريطانية من شمالي سورية ، وحلت الجيوش الفرنسية محلها . وجاء دور الاهالي ليروا ما في الجيش الفرنسي من المزايا الحربية ، وما في سياسييهم من المزايا الادارية ، فرفعوا عيونهم ليروا ابطال المارن وفردون. وعلى ما سيرون ستؤسس منزلة فرنسا في عيونهم . لانهم لا يعلمون من امر فرنسا ما يعلمه الخاصة سياسياً وعسكرياً. معلوم ان الفرنسيين يفوقون الاتراك كثيراً في فنون العسكرية ، وفي معدات القتال ، . ولا سيما ان الذى امامهم اليوم انما هو فلول الجيش التركي . او كما يدعونها « عصابات » وان شئت فقل« اشقياء». فقد ختمت الحرب الكبرى باحتلال الحلفاء عاصمة آل عثمان ، وانسلاخ اقاليم اليمن والحجاز ومصر والعراق وكردستان وسورية ولبنان وفلسطين والجزر عنها . والباقي منها قسمان ، قسم بيد الخليفة العثماني ، اعني القسطنطينية وما حولها ، وقسم مع مصطفى باشا كمال ، وهو انقره وما حولها .

وبعض هذا القسم كان يناوىء فرنسا اعنى ان جزءاً صغيراً جداً من الجيوش التركية كان يحارب فرنسا . فاذا كان جزء من الجيش الانكليزي قد سحق مجموع القوات العثمانية بالدردنيل والعراق وفلسطين ، وانتزع منه كل الاقاليم العربية ،الواسعة النطاق الممتدة الآفاق . فما هو موقف جزء صغير من الجيش العثماني تجاه ابناء السين والغارون ؟ .

افيمكن ان تثبت حفنة من الاتراك امام ابطال اراغون ؟ .

هذا هو الموقف الروائي .

فاي تأثير واية دهشة شملت العقول لما نكصت الجيوش الفرنسية امام حفنة ضئيلة من الجيش التركي المسحوق المبعثر ؟ .

وانسحب الفرنسيون من تركيا يتعثرون باذيال الخيبة؟ وكان خروجهم من ادنه ولا خروج نابليون الاول من موسكو سنة ١٨١٢ . فاخلى الفرنسيون مرعش واورفه وعينتاب وسيس وبوزانتي وطورس وادنه وترسيس ومرسين وضواحي هذه المدن . وسيوف الاتراك تعمل في اقفيتهم . وزد على ذلك انهم بالغوا في الزلفى لمصطفى باشا وسلموه اسلحة ٤٠ الف جندي و ٣٠٠٠٠٠٠ جنيه

فاين كان الذكاء الفرنسي الذي هو مضرب المثل في التاريخ واين كانت الشهامة الفرنسية التي لا يجهلها خبير ؟ ؛ واين كانت السياسة الفرنسية المعروفة ؟ . لا ادري ولا المنجم يدري . والذي اعلمه ان انخذال الفرنسيين امام مصطفى كمال هو انخذال كبير .

وكانه لم يكف ما حدث لخفض فرنسا ورفعة انكلترا في عيون الشرقيين . فانزاح الستار عن فصل آخر على مسرح التاريخ رجح كفة الانكليز كثيراً . واليك البيان

بعدما قهرت اطراف الجيوش الكمالية الفرنسيين في شمالي سورية ، واخرجتهم منها بالذل والخيبة ، وبعد ما فاز مصطفى كمال على اليونان في المعركة الفاصلة على نهر سكاريا ، وانقذ انقرة وبقية السلطنة العثمانية، ولما تحول مصطفى كمال باشا من مدافع الى مهاجم وساق الجحافل اليونانية الظافرة امامه سوق النعاج امام الاسود وبعد ما حل أزمير وقضى على العنصر اليوناني فى اناضوليا . وبلغ ابواب الاستانة ، وقف الاسد البريطاني في وجه الابطال الاتراك

وقد لعبت ثورة - خمرة النصر - فى رؤوسهم ، فكانوا ثملين بانتصاراتهم . وقوتهم هنا اكثر من عشرة اضعاف قوتهم فى اقاليم طورس امام فرنساوهم رابضون فى بروصهواسكودار ليس كشراذم او عصابات اشقياء ، بل كجيوش منظمة ، لها مجلس اركان حرب ، وضباطوفرق زين النصر اعلامها ، وهي متعطشة لاكتساح البلقان ، واعادةامجاد آل عثمان . فى هذا الموقف الذي يهزالاعصاب وقف الاسد البريطانى فى وجه مصطفى باشا، ووجه جيشه الظافر وقال لهم : — لن تدخلوها :

وقفت الدولة التي عرفت للشهامة معنى وللشرف العسكري الف معنى . بصمت قدمها على ضفاف الدردنيل والبوسفور ، ولم تبرح حتى اخمدت ثورة الحماسة ، ووضعت الحد لمصطفى باشا وجنوده ، وافهمتهم انهم لن يفعلوا فى القسطنطينية ما فعلوا في ازمير . فصانت دماء واعراض واموال نصف مليون من الارمن واليونان كانت الجيوش الكمالية متعطشة لسحقهم وتدميرهم . ولم يجرد مصطفى كمال في اقفية الانكليز السيف الذي جرده في اقفية الفرنسيين

هنا رأى السوريون ، وغير السوريين ، عظيم الفرق بين الدولتين . راوا سقوط فرنسا امام حفنة من الاتراك ، وثبوت انكلترا امام جموع الاتراك بر متها فاحلوا انكلترا محل الاعتبار والاحترام ، وفرنسا محل الاحتقار والازدراء . هل اصابوا بذلك او اخطأوا ، ليس هذا شغلي . انما انا راو ، اصف واصور للقارىء وللتاريخ حوادث وواقعات . لكنني اذا طلب رائيي بهذه الشؤون

أجبت صراحة : — مع اعترافي بفضل فرنسا العسكري ، ومع يقيني نبوغها في فنون القيادة ، ومع عرفاني قدرها العظيم في التاريخ وانها بعد الحرب اعظم قوة حربية برية في الدنيا — مع كل ذلك — فاني اعذر الشرقيين اذا احتقروها واستصغروها لانها لم تحفظ مقامها في عيونهم :

هذا هو رأيي . وكل انسان حر في ابداء الرأي .

كثيرا ما نقرأ في برقيات اوربا اقوال سياسيي الانكليز « ان تسليمنا بمطالب المصريين يثير علينا سائر مستعمراتنا في الشرق ، في الهند وفي افريقية وفي المحيط الهادىء » . وفي هذا القول شيء من الفكرة السياسية لم يكن يجوز ان يفوت الفرنسيين . فان رضوخهم لمصطفى كمال اثار عليهم سلطان باشا . ان المجريات متناسبة ومترابطة ، تتفاعل وتتوالى في كل قطر وفي كل عصر . فسقوط دولة في قطر يهز الارض في محيطها كما يهزها سقوط جيل وفشلها في ميدان يفت في عضدها في ميدان آخر ، . ولا نعرف منطقا الا ما املاه علينا الاختبار . والاستعمار مجموع عضوي فيه حياة تعتل وتشفى طبقا لنواميس الاجسام العضوية فجسم الاستعمار الفرنسي في شرقي المتوسط عليل احتلطت ادواؤه فبلغ حدود الخطر .

اية هيبة لفرنسا في عيون السوريين يوم انسحبت من كيليكيا وشمالي سورية امام شر اذم كانت في الامس تحتقرها وتدعوها « عصابات اشقياء » واليوم تجر امام تلك العصابات اذيال الخيبة والفشل ، بعد معارك اذاقتها فيها الامرين ؟ . فارغمت فرنسا —

ارغاماً شائناً — ان تتخلى لتلك الشراذم التي احتقرتها عن السناجق والامصار وتسلمها اسلحتها وذخائرها ، وخرجت من اناضوليا خروج الصغارة التي لا ترضاها دولة أوربية في الشرق.

وهناك نقطة — اقتصادية — وهي ان الاتراك اوصدوا وراء فرنسا الابواب وفرضوا المكوس الباهظة على الواردات الصناعية الى اناضوليا . وتلك الواردات ليست الا سورية . فقتلوا صناعة سورية وتجارة حلب . وبذلك أحرجوا مركز فرنسا في سورية وأقاموا عليها السوريين الذين راواها علة بلائهم

هل يرى مسيو بونسو في ذلك جواباً تتعجبه ؟ . او هو جواب صغير في عينيه ؟ .

ارجوك يا فخامة العميد ان تعرض هذا السبب على المارشال فوش واركان حربه ، وتسألهم رأيهم فيه . قل لهم ان سوريا غير فني يزعم ان سقوط جيوشنا في ادنه وشمالي سورية حرك وحرض السوريين على قتالنا، فهل في ما زعم السوري شيء قليل من الحق ؟

سلهم هذه المسألة ، وانا بدوري مستعد لاصلاح خطاي ـ ان كان هنالك خطأ ـ في الطبعة الثانية ، وفي الترجمة الفرنسية لهذا الكتاب بل اني اخذف عليك يا سيدي عبء المسألة . انت رجل فهيم ، ومطلع فارجوك ان تفتكر في الامر بذاتك لذاتك تتجلى لك الحقيقة . والحقيقة نقطة اجتماع انظار العقلاء . لا يتعامى عنها عاقل ، ولا يجهلها حصيف ، ولا بد انك ، اذا راعيت في هذه المسألة ما يراعيه العاقل في مواضيع النظر ، لا بد ان تتأكد ان لانسحابكم من شمالي سورية تأثير غير مباشر في ثورة جبل الدروز والغوطة . وفروع هذين الميدانين

السبب الرابع

(تقلبات السياسة الفرنسية بسورية)

من الامور المسلم بها عند جميع علماء الطبيعيات والعقليات والاجتماعيات ، أن التغيرات والتطورات الملابسة الانسانية تحصل تدريجاً ، وان الانتقال ، فجأة ، من نقطة الى نقطة بعيدة عنها ، كالانتقال من القطب الى خط الاستواء مثلا ، امر غير طبيعي ولا مألوف ولا سليم العواقب . والتغيرات الفجائية في الاجتماع الانساني سبب اعظم الاضرار والويلات . وان المنهج القويم في سياسات الشعوب هو الجاري ـ قياساً على الطبيعة ـ مجرى التدريج المتوالي ، فيتمشى مع النواميس العقلية والاجتماعية . وان التزام خطة واحدة في المستعمرات ، لا تتأثر بالاهواء الحزبية هي السياسة الرشيدة الناجحة ، وعليها تشاد صروح المجد . فهل كانت سياستكم الاستعمارية بسورية من هذا النوع يا فخامة العميد ؟ .

اعني هل كانت لكم خطة واضحة ثابتة . يتبعها كل عميد اطراداً ، فيسوس البلاد كبلاد ، لا كملحقة بالبرلمان الفرنسي ؟ .

وهل كانت خطتكم مبنية على مصلحة السوريين وراحتهم وسلامتهم ؟ . ان نعم فيحق لك ان تعجب وتدهش لان السوريين حاربوكم . واذا لا اعني اذا كانت سياستكم الانتدابية بسورية متقلبة مضرة ـ فاني اتعجب اذا لم تحاربكم امة ليس من عاداتها الحرب

الامر واضح ان سياسة فرنسا بسوريا كانت على عكس ما ذكرنا على خط مستقيم . فكانت تغير وتبدل برجالها ، الذين يشغلون

أعظم المناصب في البلاد ، كما هبت نسمات لطيفة من ناحية «دورسي» فكأنها تلعب بالنرد – طاولة الزهر – تغيرت في خلال سبع سنين اكثر من سبعة مفوضين

الاول : مسيو بيكو ، صاحب عهدة ساكس بيكو
الثاني : الجنرال غورو سنة ١٩٢٠
الثالث : الجنرال ويغان سنة ١٩٢٣
الرابع : الجنرال ساراي سنة ١٩٢٥
الخامس : مسيو جوفنيل سنة ١٩٢٥
السادس : مسيو بونسو سنة ١٩٢٦

عدا من شغلوا المنصب بصفة وكيل في الفترات بين راحل وقادم ولم يقتصر الامر على تغيير المفوض ، بل كان يتناول الخطة والمنهج . فكان لكل مفوض سياسة حزبه . فيتبع التقلب في فرنسا التقلب في سياسة سورية

مثلا : كان الجنرال ويغان اكليريكي الصبغة ، فخلفه الجنرال ساراي ماسوني النزعة . كان الجنرال ويغان يحترم الكنيسة ويكرم رجالها ، فجاء الجنرال ساراي يقلب لها ولهم ظهر المجن . فثاروا عليه، واصلوه حرباً حر نار الجحيم ابردها . ولم تخمد لظاها حتى برح البلاد منكوباً .

ذهب الجنرال ساراي الذي لم يرض ان يزور البطريرك وخلفه مسيو دي جوفنيل ، لا ينتظر حتى يزوره البطريرك بل سبقه بالزيارة . او كما يقولون — ذهب لسؤال خاطر غبطته — الجنرال ساراي رفض ان يحضر قداس الآباء الكبوشيين ، وخلفه اسرع

المثول في ذلك القداس . ولم ينحصر ذلك التقلب في علاقة المفوضين الساميين بالكنيسة ورجال الدين بل شمل نظام الحكم . فكان المفوض الواحد سريع التقلب من سياسة الى سياسة ، ومن نزعة الى نزعة .

كريشة في مهب الريح طائرة — لا تستقر على حال من القلق

فكان بسورية سنة ١٩٢٠ حكومة عربية واحدة للشام وحلب والمنطقة العلوية وسنجق اسكندرونة .

وفي ٧ ايلول سنة ١٩٢٠ وقف الجنرال غورو في حلب وقال ، انه تلبية لرغائب الشعب الحلبي يعلن فصل حلب عن الشام . فصار في سورية ، دولة لبنان ، ودولة حلب ودولة الشام . ثم فعل كذلك في جبل الدروز ، فصارت في داخلية سورية ثلاث دويلات . ثم فعلوا كذلك في المنطقة العلوية ، فصارت الدويلات اربع . ثم عن لهم ان ينشئوا الاتحاد السوري فقرنوا حلب بالشام وبالمنطقة العلوية ثم عادوا ففصلوا المنطقة العلوية عن الاتحاد السوري . وقالوا انهم فعلوا ذلك عملا برغبة الاهالي

وفعلوا مثل ذلك بلبنان . فكان اولا خاضعا لمجلس ادارة تقرر انشاؤه منذ سنة ١٨٦١ وظل الى ان حله الفرنسيون

فالغى الجنرال غورو ، المجلس ، ضد نصوص الدستور اللبناني باجماع دول اوربا ، والف بامره واستحسانه لجنة سورية ، ثم امر بانتخاب حاكم وطني . ثم تحول عن هذا الرأي وعين له حاكما اجنبياً . ثم امر بتأليف دستور له . وبين عشية وضحاها خلق دستور لبنان ، ثم سعى بتعيين سوري كبير حاكماً عاماً للبنان واتوابه

من القطر المصري ، ثم عدلوا عنه لسبب ، اجهله ، وعزموا على انتخاب حاكم وطني . ثم تغير الرأي وتمين مسيو كيلا حاكما للبنان ثم تغير الرأي ، وقرروا ان تكون جمهورية ، واختير الدباس رئيساً لها ، ثم شاع انهم ينوون ان يعدلوا دستور لبنان ، وان يحولوا الجمهورية اللبنانية امارة ، يولون عليها عيناً معروفاً بالقطر المصري .

وكان المفوض السامي يامر بسن دستور ، ثم يصدر اوامر خاصة تخالف نص الدستور . والخلاصة ان الادارة الفرنسية العامة بسورية كانت متقلبة متغيرة لا تستقر على حال

بل كانت مسالك الاشخاص متنافية متعاكسة ، على ما نرى .

كان ويغان يسوس البلاد بيد من حديد . فجاء ساراي متناهياً في الحرية وترك الحبل على الغارب . وكان دى جوفنيل خطاباً ملأ الدنيا خطباً ومناشير ومراسلات ومحادثات ومواعيد . فجاء بونسو لا يفتح فاه ولا يقول . واول عبارة فاه بها هي موضوع اربعة كتب هذا أولها وهي قوله : اتعجب ان سورية تحارب فرنسا .

فذكرنا بزكريا والد يوحنا المعمدان الذي كان صامتاً مدة طويلة وكان المفوض الواحد ينسخ ما سنه سلفه من الاوامر ، ويضرب به عرض الحائط .

والنتيجة ان مركز الانتداب قد تزعزع في عيون السوريين . ولا سيما ان تلك التقلبات لم تحدث مطاوعة عوامل وطارئات محلية ، بل مسوقة برياح بعيدة ، لا علاقة لها باحوال السورية ومصالح السوريين ، بل هي برلمانية فرنسية حزبية . فكانت الرياح ، مثارها

في فرنسا ، ومفاعليها في سورية ، فحار الناس ، وتشعبت امامهم المسالك ، والتبست الامور ، حتى لم يكونوا يعلمون ما ذا يعملون ، وأي مسلك يختارون

واني اقتصر على نقد مسلكي الجنرالين المتعاقبين ، الجنرال ويغان والجنرال ساراي لا بين، التذبذب الذي اتصفت به سياسة الانتداب قبيل الثورة فاقول :

جاء الجنرال ويغان سورية ، وهي مشرفة على الفوضى . وقد بدأت عاصفة شديدة بلبنان ، الذي كان فيما سلف مضرب الامثال في سلامه وطمأنينة اقوامه . فتبدلت الاوضاع ، وانبثت العصابات في جنباته تريق الدماء ، وتزهق الارواح ، وجاءت احدى تلك العصابات بحمدون ، وافترعت بيتاً وأهله نيام . فذبحتهم ذبح الاغنام بما فيه من نسوة وأطفال واضياف. وامر كهذا لم يسمع ولا في عهد البربرية ، فراع الناس ما حدث ، وتبلبلت الافكار ، واضطربت القلوب ، اضف الى ذلك حادثة محمد القاسم وعصابته الكبيرة في لبنان الشرقي .

في هذه الاحوال جاء الجنرال ويغان ، فضرب بيد من حديد على اولئك المحركين المشوشين . ونصب الاعواد ، وعلق عليها المجرمين . فهدأت العاصفة واستبشر الناس ، وسكنت القلوب. وكان للجنرال ويغان هيبة ونفوذ عظيمان في طول البلاد وعرضها . وكان يمكن ان تدوم السكينة والسلام اللذان خيما على البلاد. واظن ــ وقد اكون مخطئاً ــ انه لو ظل الجنرال ويغان بسورية لما نشبت الثورة . لان هيبته ملأت القلوب ، وسطوته أوقرت الالباب ، ولم

تمكن فكرة الثورة فى عقول الدروز ، ولا في عقول غيرهم

ولكننا في وسط هذه الحال فوجئنا - ولا نعلم لماذا - بخبر قدوم الجنرال ساراي ، ليس لنقص فى ويغان ، ولا لمزية في ساراي جعلت هذا اجدر بها من ذاك ، ولا لحاجة فى سورية اوجبت ذلك التبديل . بل بالعكس ، كانت الحاجة ماسة ، حسب فكري ، لبقاء ويغان ، ولكن دواليب السياسة فى باريس ، كانت تدور برياح الحزبية ، فخسر حزب ويغان ، وعلا نجم حزب الشمال ، فافل هذا وطلع ذاك ، في سماء سورية . فنقلوا الذي احسن الادارة ، وارسلوا من لا يصلح لها . فكانت الولاية فى سورية العوبة بأيديهم ، كلعبة الشطرنج .

فاسمع ما جرى في سورية من جراء ذلك التغيير

جاء ساراي والبلاد السورية فى احسن الاحوال ، فاساء الادارة ورجع من سورية وهى فى اسوإ الاحوال . لانه عاد بها لضعفه وعدم اهليته ، الى عهد الفوضي ، واوجد فيها ، عن غير قصد منه ، ثورة لم يحلم الشرق بمثلها . وسأذكر ذلك تفصيلا . والذي اذكره هنا طرداً للباب ، انه لما وجب سحبه من البلاد ، وجعلت الصحف تعنون مقالاتها ، بفرنسا طبعاً ، بهذه الجملة « يا مسيو بانلفه اسحب ساراي من سورية » . واقتنعت الاقوام بباريس بوجوب نقل الجنرال ساراي من سورية ، مع ذلك لم يجرؤ رئيس وزارة فرنسا ان ينقله ، مراعاة لعواطف حزبه . وحذراً من استياء مسيو هريو ، رئيس احزاب اليسار الذين منهم الجنرال ساراي .

ولئلا يتوهم قارىء انى اتكلم من عندي اورد هنا ما جاء في

صحف باريس نفسها ـ

جاء في الديبا الباريسية : —

لما فازت احزاب اليسار بتأليف الوزارة ، اقال مسيو هريو . الجنرال ويغان من المفوضية السامية في سورية ، فجأة ، وبدون جرم ، ولا مسوغ ، ففهم الناس ان التغيير الذي حدث ببيروت نجم عن اعتبارات حزبية سياسية برلمانية فرنسية داخلية محضة . وان الغاية منه خلق منصب كبير لقائد من انصار حزب اليسار . وطلبت الديبا ان لا يكون تعيين المندوب السامي بسورية مرتبطاً بالتقلبات الحزبية بباريس .

لم يكن كلام الديبا هذا ناشئاً عن غرض ، او ضعف قومية ، أو فضول . كلا . فان من له اقل أهلية واطلاع في وزن الامور ، وادراك نفسية الرجال ، لا يقول هذا القول فهي . خطاة حكيمة ، اوحتها الخبرة لجريدة الديبا ، فرغبت الى ولاة الامور باتباعها. وقد نشأ كلامها عن شعور دقيق بكنه الحال في سورية ، وادراك مضبوط لخطأ المنهج الذي انتهجته وزارة هريو في ادارة سورية . بحيث جعلت الحل والربط فيها معلقاً على تقلبات الاحزاب ، وتابعاً لاهواء رجالها . وتبيان المسألة غير متعسر ، وهو في متناول كل من من اراد ان يدرك الحقيقة اذا احسن قدر نفسه ، وزان كلامه بميزان النزاهة والاخلاص . فان التقلب والتبدل مألوف بباريس ، وليس بسورية :

١ : لان ذلك التبدل والتلون من خلق الفرنسيين

٢ : لانه من صنعهم ، ونتيجة عوامل مقبولة عندهم

٣ : لان الوسط الفرنسي الكبير يتحمله ، كما تتحمل الاوقيانوسات اضخم البواخر والبوارج بخلاف الترع والبحيرات الصغيرة ولكن سورية لا تحتمل ذلك ، فانه واثر ادارتها كالبرك، أو الترع بالنسبة الى البحار .

فلا مجال فيها للبوارج والبواخر الكبيرة ، ولا تحتمل حركاتها العنيفه . فليس من العدالة ، ولا من المصلحة ، ولا من حسن الادارة في شيء ، ان تقاس الامور بسورية بمقاييس باريس ، وان تدار دواليب هذه برياح تلك لاختلاف الاوساط

ثم ان السوريين ليسوا شركاء الفرنسيين في المسؤولية ، ولا في العاطفة ، فلا يحتملون ما يحتمله اولئك ، ولا يرضون ما يرضاه الفرنسي . وهم لم يألفوا المفاجآت التي الفتها فرنسا فغيرت عشر وزارت بسنة واحدة ، منها وزارة لم تمش اكثر من ساعتين . واما السوريون ، فقد خضعوا لنير الاتراك ستمائة سنة ، وهم يخالونها « يوماً أو بعض يوم » . ولذلك كان السوريون غير راضين عن التقلبات المساورة الانتداب للفرنسي . فكانوا يتوسلون - وهم غير راضين عن الانتداب - بكل حركة للنقد والتبرم وابداء العداء .

لا اريد بذلك ان اقوامي غير منصفين . كلا والف كلا . ولا لهذا اسوق الكلام . منصفين كانوا او غير منصفين ، لا فرق بهذا الاعتبار ، فان من طبائع الاقوام تفنيد ما لم يألفوه ، ونبذه قصياً . ومن أوضاع المحكومين التنكيت على الحاكمين . فلم يكن المنهج الذي انتهجته فرنسا بسورية من مصلحتها ، ولا من مصلحة سورية . بناء على ما ذكر وما سيذكر . كانت الادارة تستلزم اساساً ثابتاً ذا

قواعد راهنة ؟ لا تهزها تيارات الاحزاب ، ولا تزعزعها مناوآت المتزاحمين على مناصب الادارة بباريس . وللسوريين مثل يقيسون به الحسن والقبيح ، في سياسات الدول الاستعماريه . وذلك المثل هو سياسة انكلترا بمصر . فقد أرسلت اليها اللورد كرومر بصفة مندوب سام بريطاني . فظل في منصه الحكم او الادارة - كالطود الراسخ ، تتزعزع الجبال ولا يتزعزع ، وتهتز الدنيا ولا يهتز مدة اربع قرن . فلم يكن مركز اللرد كرومر بمصر معلقاً على التقلبات الحزبية بلندن ، المحافظين برئاسة سالسبوري ، او حزب الاحرار برئاسة غلادستون ، او اسكويث ، فكان ، على الحالين ، مركز اللورد كرومر هوهو .

واتبعت انكلترا في سياستها بمصر خطة واحدة تلاحظها وتنضم بها جميع الاحزاب ، على اختلاف نزعاتها . حتى أنه لما ذهب سعد باشا زغلول ، زعيم الوفد المصري ، الى لندن ، في عهد وزارة العمال ، وقابل الوزير « مكدونالد » آملا ان ينال ، او تنال مصر ، منه ما لم ينل في عهد غيره . اجابه رائزي مكدونالد « ان ما تطلبه مني يا باشا ، لا يمكن ان تسلم به وزارة انكليزية اياً كان مذهبها او حزبها » :

بهذه الكيفيه كانت ادارة انكلترا بمصر . ، فرأى السوريون ان مصر قد نجحت نجاحاً خارقاً في عهد الاحتلال الانكليزي . فزاد سكانها من ٦ ملايين الى ١٥ مليون . وزادت ميزانيتها من ٤ ملايين الى ٢٢ مليوناً. فنسبوا ذلك ، صواباً أو خطأً لا فرق ، الى وجود الاحتلال ، اى حسن ادارة انكلترا في وادي النيل. فاتخذوا

منهج انكلترا مقياساً ، للسياسة وحسبوا ما وافقه صواباً ، وما غايره خطأ . لذا خفضوا نظرهم الى بلدهم ، ورأوا فيها ما رأوا من الشقاء والتفرق نسبوا ذلك : خطأ او صواباً ، لتقلب السياسة ، او الادارة ، الفرنسية ، وعدم استقرارها على حال . فانحوا (با للائمة) على فرنسا وانتدابها عليهم

١ : لماذا ينقل مندوب سام — هو في قدر الملك ووزنه — من بلاد احسن فيها صنعاً ؟ . وبعبارة افصح — يقولون : — لماذا نقل ويغان من سورية ، كان سورية قرية ، وكان المفوض السامي فيها شيخ ضيعة ، او مختار محله ؟ .

٢ : لماذا لا ينقل مندوب سام وقد اساء ، اساءات كبيرة فادحة وفاضحة ، وقامت الادلة على سوء ادارته ، وعدم اهليته ؟ .

وبعبارة افصح ، : لماذا لم ينقل الجنرال ساراي وقد ثبت للفرنسيين وجوب نقله ؟ .

حملت صحف فرنسا على الجنرال ساراي — ولا سيما هنري دي كيريليس ، كاتب جريدة ايكودي باري — طالبة سحبه من سورية . وشاطرها فريق من الوزراء الحاليين . وفي مقدمتهم مسيو كايو الشهير وزير المالية ، ومسيو بريان وزير الخارجية ، ومسيو مونزو وزير المعارف . فالحوا على مسيو بانلفيه رئيس وزارتهم وان يسمع نداء الصحف ويستدعي الجنرال ساراي من سورية ، لان بقاءه هنالك لا يحتمل ، ولا ينطبق على مصلحة فرنسا وكرامتها ولكن لما كان الجنرال ساراي صديقاً لمسيو هريو وكان مسيو هريو يخطب ود

انصاره غير عابيء بمصالح السوريين او خلافهم ، لذلك تردد رئيس الوزارة مسيو بانلفيه في قبول النصيحة الحكيمة ، والطلب العادل التي اسداها ، اوقدمه ، اركان وزارته ، وعزم على استبقاء الجنرال ساراي في سورية . لا لكونه اهلا بل استرضاء للزعيم هريو . هنا استلفت نظر مسيو بونسو الثاقب ، وارجوه بكل ما فيه من الرجولة والانسانية ، نقد هذه الحقيقة المؤلمة ، التي لا بد لها من اثرها في سياسة الشعوب . وليلاحظ اثرها الفاجع بسورية ، ومسها بكرامة فرنسا وهي : ان الموظف لاجل المنصب لا المنصب لاجل الموظف: فقد اجمعت الآراء على عدم صلاحية الجنرال ساراي وظهر للخاص والعام سوء ادارته وعدم اهليته ، الى درجة لا تقبل المراء ولا تحتمل الابطاء . وصار بقاؤه بسورية ماساً بكرامة فرنسا ، وبمصلحتها المادية . مع كل ذلك ، ومع اقتناع رئيس وزارة فرنسا بعدم صلاحية الجنرال ساراي ، ووجوب نقله من سورية ، اقول — مع كل ذلك — فقد ابقاه فيها تصحباً لمسيو هريو ، أو خوفاً من اغبرار خاطره . اعني ان الوزارة الفرنسية آثرت العواطف والشخصيات على المصالح العمومية ، وعلى الكرامة القومية . فاي دليل اقطع يروم مسيو بونسو على عدم صلاحية هذا الانتداب ، وعلى ان الثورة السورية ضربة لازب في ادارة كهذه ؟ . أفي كلامي هذا تحامل ؟ .

اذا زعم احد انه من انصار الانتداب فانا هو ذلك النصير ، الذي ظل منشبثاً بلزوم الانتداب ، الى ما بعد الموت . واذا ادعى احد حب فرنسا ، فانا ذلك المحب . بل العاشق الواله . ولكن

الحق اولى ان يقال: قد خابت آمالنا بمحبيتنا بفرنسا وهي خيبة مؤلمة محزنة فاضحة ، عديمة المثال في التاريخ .

وماذا جرى بعدئذ ؟ .

اجيب نقلا عن صحف فرنسا .

لما ساءت الاحوال في جبل الدروز ، وفي دمشق الشام ، كل المساءة وعجز المندوب السامي عن تأديب « العصاة والاشقياء » وقمع ذلك « العصيان » ، وشاع في فرنسا ان الجنرال ساراي يطلب مدداً لانه غلب على امره ، قامت الصحف الفرنسية لذلك وقعدت وشاركتها الصحف المحايدة في نقدها تكتم الجنرال ساراي ، واخفاءه عن الوزارة والامة ما كان يجب ان يتجلى في تقاريره ، لرئيس الوزارة ، اذ لم يبق في قوس الصبر منزع ، وان ليس في مقدوره مقاومة خصوم الجنرال ساراي . وان سحبه من سورية اصبح ضربة لازب . رأى از يزور مسيو هريو في مصيفه ، ويفاوضه او يستأذنه ، في امر نقل الجنرال ساراي من سورية ، ويقنعه بلزوم استدعائه من ذلك البلد التاعس . . . .

جرت هذه الحوادث بباريس ، في جو صاف ، بعيداً عن ضوضاء الثورة ، وقصف المدافع ، ومثار النقيع . وجرت بين الفرنسيين انفسهم . بل بين اكابر الزعماء وممثلي نفسية الامة . لست اروم أن اعيب مسيو بانلفيه . ولا أن اهزأ بمسيو هريو . لان ذلك ليس من الرجولة في شيء ، ولا هو من مقاصدي في التأليف . ولا يجوز لي أن ازين اجراءتها الباريسية بالموازين الحمصية ، ففي باريس ما ليس في حمص : فقد يكونان على هدى :

او معذورين في عملها : وقد يكونان على ضلال وملومين : وسواء كان هذا او ذاك فقصدي الخاص هو ان اثبت ان التقلب والتبدل في اسمى مناصب الانتداب الفرنسي بسورية كان يحصل ليس بحكم الارادة الحرة ، ولا بداعي المصلحة وحسن السياسة : بل بالرياح الهابة في البرلمان الفرنسي من جهة الاحزاب : وانه لم يكن النظر في التبديلات والتنسيقات ، يلاحظ مصلحة سورية وراحة اهاليها ، بل يلاحظ المسايرات . واريد ان اقول ان ذلك اضر بالسوريين ضرراً غير محدود وساءهم مساءة شديدة ودفعهم الى رفع راية الثورة على فرنسا . تتجلى هذه الحقيقة من اعادة النظر في ماجريات الاحوال في ذلك البلد التاعس .

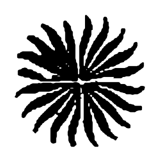
بدأت العصابات بارتكاب المنكرات في لبنان ــ في آخر عهد الجنرال غورو ــ فهزت سورية هزاً تأثر له مركز الانتداب . ولا يهمنا هنا البحث في الباعث ، الذي حمل تلك العصابات على ذلك الاجرام . فاقتصر على القول ان الشعور العام في سورية ولبنان كان يخشى اتساع الخرق على الراقع . فارسلوا نظرهم الى فرنسا ، لتمد ساعدها لمداواة العلة ، ونقع الغلة ، وتأمين الناس على ارواحهم وتهشيم اسنان المجرمين . فما خابت آمالهم بفرنسا . التي لبت نداء الحاجة بارسال الجنرال ويغان القائد الحازم . الذي عالج الداء بالعلاج الناجع . فاطمأنت القلوب وصين الانتداب . فكان ينتظر طبعاً أن مفوضاً كهذا يستقر في بلد كهذا عشرات السنين لاستثمار مساعيه . ولكن الامر جرى على عكس المنتظر . وفوجئت البلاد بنبأ نقل ويغان . فزال بسفره الاطمئنان وكان حرمان

سورية مديراً قديراً ، وبلينها بمدير عاجز ، من شر ما ولدت المنازعات الحزبية الفرنسية تحت سمائنا . وفي ذلك الماع الى التنافر بين تصرفات الفرنسيين وبين مصلحة الانتداب . فكان الانتداب ضحية على مذبح الاختلافات الحزبية ، او فريسة تحت براثن الشبع البرلمانية .

والحقيقة المثلى التي املاها عليها الاختبار هي فصل الانتداب عن سياسة الاحزاب . كما فصلت الحكومة عن الديانة في أوربا وأمريكا .

والنتيجة ان السوريين لما رأوا ادارة بلادهم مسوقة ، ومحمولة برياح هابة من عالم آخر ، ارادوا لاجل سلامة بلادهم وخيرها . أن يحرروها من سيطرة ذلك التأثير ، وهي احدى فلسفات الثورة وشرف الكاتب رهينة قلمه .

. . . .



السبب الخامس

الجاسوسية .

وهنالك علة من شر علل السياسة واشدها نكالا ، واقتلها للاستئمان ، وانفاها للكرامة والاعتبار ، وابعدها عن الشرف وعزة النفس ، وادعاها للتلبك والتشويش ، واضرها بمصلحة الانسانية ، وتلك العلة الوبيلة هي « الجاسوسية » او التجسس . وهي عندي من اعراض الانقراض في الدول

اني كلامي هذا شيء من الغلو يا فخامة المفوض ؟ . الا ترى ان في تسقط اخبار الآخرين ، وحوادثهم الشخصية والعائلية ، وكل ما هو مستور عن الآخرين ، صغارة لا تليق بالرجال ، بل هي عيب عليهم ، وداء نجيس يفسد السجية ويؤدي الى سفالة الاخلاق؟. فاي رجل يستحق ان يدعى رجلا يتطلع الى خصوصيات جيرانه واصحابه ، فيسألهم ماذا يأكلون ويشربون ، او يتنصت الى ما يقولون ويهمسون ، او يتلصص لكشف ما يضمرون ويسترون؟. وتمشي الفضائل ، والنقائص ، في الامة على قياس الفضائل والنقائص في الافراد . مطبقة على النواميس الادبية في الافراد . الا انها في في دائرة اوسع لان الامم في شرع الادب شخصيات معنوية كبيرة. وتقوم معارج الارتقاء في توحيد مواد الدستور في الدائرتين ، دائرة الشخصية ودائرة القومية. وتنافر الخطط بين هاتين الدائرتين هو علة ما نراه في هذا العالم ، الذي لا يعرف السكون ، من الاختباط

والتشويش . ويوم تتوحد النظم والمناهج فيها لتطبيق الفضيلة في الامة على نفس النظام والمنهج في الفرد هو اليوم السعيد الذي به تتحرر الانسانية من قيود الهمجية ، التي جرت ، وما زالت تجر على بني الانسان ما نرى آثاره في شقاء الامم ودمار الامصار . يوماً يحل فيه التحكم محل الحرب . وتتحدد صلاحية الافراد . وتكون البشرية جماء عائلة واحدة ، كشجرة ممتدة الاغصان . فتتوحد مصالح الشرقي والغربي ، والاسود والابيض ، والمؤمن والكافر . وتزول المشاحنات الاستعمارية والمطامع الدولية . وينتهج الانسان نهجاً مشروعاً . وتعيش الامم آمنة . كما يعيش الافراد اليوم . آمنين في ظل الحكومات والنظام ، في ارقى ممالك اوربا وجمهوريات امريكا لا خوف عليهم ولاهم يحزنون .

الا اننا مهما نقرب من ذلك اليوم فما زلنا بعيدين . ولكننا جادون نغذ السير اليه . وتزداد الانسانية في صدورنا شوقاً اليه كلما دنت منه . بل كلما سارت خطوة الى الامام . فالاشواق الى الحرية الادبية تتناسب مع حال الفرد الروحية . فالراقي الشريف المخلص يشتاق شوقاً عظيما لانتشار الحرية والاخاء ويؤمن بسيادتها المستقبلة . والمنحط الدنيء الغادر لا يعبأ بذلك ولا يصدقه .

الم تسر فرنسا الجليلة في مقدمة الامم نحو « اليوتوبيا » . منذ ما اعلنت « حقوق الانسان » . وسقت بدماء زهرات شبانها ذلك الغرس المقدس ، أعني تراث الانسانية ، وستسير ، على اتم وفاق ، مع فرنسا واخواتها في أوربا وامريكا . سيراً طبيعياً الى الموطن الانساني المقدس . الذي اليه تشد الرحال . ولا يتـكد علينـا

اختلاف النظريات في اثناء المسير . فاننا نسير الى جهة واحدة واليها يسير الكون قاطبة . وهي القبلة التي يتولاها اعمق الاشواق في جوارح الانسانية . المولعة باوج الارتقاء ، النزوعة الى المعالي . ولا يغيرنا تباين النظريات في مختلف الشرع والمناهج ما دام المبدأ العامل فينا جميعاً واحداً .

اعود الى موضوع هذا القسم الجزئي ــ الجاسوسية ــ فاقول . ان الحكومات والدول الحالية ، اعتادت ان تنشيء في احوال خصوصية ما تدعوه « قلم الاستخبارات » . او الاستعلامات قصد الوقوف على سير المرض في جسم الدولة او الامة . واتخاذ الحيطة لتدارك الطوارىء وتلافى الخطب قبل وقوعه .

ويدخل تحت قلم الاستخبارات ، كلياً أو جزئياً ، التجسس او الجاسوسية ، ورجالها المتلصصون المتلقفون وهم احقر ما استخدمت الهيئات المنظمة من الوسائل . وقد اعتاد الناس ، في عهد الانتداب الفرنسي بسورية ان يسمعوا من يوم الى يوم ، ذكر قلم الاستخبارات ، وتنقلات موظفيه من كتاب ومترجمين ورؤساء . ويتعذر على قلمي وصف الطعنة النجلاء التي اصابت الانتداب الفرنسي ، وكرامة فرنسا من دائرة الجاسوسية المندرجة في ملف قلم الاستخبارات فاكتفي بالاشارة اليها .

ان دناءة الطابع البشري هي عيب شائع ، لا تختص به امة دون غيرها . وهذا العيب حمل افراداً من موظفي ذلك القلم على استغلال هذه الوظيفة في مصالحهم . ولكن المفوضية وفرنسا وراءها مسؤلتان بنقائص موظفيهما . الذين كانوا يستخدمون الجاسوسية

لاغراضهم الدنية ، واضرار ذلك تصبب الهيئة الحاكمة والهيئة المحكومة . فسار اولئك الافراد فى خدمة شهواتهم على حساب الفوضية شوطاً بعيداً . ومع ان الجاسوسية في ذاتها عيباً فقد كان هؤلاء فيها عيبا في عيب . حتى ان مرض التجسس وهو الداء الدفين ايحسب صحة بالنسبة الى حال اولئك السفلة الاوغاد . الذين الفوا دولة في الدولة ، او سلطة في السلطة . ورفعوا علم فرنسا على سمايات تعاب بها حتى بنات البغاء . فلوثوا ذلك العلم ووصموا اسم فرنسا وصمة لا اراها تمحى فى عشرات السنين . فجنوا على الاوفياء الابرار متسلحين بما استمدوه من الانتداب ، تحت استار قلم الاستخبارات فاضروا بمصالح الافراد والاسر ، وتطاولوا على كرامة ارباب الكرامة ، وداسوا مصلحة البلاد وشرف الدولة المنتدبة ودنسوا الامجاد الانسانية .

شواهد

رافقت مستخدماً فى هذه الدائرة ، ولم أكن قد اجتمعت به قبلا ، اما هو فكان يعرف عني كل شيء ، كما ستري . فسلم علي سلام الاحباب ، فرددت السلام . وللحال شرع يتلو علي سمعي من غرائب الاخبار ، واسرار العائلات ، وفضائح المحصنات ، ما لم يخطر لي على بال . ولا يأذن الادب بتسجيله على القرطاس .

كانت رفقتنا فى القطار خمس ساعات ، قضى كلها تقريباً فى سرد تلك الغرائب على سمعي . لقد عشت في بلدي خمسين سنة، واخذت عن والدي واجدادي الذين عاشوا قبلي مثل هذه المدة . فعندي

معلومات مائة عام لكنني وجدتني امام ذلك الجاسوس طفلا قليل الالمام فى عوادي الايام . فهو ، وهو غريب ، كان يعرف كل اسرة وافراد كل اسرة ذكوراً وإناثاً . وكان يعرف من اسرارها ما لا يعرف ابناؤها ولا آباؤها . وكل ما قصه علي من تلك المعايب لا علاقة له بمصلحة الانتداب ، ولا بادارة البلاد. بل هي حوادث شخصية عائليه ، وشؤون بيتية ، مما يجري بين الام وبنتها ، واخيها وابيها . فكانه كان يعيش مع كل عائلة ، وينام على كل فراش ، كل ليلة فى كل بيت . فيرى عورة كل رجل وكل امرأة وكل فتى وكل فتاة . وكانه يسجل على صفحات قلبه اخبار تلك المعايب واحدة فواحدة . وكان يتلوها على مسمعي . وانا دهش مما اسمع ، واكاد لا اصدق اذنى .

واذ اسأله : هل درى والد الفتاة بأمرها ؟ .

يجيب : كلا ، ان اباها لم يعرف ولكن امها عرفت ؟ .

فقلت له فكيف اتصل بكم هذا الخبر الذي يجهله الوالد ؟ .

فقال : عندنا عجائز ، من حيزبونات كل حي يتغلغلن فى البيوت ، ويقفن على المخفى من اخبار ساكنيها ، ويأتين بها الينا لقاء دراهم ندفعها لهن . وبهذه الكيفية نعرف ما يجري على كل فراش كل ليلة .

فلما افضى الرجل الي بهذا الحديث شعرت ان كل شعرة في رأسي وقفت كقضيب حديد . واعادت الى الذاكرة اخبار « الحاكم بامره » . وحكايات الف ليلة وليلة . واخبار ديوان التفتيش والجمعيات السرية في أوربا . فرأيت فى دائرة الانتداب ما كنت

اجلها عنه قدراً . والحق اقول ان ما اطلعني عليه حضرة الافندي كاد يفلق دماغي . ويسرني الآن اني نسيت اكثره . واود من كل قلبي ان انسى الباقي حرصاً على اعراض بنات وطني .

وممن كان جنابه يقبض راتبه ؟ . من فرنسا

وممن كان يدفع لاولئك العجائز ؟ . من اموال فرنسا

ولمن كان ينقل تلك الاخبار المنتنة ؟ . لرجالات فرنسا .

فما انحس حظ فرنسا ، وما انحس حظ سورية بها وهذا ديدنها ؟.

يا لخامة المفوض .

اعرف وجيهاً في بلدي لا يذكر فرنسا بخير ، ولا يريد لها خيراً لم اجتمع به مرة الا وكان حديثه مراً ، شديد العداء لفرنسا ، ولم يجتمع مرة باحد رجالكم الا فاتحه عن الانتقاد . ومع انه هادئ الروح ، مسالم ، كان مع ذلك شديد الوطأة عليكم . فرابني أمر الرجل ولم اعرف السر في ذلك . فلما اجتمعت بمحافظة أسرار الانتداب ، وقص علي من اسرار عائلة ذلك الوجيه ما تحمر له وجنات الاملاك رأيت في ذلك بعض العذر له وما ادراك ان الرجل عارف باصابع المفوضية الممتدة خلسة الى خباء زوجه وبناته ، وهي تغدر بكرامته وهو راقد على مضجعه في وجنة الظلام ؟ .

قلت اني نسيت كثيراً مما تلاه علي ذلك الافندي . وهو صحيح اني نسيتها ، ولكن تأثيرها السيء مازال منقوشاً على صفحات ذاكرتي . فلما حضر مسيو برونيه ، من قبل لجنة برلمانية في باريس ، الى بيروت سنة ١٩٢٥ . ونزل في الفوسمارية العليا نشر في الصحف انه مستعد لمقابلة كل من يريد ان يبدي له رايا في مصلحة البلاد

وواجب الانتـداب . اعني انه كان يريد ان يتزود اراء وافـكار الاهالي ليمكنه ان يولف رايا اجماليا يعرضه على اللجنة البرلمانيـة فحالما قرأت اذاعته توجهت الى القومساريه وطلبت مقابلته ، وبعد بضع دقائق كنت في حضرته . وهذا هو حديثي معه : —

خباز . اتتفضل باستـدعاء ترجمان يامسيو برونيه ؟ . قلت له هذه العبارة بالفرنسية

برونيـه . مؤكـداً ، فليحضر الترجمان يوسف غصوب حالا . وقبلما حضر الترجمان سالته

خباز : هل تعرف اللغة الانـكليزية يامسيو ؟ .

برونيه : اعرف قليلا منها ، ويمكنني أن أفهمك

خباز : اذا نتخاطب بها . وكان غصوب قـد حضر ، فسألته بلطف ان يعود من حيث أتى فاننا — مسيو برونيه وانا — يمكننا أن نتفاهم بالانـكليزية . فودع حضرة الترجمان وقفـل راجعاً . فاستأنفت حديثي مع مسيو برونيه

خ : لولم أكن ذا مزية ، يامسيو برونيه تستند اليها اهليتك، لما انا طلبك رجال البرلمـان هـذه المهمـة الفحص عن الموقف في سوريه — فانا عالم انني امام رجل عظيم

ب : شـكراً لك على ذلك

خ : وقد سرني انك فتحت الباب على سعته ، وابحت مقابلتك لـكل من يريد . ولذا بادرت بالمجيء اليك ، حسب رغبتك

ب : على الرحب والسعة اني ارغب في الوقوف على آراء الاهالي في الانتداب فيمكنك أن تصارحني بافـكارك

خ : لست ذا غرض اومطمع شخصي ، فاني لست من موظفي الحكومة ، ولامن الطامعين في وظيفة ، اومصلحة ، ولم أشتغل بالسياسة في حياتي ، بل أنا خادم العلم والادب في وطني ومن هذه الناحية أكلمك ، وافضي اليك برأيي

ب : ونعم الناحيـة هي . فانني أروم ان اسمع أراء السوريين من كل النواحي .

خ : في انتـداب فرنسا على سورية امران مصلحة وشرف . فالمصلحة لنا والشرف لكم . وهـذان الامران قرينان مثلا زمان يعدم الواحـد منهما باعدام الآخر . فاذا ضمنتم مصلحتنا ربحتم شرفكم ، واذا اضعتموها خسرتموه .

ب : من كل بد ياسيو خبازه وارجو أن لانضيعها ولانخسروه

خ : فنحن على أتم وفاق نظرياً . وهذا يشجعني على التقـدم الى ما ارمي اليه من رأي فكيف تصان مصلحة السوريين ياسيدي ؟ او ماهي الذريعة التي تتوسل بها فرنسا لضمان تلك المصلحـة ؟.

ب: ماذا تظن ؟. اني احب ان اسمع رايك ؟.

خ : هذه هي كلمتي الى فرنسـا بواسطتك وهي كلمة واحدة تضمن مصلحتنا وشرفكم معاً . وهي الصراحة» اعني ان تكونوا مخلصين . صادقين ، تعنون ماتقولون ، وتثبتون علي قولكم . فلا تكلمونا بالشفاه ، بل من القلب. فاذا أحسنا فقولوا لنا أحسنتم ، واذا اسأنا فقولوا لنا اسأتم . ولاتلبسوا علاقاتكم بنا غير أثوابها

ان التلون والتمويه ، ياسيو برونيه ، هما شأن الضعيف المتهيب. فلا مسوغ يبيح لكم هذا الموقف المنخفض . نحن السوريين

سريعو الخاطر ، فنشعر حالا بما يكنه صدر مخاطبنا ، فنعرف من يحبنا ، ومن يبغضنا : وشاعرنا يقول · لااسأل المرء عما في فؤاده فغي ظاهراته ما ينم عن حقيقة حاله، فلا تتكلفوا الترسم وتخاطبونا بغير ، أو بخلاف ما في قلوبكم . فانكم اذا فعلتم ذلك قطعتم الصلة الروحية بيننا ، فتصبح علاقاتنا جافة ممقوتة ، وينحو مصيرنا نحو النزاع ، ولستم لهذا في سورية . بل انتم على ما اعتقد لغرض اسمى واجد

ب : من كل بد يامسيو خباز . نحن نعلم ان شرفنا رهينة قيامنا بواجب الانتداب حق قيام ولذلك جئت من فرنسا لاقف على واقعة الحال واعطي رايا في ما يلزم

يتفرع عن كلامي ، يا مسيو برونيه ، تحذيركم من الداء العضال الذي هو يفسد السياسة ، ويدك صروح الانسانية والكمال وهو — الجاسوسية —

ذلك هو الوجه السلبي للمسألة ، ووجهها الايجابي هو الصراحة اني أعني أن تخاطبنا فرنسا وجها لوجه ، وتسمع خطابنا من افواهنا دون ما واسطة او تلون . اعني ان لا تضع بيننا وبينها ما يفسد الصلة الحية الضرورية بين الفريقين لاستكمال غرض الانتداب . لا يضع الاب والام جاسوساً على اولادهما ، ولا يكلمانهم بخلاف ما في قلبيهما نحوهم ، وهكذا يفعل الصديق نحو صديقه ، اذا كان مخلصاً وشريفاً :

الجاسوسية يا حضرة النائب عمل دنى ، لا تقدم عليه الدولة الراقية الا في احوال استثنائية كالعلاج الخطر ، الذي يؤخذ وهو

غير مرغوب فيه لا من الطبيب ولا من العليل ، ولكن الحاجة الماسة دعت الى استعماله على ان استعماله في غير تلك الحال التي استلزمته ضار ، وقد يكون قتالا . فلابس من الحكمة استعماله في غير وقته . ونطس الاطباء يضعون السم في العلاج لدى الضرورة وبمقادير قليلة ، يحتملها جسم العليل . فاذا تجاوز احدهم الحد ، وزاد في كمية السم في الدواء ، قتل عليله وكان جاهلا .

فالدولة الحكيمة الرشيدة ، يا مسيو برونيه ، لا تستند الى الجاسوسية في مواقف تفتقر فيها الى الاستقامة والفضيلة . والتعويل على الجاسوسية سياسة خرقاء . لان طغمات الجواسيس كالفواصل الشاذة يحولون بين القلوب فيحولون النافع ضاراً ، والحق بطلا ، الخير شراً والنفع ضراً . ولم تصنع الجاسوسية خيراً لروسيا وتركيا واسبانيا ، بل كانت مزالق لتلك الدول هوت بها من حالق مجدها ، فقد دحرجت تيجانها وحطمت صوالجتها ، وانقلبت عروشها شر منقلب . فانطفأت مصابيح مجد في الامم والدول . ولن يكون خطبكم منها اخف من خطوب اخوانكم المنكوبات على ضفاف البوسفور والنيفا وتاغوس . لان النتائج تتبع المقدمات

فخير لنا ولكم ان تحذفوا هذه الصلة النجيسة من بيننا ، وتعتمدوا الصراحة والجد فى علاقاتكم بنا واعمالكم بيننا . وعليكم ان تفهموا مستشاريكم الاداريين والفنيين في الداخلية ان يتبعوا هذه الخطة الحميدة ، ويعرجوا عن المسالك المظلمة المعوجة الدنية فانها لا تؤدي الى غير خزيكم وخيبتكم . هذه هي كلمتي الى فرنسا واليك يا سيدي

برونيه : هل تتفضل بكتابة هذا الكلام باللغة الفرنسية فاصحبه في عودتي الى باريس . مع مذكراتي التي اعني بجمعها ؟

خباز : لا اراك ، ولا ارى قومك مفتقرين الى سوى حسن القصد وصفاء النية . مع ذلك فسأترجمها لك حسب رغبتك .

وقد فعلت . واوصلتها اليه بيد مسيو لاريبي احد اساتذة الجامعة العلمانية الفرنسية ببيروت ، وهذا الرجل — لاريبي — وعدني ان يسلمه اياها بالبرلمان ، ويسلم منها نسخة الى رئيس البرلمان ، ورئيس الوزارة ، ورئيس شرق فرنسا الاعظم والامر الذي الفت انظار مسيو بونسو اليه هو ان مستشاريكم ، الاداريين والفنيين بسورية ، لم يحصروا جاسوسيتهم في المسائل السياسية الدولية ، بل تعدوها الى هتك الاستار ، وفضح الاحرار ، واباحة الاسرار الشخصية والعائلية التي لا يجيز كشفها ادب ولا انسانية او مسها او التعرض لها بوجه من الوجوه . ولا سيما ما تعلق بمن ، ولا شأن له في السياسة .

الا ترى يا فخامة المفوض ، فضيحة عذراء في حجر والدها عيباً عليكم ومضراً بالمصلحة التي تخدمونها ؟ .

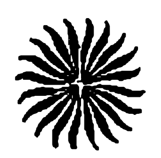
الا يحكم ضميرك الحر يا مسيو بونسو ، ان دفع المفوضية الدراهم للعجائز بيد التراجمة ليمكنوها من كشف عورة الاسر وصمة عار في جبهة فرنسا ان كانت تغاب او يؤثر في جسمها عار ؟ .

فما لكم وللبنات ؟ . وما لكم وللامهات ؟ . وما لكم ونهش الاعراض ؟ .

اولا ترى يا مولاي ان الجاسوسية مظهر ضعف الحكومة ، وعدم

ثقتها بنفسها ، وعدم اخلاصها للامة التي تخدمها ؟ . وهل تظن ان الحاكم الامين النزيه يعبأ بتجسس أحوال العائلة ، ويفسد قلوب الناس بالرشوة ويلهو بالسفاسف عن اقدس واجبات الحاكمين ؟ .

ولكي تتجلى لك سماجة هذا العمل ودناءته حول المسألة نحو نفسك . فافرض ان لك اختاً وأماً في باريس . وان اقواما اجانب أموا عروس عواصم اوربا ، واتصلوا ببينك العزيزتين عليك : ولنفرض ان اولئك الاقوام من السوريين . وانهم اتصلوا بالنسوتين اللتين يهمك كثيراً امرهما.ولنفرض ان السوريين بباريس استأجروا من عجائز الحي متسقطات متلففات يتغلغلن في البيوت والمخادع . فذهبن الى بيت امك واختك ، وكشفوا من امرهما ما كان مستوراً او نسبوا اليهما ماهما براء منه. فماذا يكون اولئك الاقوام الفواضح في عينيك ؟ . انعتمدهم ؟ . وتحفظ لهم العهد والميثاق وتعاملهم بغير ماعاملك به بنو قومي ؟ .



السبب السادس

دمار الامة السورية اقتصاديا ، بسمي الانتداب

قالوا للورد كرومر ، ذات يوم ، ان في مصر ظاهرات ثورة ، فهزأ بهذا القول لان « الشعب لا يثيره الا الجوع ، فتى نفد الخبز من السوق فاعلموا ان الثورة على الابواب اما اذا كان الشعب شبعان فمها يكن من امر سياسته فلا تخشوا ثورته ، اذا طبقنا هذه النظرية على سورية قلنا ، مهما تكن اسباب النفار بينها وبين فرنسا ، فالسبب الاقتصادى هو الذي يحملها على الثورة ، وستكون الاقتصاديات آخر اسباب الحروب في الدنيا وهي كما قال الشاعر : —

يا ليل مالك آخر يرجى وهل للصب آخر ؟ .

فللمسألة الاقتصادية علاقة مباشرة بالثوره ، من كل بد ، لانها ذات علاقة لصيقة بحفظ الحياة ، وحرص الانسان على حياته اول فطرة في نفسه ، وهذا الموضوع بحر بعيد الغور ، عديم السواحل ، متراكم اللجج . قد يتعذر خوض عبابه على اكبر الكتاب . فلا يتوقعن القارىء مني استيفاء البحث فيه ، والاحاطة به من كل جهاته. فان ذلك يملا المجلدات الضخمة ؟ ولكن ما لا يدرك كله لا يترك جله . فاقتصر على اشارة مختصرة تتعلق بالدخان — شركة الريجى والورق السوري — والالتزامات التافهة — ونحو ذلك من المواضيع التي تتجلى فيها اضرار الانتداب الاقتصادية بسورية ، ضرراً يحمل اودع الامم ، واكثرها مسالمة ، على الثورة

لا يجهل سوري ما كان لشركة حصر الدخان ، المعروفة « بالريجي » من المساوي في حكم الاتراك العثمانيين الاخير بسورية فقد كانت تلك الشركة دولة في دوله ، وكان مفتشوها كزبانية الجحيم ، ومديرها كالحاكم بامره ، فكم اساءوا وكم ظلموا ، وكم جنوا ، وكم شوهوا جبهة الانسانية ؟ .

لا يسع هذا القلم بسط ذلك هنا ، ولا هو المراد الآن ، ولو سألت السوريين ما الذي تكرهونه اكثر من الموت ؟ لاجابوك فوراً « شركة الريجي »

ومما يستحق الذكر ان لبنان كان مستثنى من احكامها ، في عهد الاتراك لانه كان مستقلا ادارياً ، تحت رعاية الدول المعظمة وهي فرنسا وروسيا وانكلترا وبروسيا وايطاليا والنمسا فبينما كان السوري يضام ويسام الخسف ، في الولاية ، ويخسر كثيراً من جراء تعديات عمال الريجي عليه كان اللبناني آمناً ساكن الروع ، يرفع رأسه تيهاً واعجاباً بحريته ، وشرف تربته التي لا سلطة للريجي عليها ، بل كثيراً ما كان الناس في جوار الجبل يلجأون اليه هرباً من مظالم الريجي وهو احد الاسباب للقول الشائع « طوبى لمن له مرقد عنزه في لبنان »

فلما سقطت الامبراطورية العثمانية ، وانتثر عقدها ، فانسلخت عنها الاقاليم والامصار العربية ، كسورية والعراق والحجاز وغيرها ، تنفس اهلوها الصعداء ، آملين انهم سيحصلون على اقل تقدير ، على مساواة لبنان من هذا القبيل وبالتبعية انهم سيستريحون من اثقال الريجي الممقوتة . ولم يخطر لهم على بال ان الحال سيكون عكس

ما املوا ، فتعم اللعنة لبنان بدل تخلص الولاية منها ، « ويصبح الـكل في الهوا سوا » . ولـكن هذا الذي حصل . وعوض تحرر الداخلية من ظلم الريجي شمل ذلك الظلم لبنان ، وغلت يد عامله الفقير عن الانتفاع بأرضـه . ولكي لا أكون متحاملا فاقول ما لم يقله اللبنانيون ، اورد المقالة التاليه بقلم لبناني : —

الزراعة اهم موارد الحياة لسورية ، بل هي قوام معيشتهـا ، ومداد نما تجارتها . ولـكن الزراعة على الاساليب القديمة ، مع قلة الايدي العاملة ، بسبب تيار المهاجرة الجارف ، وهبوط اسعار الحاصلات ، ومزاحمة الواردات الاجنبية من حاجيات المعيشة للبضائع الوطنية جعلها قليلة الجدوى . فصار الفلاح يرى أن ترك هذه المهنة المجهدة المديمة الجدوى ، مع جهله غيرها من مرافق المعيشة وتوليته شطر المهجر ، امراً لا مناص منه ولا سيما بعدما فقدت الفائدة الجزيلة التي كان يجنيها من « الدخان » الذي كان يعول عليه كثيراً ، ويفضله اضعافاً على زراعة غيره . وهو الذي كان يتدارك به محل موسمه من الاصناف الاخرى . وكل مفـكر في زيادة ثروة البلاد يراها تكاد تنحصر في هذا الصنف ، فما هو حال الفلاح الوطني وحاصلاته وهو يرى في دخانه الذي عانى في زرعه العنـاء والـكد ، وادارة الريجي تصليه الحرب العوان وتقيم سدوداً في وجه تصريفه ؟ .

ان اهل القطر السوري لا يطالبون من دولة اقامت نفسهـا وصية على بلادهم الا ان تعاملهم بما يعامل به الوصي القاصر فاذا رأت فيهم قصورا عن اداك معاني الادارة وابعدتهم عنها

يكون ذلك بعد الاختبار التام ، والا لم تراع المصلحة المنوطة بها واذارأت حبل اقتصا ديانهم مضطرباً تحتفظ به تعين عليها أن تتعهده بالاصلاح فلا يضطرهم الى الهجرة القاتلة فاهو رأي اهل هذه البلاد في الامرين ؟ . فاذا تركنا حديث الوظائف فهل تترك حديث الدخان ؟ . والدخان مقيد بالاحتكار تجارية الشركة بشكل ماأوتيت من السلطة الواسعة .

واذا كانت محدودة الاصل — عن علم بطرق المحاربة ، وهو علم واسع ، والحبيبة المنتدبة واقفة حيال هذا الامر موقفاً لا يراه الوطنيون في مصلحة أوطانهم ، بل في مصلحة الشركة نفسها ، التي هي الواقع حكومة في قلب حكومة . وماذا يحول دون ترك الحكومة زراعة الدخان حرة ؟ . تذمر اهل البلاد ، التي تعنى بزراعته ، من الشركة ، وقام ذوو المكانة منهم وكل من يمثلهم في المجالس العالية من المقامات ، ومن لهم التأثير في الرأي العام يحاضرون ويكتبون في الصحف ، ويفيضون ما شاءوا ان يفيضوا به من بيان مضافاً الى ذلك شكوى الاهلين من الشركة ، والتماس مساواتهم بالبلاد التي رفعت عنها قيودها الثقيلة ، وأبانوا الطرق التي تعتاض بها الحكومة ما يفوتها من منافع الادارة ، فماذا اجدى ذلك كله ؟ . وهل بعد ذلك كله مجال للشك في ان موقف الحكومة تجاه هذا المرفق العظيم ليس في مصلحة البلاد ، وان وراء كل هذا السكوت ماوراءه ؟ . وهل قول احد النواب في وسط المجلس اللبناني ان الحكومة تضحي بمصالح البلاد مراعاة لاسهم في شركة الريجي يحملها الفرنسيون هو ماترمي اليه حكومة الانتداب ؟ .

هذا بعض ماعثرت عليه في أحدى الصحف العربية بقلم سوري وهو يعطي صورة واضحة لشعور السوريين في مايتعلق بشركة الريجي وعلاقة الانتداب بها . وان الانتداب بسبب النفع الشخصي لافراد فرنسيين ضحى بمصالح سورية ولبنان . تلك المصالح التي أنيط به الدفاع عنها فيكون الانتداب والحالة هذه وسيلة لاهتضام منافع البلاد وانتزاع اللقمة من فم الامة الفقيرة . ولهذا التصرف نتيجة عرفها الجنرالان ميشو وغاملان .

جاء في ختام جلسات مجلس الاتحاد السوري في دمشق الشام ما نصه : — « ختم مجلس الاتحاد السوري فصل الجلسات الحاضرة بعد ان قرر الغاء حصر الدخان من الولاية » وهذا المجلس هو الذي اراده الفرنسيون لحكم البلاد ولكن هذا القرار لم ينفذ لان المفوض السامي رفضه . بل ذهب الى اكثر من ذلك على خط مستقيم . فانه امضى عقداً مع شركة الريجي ، جدد به امتيازها . وقد فعل ذلك بدون علم مجالس الامة النيابية ، وبدون ادنى سؤال عنها . فالمفوض السامي فرنسي ، وقد عطل قرار مجالس الامة السورية ، في مصلحة شركة فرنسية ، وجدد امتيازها ، الذي هو في الحقيقة قتل للامة السورية ، ودوس حقوقها وكرامتها . ومع ذلك فهو مفوض سام بيده ازمة امورها . فاذا تعمل الامة بعد ذلك غير الثورة ؟ .

هنا موافف استجلاء الحقيقة .

ان قرارات المجلس النيابي لا تكون نافذة الا اذا صدقها المفوض السامي . فقرارات المجلس مهما تكن ليست الا حبراً على

ورق . فيحملونها الى فخامته ، فينظر فيها نظرة يدرفها ، غير مقيد بشريعة ولا دستور . فلا يراجع ، ولا يناقش ، ولا يعرف غير ارادته المطلقة حاكماً . وواضح انه غير مقيد بمصلحة الامة التي قبض على ازمة امورها . بل بالعكس هو منحرف طبعاً عن تلك المصلحة مراعاة لمصالح مزاحميها على الحياة فهو اذاً خصيم وحكم في وقت واحد . وفي ذلك منتهى ما يمكن تصوره من الاجحاف والظلم. والمفوض السامي ، مع السلطة العسكرية التي هو رئيسها ، اقوام فرنسيون فهم يوثرون منافع ابناء بلدهم على حياة الامة السورية التي هم ضامنوها . فالامة مقيدة بالمفوض السامي وهوغيرمقيد بها ولا بريهاوالنتيجة انه بالرغم من انين الامة المحتضره اقتصادياً ، وبالرغم من الام المزارعين ، وبالرغم من صيحات الجرائد والكتاب ، وبالرغم من قرارات المجالس النيابية في الشام وبيروت ، وبالرغم من الواجب الانسانيالقاضي بانصاف الضعيف ، صاحب الحق ، و الرغم من واجب الانتداب للشعب السوري ، ذلك الواجب الذي يرتبط به شرف فرنسا ، فيسلم بسلامته وينعدم بانعدامه _ لان هتك مصلحة سورية يجرح شرف الدولة المنتدبة _ اقول بالرغم من كل ذلك ، وبالرغم من المسؤولية الملتحقة بالمفوضية في عين التاريخ ، وفي عين الرأي العام ، وفي عين التمدن ، بالرغم من ذلك كله ،حدد المفوض عقد الريجي ، وظلت تلك الشركة « الحلمية » تمص دماء امة لصق جلدها بعظمها ، واشرفت على الموت . فداست الشركة بقدميها مصلحة سورية ولبنان ، بمساعدة وعضد دولة الانتداب التي تعهدت بالدفاع عن مصالح سورية ولبنان . فترى ان السلطة

الفرنسية في سورية ليس فقط لم تقم بواجبها الرسمي ، بل انها هي نفسها عطلت ذلك الواجب ، وعاكست مصالح لاجلها وجدت تحت سماء سورية . فهدمت امة اؤتمنت على صون كيانها ، وسدت منافسها لتخنقها خنقاً . وفخامة المفوض السامي يتعجب من ان سورية تحارب فرنسا فماذا يتوقع ان تعمل امة خنقتها حكومة اجنبية ؟ .

سال ألدكتور قدوره في أواسط شهر حزيران سنة ١٩٢٢ مندوب الحكومة قائلا : — ما السبب في ان شركة الريجي ودائرة الديون العمومية بقيت بسورية ولبنان مع انها الغيت بفلسطين ؟ . فلم يعط جواباً على سؤاله هذا :

وفي ١٥ ك ١ سنة ١٩٢٢ وجه الامير فؤاد ارسلان سؤالا للحكومة قال : — اتخذ المجلس قراراً بخصوص الريجي والديون العمومية في اجتماع اذار الماضي ولم يعط جواباً على ذلك وها قد مضى ثمانية اشهر . ثم قال : —

ان جواب الحكومة غير واف بالمرام . فلو صح ان هذه المسألة معلقة على تصديق معاهدة لوزارن فلماذا الغيت في فلسطين والعراق ؟ . سبق لي ان قلت في خطابي في اب سنة ١٩٢٢ اذا كان للريجي حق عندنا فنحن نرضى ان نجرى حساباً عند المفوضية العليا ، واذا كان لها علينا شيء دفعناه لها . ولكن المظنون ان تكون هي المديونة وحتى الآن لم تتمكن الريجي من اثبات قانونية وجودها عندنا . اذ لم يصدق على تمديد مدة امتيازها المجلس العثماني ثم ان في اتفاق الريجي مع الدولة العثمانية شرط صريح ما له

انه اذا انسلخت ولاية عن جسم الدولة العثمانية ، وكان للريجي في تلك الولاية حقوق تعود الريجي على الدولة العثمانية لاستيفائها حقوقها . وهل انسلاخ اكثر من انسلاخنا عن تركيا ؟ . فلماذا لا يعمل بهذه المادة ؟ .

ان المعروف ان لهذه الشركة منافع لبعض متمولي الفرنسيين فلاجل منافع ذلك البعض يضحى بمقدرات الشعب اللبناني . ولو ان في الامر منفعة للشعبين الفرنسي واللبناني ، لعذرنا الدولة المنتدبة بمساعدتها شركة ، او شركات ، فرنسية بما فيه ضرر الشعب اللبناني بكامله . وحضرة المفوض السامي اعرف الناس بحالتنا الاقتصادية التي تحتاج الى موارد ، عدا حاجة اشغال اليد العاملة المكتوفة . ايجوز ان نرى شركة بدون حق قانوني تأخذ اهم موارد البلاد ، والدولة المنتدبة تساعدها علينا ؟ . انهم رغم قرار المجلس ، ورغم شكوى الاهالي والجرائد ، لا يوقفون الريجي عند حدودها المزعومة . بل نرى انها تتعدى لبنان القديم ، الذى لم يشعر بوطأتها في الزمن الغابر . فاصبح اليوم معرضاً لهجمات الريجي . ولا من يدافع عنا

فمع ردي هذا على جواب الحكومة اسألها تكراراً لماذا لا تجيب بصراحة عما سبق بيانه . واسألها الايضاح عن مآل التلغراف المنوه عنه اعلاه . ماهو الاتفاق الممضى مع الريجي ؟ . وماهي مقاولة الجمرك ؟ . وباي حق يمضي المفوض السامي مقاولات بدون ان يكون لحكومة لبنان والمجلس المنتخب علم بما يجرى بموارد البلاد العائدة اليه ؟ .

وهذه صورة التلغراف « امضي المفوض السامي اتفاقاً مع الريجي والجمرك الذي أصبح مأموراً بالمحافظة على حقوق الريجي لقاء مال يقبضه »

أكتفي بهذه الاشارة اللطيفة الى مسألة الريجي وهي كافية لتبرير القيام على فرنسا لو كانت وحدها . فما قولك وقد أضيف اليها ما هو أفظع منها وا كثر اتلافاً لمصالح السوريين ؟ . فرأى السوريون ، كما رأى كل عاقل ، انهم بين امرين ، الموت سكوتاً والموت تحت ظل الثورة ، فآثروا الثاني ورأوا الواجب يدفعهم للموت في محاربة الانتداب اوتقيهم بداً ورجلا ، وضرب مصالحهم الاقتصادية ضربة قتالة . فركبوا هذا المركب الخشن الذي لم يركبوه في عهد السلاطين العثمانيين ، لان تعديات اولئك لم تبلغ تعديات فرنسا ، وما تجره تلك التعديات .

الورق السوري

القي نظرة واحدة على الريجي ـ شركة حصر الدخان ـ والف نظرة على ورق البنك السوري . فان هذا اعم من الدخان لاضطرار كل واحد ان يتعامل به فهو امس من الدخان بمصالح السوريين فيهمنا في كتاب كهذا ان نعرف شيئاً عن أصل الورقة السورية وفصلها

كان في جملة بنود البلاغ النهائي المقدم من الجنرال غورو للملك فيصل في تموز سنة ١٩٢٠ مادة تختص بالورق السوري وسبب وضع هذه المادة في البلاغ هو ان ناظر مالية الملك فيصل — فارس بك

الخوري — كان قد اصدر قراراً به بحظر التعامل بالورق السوري ، مستنداً بذلك الى قواعد مالية ، وحقوق دولية ، معمول بها ومقررة في كل ممالك الارض. ومن تلك القواعد ان البنكنوت يجب ان يكون مضمونا بالذهب ، أو بورق أجنبي يستند الى الذهب ، كالجنيه الانكليزي والدولار الامريكي ، والين الياباني.. وبما ان البنك الذي سموه البنك السوري اصدر الورق السوري بترخيص الانتداب، وذلك الورق غير مضمون بالذهب حسب الاصول وبما ان خسارة المتعاملين به لا بد منها ، اذ لا يوجد تقاء كل ثلاثمائة لير اوراقاً الا ليرا واحدة ذهباً ، هذا عدا المضاربات المطلقة بصعود الورق وهبوطه ، لذلك أصدر ناظر مالية الملك قراراً حظر به قبول الورقة السورية ، او التعامل بها ، في الدولة السورية . قد فهم القارىء ان المسألة من خصائص فن الاقتصاد ولا أدرى الى أي فن استندت الدولة الفرنسية في الزامها الامة السورية ان تتعامل بورق غير مضمون !! . . . اترك البحث بهذه المسألة ، فنياً ، لارباب الفن . واقتصر على تبيان العلاقات التاريخية والمنطقية بين السبب والنتيجة اي بين تصرف المفوضية وبين الثورة ، لان هذا غرض التأليف ، فاقول

جرت العادة في البلدان المتمدينة ان يصدر بنك الدولة ، اوبنك اهلي تعتمده الدولة ، كالبنك الاهلي المصري مثلا ، ورقاً يتعامل به الناس ، ويسمونه بنكنوت ، او بنك نوط . ومعنى الاسم ورق البنك . ومن المعلوم ان الذهب اساس البنكنوت . أي ان الدولة لا تأذن للبنك باصدار اوراق مالية مالم يكن عنده احتياطاً لكل جنيه ورق جنيه ذهب . ويلتزم البنك في أي حين قدم اليه

ورقة من ورقه ان يبدلها بالذهب .. فيتعامل الناس باوراق البنك ماشاءوا ، ومتى احوجهم الامر كما لو أرادوا السفر من البلاد، أوان يرسلوا أثمان بضائع اجنبية ، او ماشاكل ذلك من الاسباب ، يذهبون الى البنك الذى اصدر تلك الاوراق ويستبدلونها بقيمتها ذهباً . ويستلزم ذلك طبعاً أن يكون احتياط البنك معادلا قيمة الاوراق التي اصدرها . وللفنيين في ذلك قواعد وتعليمات يعرفونها ، ليس من اغراضي الايغال فى حصرها . والذى أريد أن أقوله ان الدولة هي المراقب على البنك . وعلى هذا الاساس يأمن الناس على أموالهم . فاذا فقدت الحكومة الامانة والشرف ، كما فعلت المانيا وروسيا ومكسكو ، عرضت مصالح الناس للضياع . كما حدث لليرا العثمانية ، والروبل الروسي ، والكرون النمساوي ، والمارك الالمانى ، والبيسو المكسيكي . فخسر حاملو تلك الاوراق كل أو بعض قيمتها ، وكانت الاضرار والمرائر الناجمة عن الخسارة ما لايجهله أحد في البلاد . فلما اصدر البنك السوري أوراقه المعروفة ، وهى غير مضمونة بالذهب ، وناظر مالية الملك فيصل عالم بأمرها ، كان قراره مشروعاً ، بل واجبا ، دفاعا عن مصلحة الامة . ولكن المفوضية الفرنسية وهي عادمة الحجة والبرهان فى هذا الموقف عمدت الي المدافع والمتفجرات . لكي تبرهن لنا انه يجب علينا التعامل بتلك الاوراق ومعلوم عند القارىء الحصيف ان السيف حجة من لاحجة له ، ودليل من أعوزه الدليل . لذلك جاء في التميتم الجنرال غورو الذى ارسله الى الملك فيصل وجوب التعامل بالبنكوت السوري . وغب سقوط مملكة فيصل ، وتوطيد عرش الانتداب الفرنسي ، الزم الناس

ان يتعاملوا بالورق السوري . فخسروا أموالهم بالورق وربحها البنك . فان البنك اصدر الورقة بسعر ٣٦ غرشاً صاغاً مصريا . فهبطت قيمتها الى ٩ غروش . وخسر الناس بها ٧٠ فى المائة من قيمتها . فاشتراها البنك من ايدي الناس بتسعة غروش ورفع قيمتها الى ٢٥ غرشا . فربح البنك بذلك ، وقبضها الناس من البنك بهذا السعر ثم هبطت اسعارها وعلى هذه الكيفية اصبحت الورقة السورية منشاراً بيد البنك يقطع فيها الباقي من خشب الحياة السورية نزولا وصعوداً .

اصدر البنك السوري على ما اعلم اوراقا قيمتها خمسة وعشرون مليون ليرا سورية . اما رأس مال البنك فهو ٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية . فيكون الاحتياطي بالبنك ليرا فرنسية ، ورقا ، لكل خمسين ليرا سورية وعلما ان الذهب الاحتياطي بالبنك الفرنسي بباريس ليرا ذهباً لكل ست ليرات ورقا كانت ال ٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية مضمونة بسدسها ذهبا اي ان كل ليرا سورية مضمونة بجزء من ثلاثمئة جزء من الليرا وبعبارة أوضح كل ثلاثمئة ليرا سورية قيمتها الحقيقية ليرا واحدة ذهبا . جاء فى مباحث البرلمان الفرنسي ، من فم السيد فكتور بيرار ان البنك السوري تأسس في أحوال ، وعلى شروط لم يكن الممولون الذين اشتركوا فى تأسيسه يتوقعون أفضل منها . فقد دعت حكومة فرنسا بعض ذوى الاموال للاكتتاب بمبلغ عشرة ملايين فرنك (٥٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية ورقا) ثم سألتهم رفع هذا المبلغ إلى ٢٠٠٠٠٠٠٠ مليون فرنك (١٠٠٠٠٠٠ ليرا فرنسية ورقاً) وعلى هذه الصورة البسيطة تم انشاء البنك السوري .

الذي يقوم الآن باعماله تحت حماية ممثل فرنسا بسورية . ثم اعطوا لهذا البنك امتيازاً باصدار الورق النقدي . وقالوا له ان يصدر المبالغ التي يريدها بشرط أن يدفع ضمانتها للخزينة الفرنسيه . من سندات الدفع الوطني . فقدم البنك من هذه السندات ماتوازي قيمته ٢١٥ مليون فرنك . أي ١٠ ملايين ليرا ورقا . وتدلنا ميزانية هذا البنك الذي رأس ماله (٢٠ مليون فرنك بنكنوت — ١٦٠٠٠٠ جنيه مصري تقريبا) ان معدل ربحه كان ٢٨ مليون فرنك اي ١٤٠ في المائة . عدا ٦ في المائة قبضها من حكومة فرنسا عن الضمان . فيكون ربح البنك في السنة ١٤٦ في المائة

ومن الذي خسر هذه القيمة ؟ . سورية . لان البنك كان يلاعب سورية بمقامرة يجهلها ، ويداها مغلولة باحكام الانتداب . فكانت خسارة الاموال ودمار المصالح امرا محتما كالموت بحكم الانتداب لخسر السوريون المساكين ، المظلومون ، المقهورون ، دراهمهم واشرفت بلادهم على الافلاس . ولا يمكن أعفاء فرنسا من المسؤولية على تصرفها هذا ، فانها استعملت السيف لارغام الناس على تسليم اموالهم للبنك الفرنسي . وعمل فرنسا هذا هو في جوهره وحقيقته نفس ما عمله البوليس المكسيكي . واليك حكايته . لما شعر السوريون ان البيسو المكسيكي على وشك للموت شرعوا يمتنعون عن قبضه . ولكن المكسيكيين الذين كانوا يحملون البيسو جعلوا يرغمونهم على قبضه بقوة البوليس . اخبرني سوري قال : صرنا نقفل مخازننا وندعي اننا مرضى ، فكانوا يجرونا من بيوتنا ، ويرغمونا على فتح مخازننا ، والمسدسات مشهرة على اعناقنا بيد

البوليس . فكانوا يطلبون منا ما شاؤوا من البضائع . فاذا لم يجدوا مطلوبهم طلبوا نوعاً آخر ، وحملوا بضائعنا ودفعوا لنا اثمانها اوراق البيسو . وفي صباح اليوم التالي الغي البيسو ، وصارت قيمته قيمة المارك الالماني - اعني صفراً - فاصبحنا مفلسين . هذا ما عمله بوليس مكسكو . وهو نفس ما عملته فرنسا فانها ارسلت الجيوش بقيادة الجنرال غارنيه وورفاقه مصحوبين بالطيارات والدبابات وغيرها من معدات القتال ، لترغم الامة السورية على قبول الورق السوري. وفازت فرنسا بالمعركة طبعاً . والتزمنا ان نقبض من حبيبتنا فرنسا الورق السوري والمبلغ ٢٥ مليون ابرا قيمتها يوم اصدارها خمسة وار بعون مليون دولار امريكي . واليوم قيمتها بايدينا ٢٠ مليون دولار فقط. فتكون الخسارة بقيمتها فقط خمسة وعشرين مليون دولار امريكي . هذه القيمة حصلتها منا فرنسا « بالحديد والنار » فكيف لا نستميت في حبها ؟ . فهل فهم مسيو بونس لماذا حاربناها ؟.

لا وابيك فان هنالك ما هو ابدع من ذلك جداً . فان من اغرب ما سطرت الاقلام في سياسات الشعوب ما فعله الجنرال غورو بلبنان . وهو ان الحكومة اللبنانية كانت قد احتاطت لنفسها وذخرت مبلغاً من الاموال بالنقد الاجنبي - مصري وانكليزي وامريكي - الثابت القيمة ، المضمون بالذهب . فصدر امر فخامته ، الذي لا يرد، في ١٥ ت ١ سنة ١٩٢٠ « بابدال الاوراق المصرية التي بخزائن الحكومة باوراق سورية من خزائن الجيش الفرنسي » الظافر » وبحكمة فعل . فلم يكن للبنانيين التاعسين ندحة عن الطاعة . فحملوا اموال الامة بايديهم الى خزائن الجيش . ودفعوها لهم - وهي

ذهب . وبعضها اثمن من الذهب . وقبضوا بدلها اوراقاً سورية . لاقيمة لها فربح الفرنسيون وخسر اللبنانيون ولكن الامر كان بالقسر والارغام . فهذا العمل يحسبه السوريون ان لم اقل يحسبه العدالة من نوع اللصوصية : وبما ان البنك السورى لمساهمين فرنسيين كما مر بك فتكون فلسفة الامر هكذا : ان الجنرال غورو امر حكومة لبنان ان تدفع ما عندها من الذهب لافراد فرنسيين وتقبض بدله ورقا لا قيمة له . وفلسفة فلسفة الامر هي هكذا بما ان الجنرال غورو ليس الا موظفاً فرنسياً :« ان فرنسا سلبت بالقوة والاجبار اموال السوريين ودفعت تلك الاموال المغتصبة بالقوة لابنائهـا وتركت احبابها اللبنانيين صفر اليدين : »

افيرى سيدى بونسو ذلك كافياً لحمل السوريين السلاح في وجوه اخوانه الفرنسيين ؟ .والافما الذى يحسبه سبباً كافياً للحرب ؟

جردني من القومية . وان شئت فاجعلني حجراً . فماذا تعمل باقلام السوريين الذين ملاوا الدنيـا صياحـا . وهوذا جملة بقلم احدهم قال : —

سنوا (الفرنسيون)قانوناً لايفاء الديون التي من قبل الحرب . فقرر القانون ان تدفع الجنيهات الذهبية بالورق السورى . اى ليرا سورية بدل الجنيه الذهب وكانت النتيجة ان البنك العثماني — هو البنك السورى بعد الحرب — وامواله لمساهمين فرنسيين ، كان عنده ودائع وامانات تبلغ قيمتها مليونين من الجنيهات ذهباً. فدفعها لاربابها السوريين مليوني ورقةسورية .وصافي ربحه بها ١٣٠٠٠٠٠ جنيه ذهباً من دماء الشعب السورى : »

ومسيو بونسو يتعجب كيف يحارب السوريون فرنسا !

وجاء في مقالة ثانيه لكاتب آخر ما نصه : —

ماذا فعلت فرنسا في الاربع سنين (اى منذ احتلت سورية الى سنة ١٩٢٢) ؟ . الجواب

اولا : اخذت الذهب الى بلادها

ثانيا : ملات البلاد اوراقاً سورية لا قيمة لها

ثالثاً : البعثة الفرنسية هي الواسطة لاستنزاف ما بقى لنا من الثروة

رابعاً : انشأت البنك السوري الذي ربح في سنة فقط مليون ليرا

خامساً : انشأت المجلس التمثيلي لتتوكا عليه وهو لا يستطيع البت في ابتياع رغيف خبز دون موافقة المفوض السامي

سادساً : لزمت الطرقات والسكارى لرجالها بمبالغ عظيمة مع انه كان يمكن ان تلزمها الوطنيين بمبالغ صغيرة . وصقالة طرابلس برهان واضح على صحة ما اقول . فقد لزمتها السلطة للفرنسيين بمبلغ مائه وستين الف جنيه ورفضت طلب مقاولين سوريين بمبلغ ستين الف جنيه . والفرق بين المبلغين فقط مائة الف جنيه . »

هذا بعض ما قاله كاتب سوري . ولئلا نتهم بعدم محبة فرنسا نحن السوريين — اورد هنا ما كتبه لبناني من عشاق « الام الحنون » قال : —

« الانتداب في لبنان »

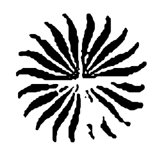
« لو ان جمعية الانتداب (في سويسرا) علمت بما ترتكبه

الدول باسم الانتداب على البلاد الخاضعة لسلطانها ، لو ان جمعية الامم علمت ان الانتداب اصبح استعماراً مقنعاً لناقشت تلك الدول فرنسا الحساب عما يرتكب عمالها من الامور المغايرة لكل نظام وهنا اورد الكاتب شواهد واقعية تثبت استئثار الفرنسيين بالامر ولاسيما طمعهم بالمال وتحيزهم لابناء جنسهم ضد مصلحة البلاد وضد العدالة وضد الناموس والشرف وضد مصلحة فرنسا نفسها اكتفيت بالاشارة اليه مع المقدمة الواردة اعلاه . .

ذكرت امرين فقط وهما الرجي والورق السوري . واشرت اشارة الى امرين آخرين هما الديون العمومية والالزامات . وهنا لك طرق اخرى بها افقرت المفوضية سورية وسلبت اموالها ساذكرها في الجزء الثاني ان شاء الله .

والنتيجة هي قيام السوريين على الانتداب ، وهو ما يتعجب منه مسيو بونسو

. . . .



السبب السابع

تحيزها لابناء فرنسا ضد العدالة

واحلالهم محل ابناء البلاد في اجتناء ثمرتها

يراعي التشريع في كل امة مصلحة ابنائها اولاً، وايثارهم على من سواهم ، في قطف ثمرات البلاد من صناعة وتجارة ووظائف وزراعة وتعدين وتحريج ، الى غير ذلك من مقدرات البلاد .

وكل تشريع يخالف هذه القاعدة فهو صادر عن عدو الامة والبلاد . ولا يمكن دولة فاتحة ، او محتلة ، ان تربح القلوب وهي تجني على تلك الامة بما تسنه من القوانين او تصدره من القرارات المنافية مصالح ابناء الامة والبلاد . كما فعلت المفوضية الفرنسية في سورية ولبنان . فكأنها كانت ترمي الى اثارة السوريين عليها ، او الى قطع اواصر الحب التي تقرن قلوبهم بها : مثال ذلك ما يأتي

(١) المحاكم المختلطة

نرى في الاخبار التي نشرتها الصحف السورية ما نصه : « اصدر المفوض السامي قراراً حدد فيه يوم ١ شباط سنة ١٩٢٤ موعداً لبدء المحاكم المختلطة في سورية ولبنان . والشائع ان المحامين في بيروت ، سيضربون عن العمل ١٠ او ١٧ يوماً احتجاجاً على هذا العمل » .

وجاء في الصحف ايضاً ما نصه : —

« سأل الامير فؤاد ارسلان مندوب المفوضية في المجلس عن المحاكم المختلطة ، وسبب انشائها ، دون اخذ رأي المجلس . وقال ان هذا العمل مناقض لصك الانتداب . الذي لا ينص على مثل هذه المحاكم التي تعتبر مهينة للبنانيين ، ولارقى هيئة فيهم - وهي الهيئة القضائية - وذكر ان الامتيازات الاجنبية الغيت من تركيا . فهل يكون للدول ثقة بالترك اكثر من الثقة التي لهم بالدولة المنتدبة. وختم الامير مذكراً فرنسا بشعارها - حرية مساواة اخاء -

بعده

« تقرر ان تضرب نقابة المحامين في لبنان اسبوعا واحدا احتجاجاً على انشاء المحاكم المختلطة » .

وجاء في جريدة الاحوال - صديقة فرنسا - :

« ان مسيو ركلان المستشار السابق للعدلية في سورية أستقال بسبب انشاء المحاكم المختلطة على شكلها الحالي ، من دون مراعاة مصالح لبنان وعواطفه . وانه سيغادر بيروت الى فرنسا . وان فريقاً كبيراً من المفكرين يقيمون حفلة تكريمية لهذا البطل الحر .

وقالت الجريدة نفسها تحت عنوان « كل شيء يزول وحرف واحد من الناموس لا يزول » : ان وزارة العدلية تلقت امراً بان هذه المحاكم ستباشر عملها في اول شباط القادم .فقامت في صحف سورية ضجة كبيرة حول المحاكم المختلطة التي صدر القرار بانشائها . وقد نشر المحامي نجيب خلف دعوة الى زملائه المحامين بالاضراب احتجاجاً على هذه المحاكم .

وحملت جريدة البرق حملة صادقة على هذا المشروع . وعقدت

نقابة المحامين في دمشق اجتماعاً برئاسة الاستاذ فارس بك الخوري للنظر في قضية المحاكم المختلطة . وبعد البحث والدرس تقرر ان يتولى مجلس النقابة مواصلة الاحتجاج الى المفوض السامي ، ووزارة الخارجية الفرنسية على هذا الامر ، وان يكتب الى رئيس الاتحاد السوري طالباً منه الامتناع عن توقيع اية لائحة ، او قانون او نظام ، اوامر يودي الى قبول هذا المشروع ، كليا او جزئيا . وان وان يكتب بمثل ذلك الى مجلس الاتحاد السوري ، وان يطلب منه الامتناع عن تصديق هذا القانون ، وعن قبول كل نفقة أو راتب لخدمته . وان يكتب كتابا لحاكم دمشق لتقديمه الي المجلس التمثيلي حين اجتماعه يطلب فيه اعطاء قرار من المجلس بالاحتجاج على هذا المشروع وعدم الموافقة عليه ، ومفاوضة نقابة المحامين بحلب للاتفاق معها على مقاومته ، واذا أصرت السلطة عليه فالاضراب » .

غيره

اجتمع قضاة المحاكم المختلطة في لبنان بالقضاة الوطنيين في قاعة المجلس النيابي . وتولى شارل افندي دباس مدير العدلية مهمة تعارف الفريقين . فدارت بينهم احاديث مختلفة ، صرح بعض القضاة الفرنسيين في خلالها انه ثبت لهم بالاختبار ان القضاء في سورية ولبنان يضارع القضاء الفرنسي في ارتقائه . وان القضاة الوطنيين جديرون بالاعجاب الفائق لما هم عليه ، من سعة الاطلاع ، وطول الباع في الشؤون القضائية .

وقال كاتب هذه المقالة : « كنا نتردد في اثناء ايام الاضراب الثلاثة على قصر العدلية ، فيبدو لنا السكون الرهيب : اذ لم يكن

هناك سوى رجال القضاء ينتظرون المتقاضين وهم جلوس على منصات الحكم وعبثا انتظروا » . برهنت البلاد على نفورها من انشاء المحاكم الاجنبية بلسان صحافتها ، واضراب المحامين . واظهرت لولاة الامور ، وللملا اجمع ان جلوس القضاة الاجانب على منصات الحكم في مجالسنا القضائية هو اغتصاب حق شرعي شاءت الاقدار ان يهضم

وصدرت جريدة الوطن البيروتية مجللة بالسواد يوم الاضراب حداداً على الكارثة النازلة بالقضاء الاهلي . واضرب المحامون ثلاثة ايام .

وجاء في مقالة لاحد الكتاب السوريين في صحيفة عربية بمصر بتاريخ ١٤ آب سنة ١٩٢٢

« القضاء احد الاركان الثلاثة التي تقوم عليها سيادة الدوله . وهو اول مظاهر السيادة والاستقلال وعنوان رقي الامم ، والميزان الذي توزن به كفاءتها، فحفظه شرط اولي لسلامة الامة والبلاد . وقد وجد الفرنسيون حين نزلوا بسورية ولبنان محاكم وقوانين تفي بحاجة البلاد . ووجدوا قضاة اكفاء امتازوا بالنزاهة والاستقامة ، ونالوا اعجاب القريب والبعيد . وقد اثنى عليهم الجنرال ويغان في محاضرة القاها في فرنسا فقال في كلامه عن القضاة « ولا يسعني في هذا المقام الا ان اجاهر ، كما يطلب مني الانصاف ، بأنه يوجد في سورية ولبنان قضاة ممتازون جداً ». وقد كان العقلاء ينتظرون السلطة المنتدبة ان تقرر هذه النظم المستمدة من التشريع الفرنسي. وتولي هؤلاء القضاة الذين تخرج معظمهم من فرنسا - ثقتها .

فتنشطهم وتشجعهم فينهضون بالقضاء نهضة تحفظ له كرامته وكرامة الامة التي يمثلها . ولكنا عوض ذلك عمدوا الى انشاء المحاكم الاجنبية التي كانت اول طعنة طعن بها القضاء الاهلي وقد احتجت جميع الهيئات التمثيلية في سوريه ولبنان على هذا النظام ، مبينة عدم انطباقه على كرامة الامم المستقلة .واضرب المحامون عن العمل ، وصدرت الصحف مطوقة بالسواد حداداً فلم يثن ذلك السلطة عن عزمها فوضعت هذا النظام ، ونفذته في وسط ضجيج البلاد لا تعبأ باحد . ولا تكترث لاحد ، معتمدة على سلطانها القائم على القوة الحربية. ولم تقف المفوضية عند هذا الحد . فاعدت مشروعا جديداً يؤدي الى القضاء على القضاء الاهلي .ويقضي المشروع الجديد الذي وضعه مسيو فروجلو ، رئيس محكمة التمييز اللبنانية العليا ، بادغام القضاء الاهلي بالقضاء الفرنسي (وسيأتي بيان ذلك) وتعيين قاض فرنسي في كل محكمة لبنانية وسورية . واستعانوا ببعض الموظفين القضائيين ، فجالوا بمضابط بها يطلبون مزج القضائيين ، ويطلبون توقيعها من الناس لتستند اليها المفوضية ، وتدعي انها عملت ما عملته نزولا عند رغبة الاهالي .

فاعرض عن توقيع تلك المضابط كبار القضاة ، وهي تماثل ما كانت تركيا تجريه يوم ذبح الارمن ، فتكتب لوائح تشهد بعدالة عمل الحكومة ، وتثني على استقامتها ثم ترسل تلك اللوائح التي كتبتها الى الآباء الروحيين ليوقعوها تحت التهديد الشديد اذا هم ابوا ذلك . فاحتجت نقابة المحامين على هذا العمل .

. . . .

الادغام القضائي

مر بك الكلام عن المحاكم المختلطة ، التي انشأتها المفوضية الفرنسية في سورية ، ضد رغائب اهاليها . وهنالك عمل آخر يحاكيه شذوذاً ، « وهو الادغام القضائي » . والفرق بين المحاكم المختلطة والادغام القضائي ، هو ان المحاكم المختلطة تحسب اجنبية ، وان كان فيها عضو وطني . واما في الادغام القضائي فالمحاكم محسوبة وطنية . ثم ان المحاكم المختلطة لا تكون في مراكز القضاء . ولا توجد الا في العواصم . اما القضاء المدغم فيوجد في كل محكمة . وهذا هو قانون تأليف المحاكم حسب الادغام القضائي .

جاء في صحف البلاد ما نصه . نشر المشروع القضائي ، وقد اقرته باريس . وهو يقضي بتأليف المحاكم ، كما يأتي .

اولا . محكمة التمييز العليا

الرئيس الاول : وطني
الرئيس الثاني : اجنبي (اى فرنسي)
النائب العام : اجنبي
المحامي العام : وطني

ثانيا . محكمة الاستئناف

الرئيس الاول : وطني

الرئيس الثاني : اجنبي
المدعي العام : اجنبي
المحامي العام : وطني
ويكون لهذه المحكمة ثلاثة معاونين ، احدهم اجنبي ، والاثنان الآخران وطنيان . ويكون لها سبعة اعضاء مستشارين وطنيون وثلاثة اجانب

ثالثاً . المحكمة البدائية

. رئيسان اجنبيان ، ورئيس ثالث وطني
النائب العام . وطني
ستة اعضاء وطنيون . وثلاثة اجانب
معاونان اجنبيان . وثالث وطني
وفي محاكم الملحقات احد عشر اجانب ، بحيث يكون ملحق واحد في كل محكمة .
وقد اضرب محامو بيروت يوم اعلان هذا القرار

. . . .

لا اظن ان مسيو بونسو تصور امامه صفقة واحدة كل هذه الاسباب والعوامل ، او بالحرى البواعث ، التى هي حلقات متواصلة تؤلف سلسلة نسيمها الادارة الفرنسية في سورية . وغاية هذه الادارة ، منطقياً الثورة . ولو نظر فيها لخامته نظرة نزيه منصف لاستحال ان ينكر على السوريين قيامهم على فرنسا او يستغرب به . بل بالحري كان ينكر على فرنسا محاملها على السوريين ، بدليل ما

رأيناه من حسن نيته في اجابته السوريين الى مطالبهم ، والاحتفاظ بحقوقهم في ادارة شؤون بلادهم . فيحملنا حسن الظن على الاعتقاد انه لما ابدى تعجبه من قيام السوريين على فرنسا لم تكن هذه الاسباب نصب عينيه . بل كان ناظراً الى القضية من جهة واحدة فقط

فارجو لفخامته ان يراجع تاريخ حماية انكلترا سلطنات ملقا في القرن التاسع عشر . فانها من ابدع ما ازدان به تاريخ الاستعمار في كل القرون . ثم يتأمل كيف اكتفى بها اقوام تلك الاقطار السحيقة ، والشقة بينها وبين انكلترا ابعد جداً من الشقة بين سورية وفرنسا . ولينظر الفرق العظيم بين عمران تلك الاقطار وخراب سورية ، وبين نجاح تلك وتقهقر هذه . وبين مقام انكلترا الادبي هناك وبين المنزلة التي انحدرت اليها فرنسا في ربوع اقوام كانوا يحبونها قبلما عرفوها . وبين السلام المخيم فوق بينانغ وجوهر وسيلانغور وسنغابور وبين الثورات والقلاقل التي اكتسحت جبال العلويين وجبل الدروز والغوطة ووادي التيم وحلب والشام

حكاية حماية انكلترا اقسام ملقا

دخلت ملقا وبينانغ وسنغابور في حوزة شركة الهند الانكليزيه سنة ١٧٩٥ وانضمت معاً سنة ١٨٢٦ وتخلت عنها الشركة للدولة الانكليزية سنة ١٨٦٨ . فيكون قد مر عليها الى الان ١٣٣ سنة رائعة في بحبوحة من الهناء والفلاح ، يحسدها عليها لبنان

كان في جوار هذه الاقسام اربع سلطنات وطنية وهي بيراك وسيلانغور ونيجري سمبليون وملهانغ . وكان سلاطين هذه

الاقسام في نزاع مستمر بينهم ، اورثهم الفقر والانحطاط . وفي سنة ١٨٧٨ لجأ الى انكلترا اثنان من سلاطين تلك الاصقاع ، هما سلطان بيراك وسلطان سيلانجور . فطلبا الحماية الانكليزية . وجاء في عريضتهما ان الحامل لهما على طلب الحماية هو حسم المنازعات مع جيرانهما ، والحصول على نظام حسن لادارة شؤون البلاد .

فلبت انكلترا طلبهما ، وارسلت لكل منهما مستشاراً من انكليز المضائق المار ذكرها ـ وهي سنغابور وملقا وبينانغ ـ واوصته بعدم التعرض لشؤون البلاد والعبارة التي الفت نظر مسيو بونسو اليها وهي « عدم التعرض لشؤون البلاد الاهلية »

وليأذن لي فخامته ان اكرر هذه العبارة بحروف اكبر

« عدم التعرض لشؤون البلاد الاهلية »

فاسمع ماذا كانت نتيجة السياسة الانكليزية .

اوصت انكلترا المستشارين الذين عينتهم لتلك السلطنات ان يحصر كل منهم همه بالشورى فقط ، وسن نظام للميزانية بمساعدة لجنة من موظفي المضائق . ويترك الادارة والقضاء للاهلين فسكن ثائر الهياج سريعا ، في بلد تعود اهله الحرب وشن الغارات. وذلك عكس ماجرى بلبنان البلد الذي كان هادئا امينا فصار بعد حلول فرنسا مباءة لجرائم الثورات والنزاع وسفك الدم .

فنمت مداخيل بيراك وسيلانجور ، وبعد كونهما يؤرثى فساد صارتا ميدانا اقتصاديا راقياً ـ ألم يعمل اللورد كرومر هكذا بمصر ؟ ـ

فلما رأى سلطان نيجرى سمبليون ذلك نحا نحوهما ومد يده للانكليز طالبا الحماية ، فاجابوه الى ذلك ، فعمت الخيرات بلاده . وسنة ١٨٩٠ قال سلطان ماهانع لانكلترا « وانا » . فقالت له « وانت » . يعني انه طلب الحماية اسوة باخوته فمنت بها عليه ، وشملت الحماية الانكليزية السلطنات الاربع ، غير المضائق التي ذكرت آنفا .

وفى سنة ١٨٩٦ قادتهم انكلترا مختارة الى تأليف محالفة — كونفدراسيون — بينهم . واعضاؤها هم الآتون .

١ حاكم المضائق ومقره سنغابور
٤ سلاطين السلطنات الاربع
٤ مستشارو كل من السلاطين الاربعة
٤ اعضاء ، من كل سلطنة عضو

١٣ المجموع ثلاثة عشر عضواً

ينحصر عمل هؤلاء فى ميزانية الدخل والخرج وسن القانون ، او الدستور . مع ترك كل سلطان حراً في سلطنته

لم اسمع ، ولا احد فى الارض سمع ، ان تلك السلطنات ندمت على دخولها تحت حماية انكلترا ، او انها ثارت عليها او حاربتها . فلما رأت أقوام تلك الجهات ما رأت من نزاهة انكلترا وحكمتها وحسن ادارتها ، ومحافظتها على حقوق الاهالي ، وانها تركت لهم حريتهم في ادارة بلادهم ، سارعوا هم ايضاً لطلب حمايتها . فاستظل بتلك الحماية اربعة اقسام اخرى هي كيدا ، وبرمي ، وكالانتان ، وترانجور فعينت لها انكلترا مستشارين كسلطنات

المخالفة واوصت اولئك المستشارين ان لا يتدخلوا في شؤون الاهالي.

وواضح ان انكلترا لم تخسر بحسن سياستها ، كما ان لا دولة تخسر شيئاً بحسن سياستها . فقد جنت انكلترا من ذلك يانع الثمار فاحرزت مجداً لم تحلم به دولة اوربية . وامنت طرقها الى الشرق الاقصى . وارسلت الى سنغابور اكبر حوض بحري في الشرق لاصلاح البواخر والبوارج . وكل ظاهرات الحال هنا لك تدل على فوز الادارة الانكليزية .

فيا فخامة المفوض السامي ،

هل فعلتم في سورية كما فعلت انكلترا عملقا ؟. لو ان لك ضميراً يقول « نعم » لكان يحق لك ان تتعجب من ان السوريين حاربوكم . ولكن . . . وهنا اسف شديد لكلمة « ولكن » هل اوصيتم رجالكم ان لا يتدخلوا في القضاء ولا في الاقلام الاهلية كالاملاك والاعشار ونحوها ؟ .

اذا كنتم قد اوصيتموهم فحق لنا ان نتعجب منهم لانهم لم يحفظوا وصيتكم . ونتعجب لفرط حلمكم عليهم ، مع انهم خالفوا اوامركم وجنوا على كرامتكم. واذا كنتم لم توصوهم فنتعجب منكم وحدكم ولا تعجبك من السوريين الذين حاربوكم .

اتظن ياسيدي ان السوريين احط مدنية من اهالي ملقا فبخلتم عليهم بما جادت به انكلترا على اولئك ، او انكم رأيتم انكلترا مخطئة ونادمة على تساهلها فاردتم ان تعلموا عليها درسا جديدا في فن السياسة والاستعمار؟ .

انكم لم تقتصروا على التدخل في كبير الامور وفي صغيرها

كالقضاء الاهلي ، واوراق البنكنوت والريجي ، والكهرباء بل تقدمتم خطوة اخرى الى الامام فأخذتم بيد المحتكر ضد مصلحة البلد الذي اودع لرعايتكم . وبذلك خالفتم اشرف اقوال اشرف رجالاتكم .وهاك بعضها ضد الاستبداد ، والتسلط على الحرية في تفنيد الاحتكار الذي نصرتموه فاسأتم الى الشعب السوري المسكين

١ : قال ميرابو الشهير..

الاحتكار يعطي الفرد ماهو حق المجموع فيقيد حرية الثاني في ما اطلقت له الحرية فيه . ليطلقها للاول في ماحرمته الطبيعة عليه فهو مخالف لمبدئه ، واحكامه ، ونتائجه ، للناموس الطبيعي

ولما كانت الحكومة قد وجدت لخدمة المجموع وصيانة حقوقه كان اقدس واجباتها ان تصون اولا حرية العمل لكل فرد من افراد المجتمع ، فلا تحدده ، وتضعف قوته بقيود النظام او القانون

٢ : وقال ادجنسون : —

ينبغي للحكومة ان تصون حرية العمل الفردي بحيث لا يشعر المجتمع بانها تحكم الا لصيانة هذه الحرية ضمن القانون

٣ : قال ميشال شيفاليه : —

ان مبدأ علم الاقتصاد السياسي ، وغرضه الوحيد هو ان يفرغ قواه في صيانة حرية العمل لانها في اعتباره خلاصة واساس الصناعة البشرية التي لا يفهم بها القوة البدنية ، والعمل المادي فقط بل تأثير العقل البشري في عالم المادة . ولما كان العقل حراً بطبيعته فانه يفتقر حتما الى حرية مطلقة في عمله وتاثيره كما تفتقر الطير الى الهواء في طيرانه

٤ قال فكتور كوزينو الشهير :

ان المخلوقات حره بطبيعتها . فالنظام الاكثر ملاءمة لها هو ماكان اساسه الحرية المطلقة . وهو تعليل منطقي يتفق كل الاتفاق مع روح العدل . والحكومة انما هي ممثله للمجتمع الانساني ، ومنفذة لمبدا العدل فيه بل هي العدل المجسم الذي انما وجد لصيانة هذه الحرية وحمايتها : وتمتيع كل فرد من افراد المجتمع بها

٥ : قال دينوب : —

الحرية مبدا قوة المجتمع . لا بالنظر الى المادة واستخدامها للانتفاع بها فحسب . بل بالنظر الى مايقصد به ترقية البشر وتحسين العادات والاخلاق والمزايا الادبية . اى ان الحرية هي مبدا القوتين المادية والادبية

٦ : قال تيرغو : —

كانت حرية العمل في ميلانو مطلقة في القرون الوسطى ، فلم تكن هنالك امتيازات ، ولا احتكارات تعرقل سير العمل الحر وتقيده فكانت تضرب الامثال برواج المتاجر فيها فلما برزت الاحتكارات الى حيز الوجود ، بادت صناعتها الصوفية ، وكسدت تجارة المدينة وقضى على الحياة الاقتصادية فيها قضاء مبرما

هذه الاقوال الجليلة من رجال فرنسيين لهم اعتبارهم الخاص عند مسيو بونسو ، وعند كل ذي فهم واطلاع — هذه الاقوال — تفضح سياسة الانتداب في سورية ولبنان ، لانها نصرت الاحتكار وقضت على حرية الجمهور . خذ مثلا لذلك شركة حصر الدخان الريجي — التى خسر بها لبنان وحده كل سنة ٢٥٠ الف جنيه . وفي كل اربع

سنوات مليون جنيه . ولكن هنالك باباً اقفل الامة ، وهو مناف كل المنافات اقوال أولئك الاقطاب (وهذا) نص مايدل عليه : —

بيروت سنة ١٩٢٠

وضعت الحكومة المحتله في سورية حدا لثمن الحرير والمفهوم ان هذا اشبه باحتكار يعود ضرره على اللبنانيين خاصة ، والسوريين عامة لان تقييد الثمن ولا سيما قبل اوان الحرير يشل حركة البيع والشراء الا لتجار معروفين قد يحضرون من فرنسا

يليه ما يأتي: ٩ ك ١ ١٩٢٣

اصدر المفوض السامي — ويغان — قراراً بانه لا يمكن استيراد بزر دود الحرير الى لبنان وسورية ، برا او بحرا ، الا فى المدة الواقعة بين ١٥ ايلول و١٥ ك ١ كل سنة . اما اذا كانت هنالك اسباب خصوصية قاهرة فان المفوض يعطي رخصه للحكومة بناء على اقتراح احد مندوبيه المسيو شفلر بالشام والجنرال بايوت بحلب

ولا بد لهذا الافتئات على حرية الشعب من ثورة افكار شديدة فاسمع ماهو اعتبار ممثلي الشعب تلك التصرفات وماذا جرى لهم في الدوائر الرسمية

بيروت ك ١ ١٩٢٣

كانت جلسة الممثلين اليوم خطيرة جدا .فقد حضر مستشار النافعة المسيو دى لانير . وتكلم عن مسألة الاتفاق مع شركة الترام والكهرباء . وقال ان حق الامتيازات وعقد الاتفاقات مع الشركات الاجنبية المحتكرة هو من خصائص المفوض السامي وارث تركيا في هذه البلاد . فرد عليه المجلس ، ولم يعترف بان المفوض

السامي هو وارث تركيا ، بل ان البلاد لها استقلالها وحكومتها الوطنيه . وكان المستشار يستند الى المادة ٣٠٠ من معاهدة سيفر فرد عليه الاعضاء بان هذه المعاهدة الغتها معاهدة لوزان وهذا مما يدل واضحا على نصرة الانتداب الاحتكار الاجنبي وعمله على دمار سورية اقتصاديا

هنا نقف قليلا ، ونعيد النظر في ما اوردناه فهل يسمح لفخامة المفوض ان اساله همسا ؟. . ياسيدي،

لماذا يروم مفوضكم السامي ان يستاثر باعطاء الامتيازات وعقد الاتفاقات ؟ . أشفقة منكم على سورية ، وغيرة على مصلحتها لكي لا يصيبها غبن ، في مالو عقدت اتفاقا ، او لكي يجود بها على بني قومه الفرنسيين ؟ . فقد عرضت الحكومه التزام صقالة — مرفأ — طرابلس للمناقصة فقدم وطني التزامه بمبلغ ٦٠ الف ليرا ، وعرض فرنسي التزامه بمبلغ ١٦٠ الف ليرا والفرق بينهما ١٠٠ الف ليرا فلو ان الالتزام من حقوق الحكومة الوطنية افكان من الممكن ان تقبل التزام شركة فرنسية وتدفع لها مئةالف ليرا زيادة عما عرضه الوطني ؟ . واذا اعتبرنا تصرف المفوضية في الزام صقالة طرابلس مثلا لتصرفاتها في البلاد افيمكن الاستئنان الي الانتداب ؟ . وهل امامنا الا الثورة لصيانة حقوق البلاد ؟ . ولو ان فخامة المفوض شفقة منه على مرافقنا يروم الاحتفاظ بها لحسابنا ، فلماذا لم يكتف بالمشارفة والاطلاع على تصرفات حكومتنا الوطنية في اعطاء الامتيازات وعقد الاتفاقات كي لا يقع علينا غبن ؟ .

هل يشغل قلب فخامتكم هذا السؤال ؟ . وما هو جوابك عليه ؟.

السبب الثامن

تعرض الانتداب للمسلمين في شؤونهم الدينيه

ومع غرابة هذه الخطوة كل الغرابة — فانى اراها متناسبة مع مسالك الانتداب الفرنسي في سورية ولبنان . لكنها في عين ساسة الشعوب اغرب اخطاء الفاتحون فى كل العصور . وليس اسهل من تقريب ذلك الايام ، على النحو الآتى . يؤلف المسلمون الأكثريه الساحقه من سكان الداخلية فيسوريه.وهم على الخصوص غير الراضين عن الانتداب الفرنسى . وقد قرروا رفضه ومقاتلته وابلغوا مجلس الدول في فرساى ذلك بواسطة لجنة كراين ، وقد مر بك وصفه فى بيان السبب الاول صفحة ٢٤ — ٢٩

واذا استقصينا أسباب نفار المسلمين من الانتداب الفرنسي رأيناها ترجع باعتبارات عديدة ، قريبة وبعيدة ، الى الدين ، وما يتعلق بالدين ، مباشرة او غير مباشرة . ومن عوامل ذلك الداء ومنابت جراثيمه مذابح سنة ١٨٦٠ ومجيء نابليون الى سورية سنة ١٨٠٠ والحروب الصليبيه ، وأتحاد الموارنةمعهم ضد المسلمين

وفي ظني ان حوادثالغزوات الصليبيه من اعظم اسباب العداء والتعصب في سورية سواء كان الذنب على اوربا اوعلى الشرق فالنتيجة واحدة .

واذا لم تكن هي كل السبب ، فقد زادت المرض الاجتماعي الذى يئن منه الشرق زيادة باهظة فكاد يصبح داء عضالا ناصلت

جراثيمه في نفوسنا .

فكانت فرنسا وانتداب فرنسا مكروهين من المسلمين نهم خصومها الطبيعيين قبلما تحسن اونسيء . ولا سيما لانها بسطت انتدابها عليهم بحد السيف . وداست على جماجمهم يوم دخلت الشام . وزادت على ذلك انها طردت الملك فيصلا من البلاد واستاثرت بالامر فيها وليفتكر مسيو بونسو قليلا كرجل، او كانسان وليس كمفوض سامي، ليفتكر في هذه النقطة البسيطة وهي مدفن يوسف بك العظمه ناظر حربية الملك فيصل الذى استشهد بالحرب. وفى ظنى ان هذا القتيل خدم الوطن بموته اكثر من كل سوري . فان السوريين يزورون قبره سنوياً فيقولون :—

س : قبر من هذا		الجواب :	قبر يوسف العظمة
س : ولماذا دفن هنا ؟	» »	:	لانه هنا قتل
س » ومن قتله ؟	» »	:	الفرنسيون
س » قتلوه ؟	» »	:	لانه اراد ان يدفعهم عن الوطن
س : فهو اذا شهيد	» »		نعم
س . والفرنسيون اعداء	» »		نعم

فليفتكر مسيو بونسو. وكل فرنسي في كنه المساله. فيعيد السوريون كل سنة لذكرى الشهداء ، ويزورون هذا القبر ، وهذا هو حديثهم فمركز فرنسا في سورية هو غاية في الخطوره والدقه وعلى مسلكهم يتوقف مستقبلهم . فكم من الحكمة يلزمهم وكم كان يجب ان يحرص رجالهم على اللياقه والادب، وان يلزموا الحياد؟. ويتجنبوا كل ما يوقظ

البغضاء في الصدور ان كان يمكن لتلك البغضاء ان تنام في نفوس السوريين عموما والمسلمين خصوصا . بناء عليه كان اي خطا تخطئه فرنسا اقرب الى التسامح من تعرضها المسلمين فيما هو مختص بشؤونهم الدينيه ، هذا هو حكم العقل السليم .

الدين وتر حساس في كل امة ، وهو محور التاريخ العربي والاسلامي فالتعرض للمسلمين بشيء من ملابسات دينهم هو اخر انواع الخطا الذى ترتكبه دولة عاقله . ان الدين عند المسلم الحقيقي هو كل شيء ، والتعرض لدينه امر لا يحتمل ولكنه عند الفرنسيين اصغر الخطيئات كما سنرى . هذه هي مقدمة عمومية تتلوها مقدمة خصوصية وهي . —

عند المسلمين وظيفة عليا تدعي الامامة ، او الخلافة ، ومن يتولاها فهو زعيم المسلمين في كل الدنيا يدعون باسمه في المساجد نهار الجمعه وقت صلاة الظهر ، وينضوون تحت لوائه للجهاد حين يدعوهم . وكانت الخلافة وما زالت موضع اعقد المشاكل في التاريخ الاسلامي . هذه هي المنازعات بين الامويين والهاشميين . وهذه هي البدع التى اشتقت من الاسلام . بل انقسام المسلمين الي سنيين وشيعيين .

وكانت الخلافة فى سلاطين آل عثمان من عهد سليم الاول . هل انتزعوها من العرب بحق او بغير حق ؟ تلك مسالة لا يعنينا من امرها شيء وليست من اغراض هذا التاليف . ولكن الذي يجب ان اقوله هو ان الخليفة شخص مقدس عند المسلمين ، كالبابا عند الكاثوليك . وقد نص الدستور العثماني انه شخص « فوق القانون » . على ان

في صدور الامة العربيه عموما ، والحجازية خصوصاً حنيناً الى استعادة هذا الامتياز السامي. ولكنهم لم يكونوا يجرأون على اقتحام هذه المسألة الخطيرة لاسباب لاداعي لشرحها هنا ، ولا يسمح بها المجال

وفي سنة ١٩٢٣ قام القائد التركي الشهير مصطفى باشا كمال على الخليفة العثماني فخلعه والغى الخلافة من تركية . فهب العرب لاغتنام الفرصه السانحة ،وجعلوا يبايعون الحسين بن علي ، ملك الحجاز يومئذ ، ووالد الملك فيصل ملك العراق . فبايعه الحجازيون والعراقيون والفلسطينيون وبعض السوريين . هل اصابوا بذلك ام اخطاوا ، وهل كان يجوز لهم التبرؤ من خليفتهم السابق اولا ؟ تلك مسائل لاتعنينا . وليس لنا حق التدخل بها . كما انه لايعنينا الحكم في أهلية الحسين او عدم اهليته ، وهل في خلافته خير للمسلمين اولا هي مسائل اسلامية ، وليس من الادب التعرض لها ومس عواطف جيراننا واخواننا . كذلك لايهمنا البحث في هل بايعته الاكثرية اوالاقلية . لان هذه الموازنة لاتتعلق بغرض هذا الكتاب

فالموضوع الذى يهمني الفات الانظار اليه هو ان فرنسا هبت لمقاومة المسلمين في امر مبايعة الملك حسين . هذا هو موقف الدهشة والانذهال . فرنسا ! . الدولة التي انتدبت لسورية ضد رضا اهلها بل رغم انوفهم ، وهم يكرهون ارضا تحملها وسماء تظللها ، ويغتنمون كل سانحة لمناوأتها . فتحت لهم اوسع الابواب للقيام عليها . وهيأت لهم افضل الاسباب : وذلك بانها تعرضت لهم في هذه المسألة الخطيرة وهم يحسبونها مسألة اسلامية بحتة على ان فرنساء لفرط تعجب العقلاء في كل جيل ودهشتهم : لم تتعرض لهذه المسألة الجسيمة

تعرضا غير مباشر ، او بصورة تقبل الترقيع متوسلة بعذر سياسي او اجتماعي . لاوا بيلك . بل وقفت في طريق المسلمين سافرة وجرت بعزيمتها المنكرة في رابعة النهار . بظاهر لم يبق ريبة لمستريب بان فرنسا اقدمت على عمل ان لم يعد جنونا فهو اكثر ما عرف في السياسة خرقا وركاكة

قد بلغني عنك يافخامة المفوض انك طويل الباع في الشؤون الاسلامية ، واسع الاطلاع على المسائل الدقيقه : فلا بد انك تقدر عمل فرنسا هذا قدره حكمة اوجهلا فاترك ذلك لفطنتكم ولا ادري اذا كنت فكرت فيه لما ابديت تعجبك من ان سورية حاربت فرنسا اما انا فاري انه كان يجب ان تتعجب من تصرف فرنسا هذا بل اتعجب من تاخر الثورة . لانه كان يجب ان تنفجر مراجلها في ذلك الحين . والحقيقة التي لامراء فيها هي ان المسلمين لم يكونوا مستعدين للثورة وقولنا انهم لم يكونوا مستعدين إعاء الي تقل ما تتحمله فرنسا من المسؤولية بانها احرجتهم فاخرجتهم عن طورهم : انهم لم يكونوا يفكرون بالثورة ولا خطرت لهم على بال: ولكن اذا اغضينا عن كل الاسباب فهذا السبب وحده كاف لاصلاء اوارها واضرام نارها

بل هو كاف لتدمير الشرق باجمعه وطموس امجاد فرنسا شرقي المتوسط . وقد قامت فرنسا بهذا العمل بذاتها لذاتها ، ولم يكن لها مشير فيه ولا دافع . ولو عقلت لما اقدمت عليه، ولو كانت الرشوة ١٠٠ مليون جنيه ذهباً

تصوريا مسيو بونسو ، ان الحبر الاعظم الروماني ، قد توفاه الله ففي حالة كهذه يلزم انتخاب خليفة له يجلس على كرسي بطرس

جلوس الخليفة على عرش ابي بكر . ثم تصور انه بينما الكرادلة منفردون للصوم والصلاة لانتخاب قداسته ، اطبقت عليهم جنود دولة اجنبية وطوقتهم وامرتهم ان يعدلوا عن ترشيح فلان الذي يريدونه وانتخاب فلان الذي لا يريدونه ، اي انه يجب عليهم ان ينتخبوا الشخص الذي تريده تلك الدولة الغاشمة . ويجب ان نقول انها غير كاثوليكية . وان الكاثوليك في كل الدنيا يكرهونها . وانه ليس هنالك ادنى مسوغ او عذر يبرر دخولها في امر كهذا لا يعنيها ولا يجوز لها ان تمسه او تدنو منه . ولكن تلك الدولة ، غير الكاثوليكية ، جدت كل الجد في مقاومة انتخاب الشخص الفلاني بابا . وبرهن تصرفها على انها تعني الجد بان تحول ٣٠٠مليون كاثوليكي في الدنيا عن عزمهم . وتسوقهم لينتخبوا لهم بابا حسب ذوقها وهي لا ذوق لها في الامر . فما هو رأي فخامتكم في ذلك ؟ لست اسألك ايجوز هذا ام لا . ولا اسألك أيليق اولا . لان الجواز واللياقة لا يدخلان في الاستبداد . ولكني اسألك اتؤمن عواقب ذلك ؟ . ايحتمل كاثوليك الدنيا تعرض دولة اجنبية لهم في دينهم ؟ او تتوقع انهم يخضعون لعدوهم ؟ . لا شك في انك تقول لا . افتستغرب ان يحارب الكاثوليكيين دولة تعرضت لهم في دينهم ؟. كلا . فهذا هو كنه المسأله السورية . ابدل اسم بابا باسم خليفة . وابدل اسم كاثوليك باسم مسلمين . فالسؤال هو : ايحتمل المسلمون تعرض فرنسا لهم في انتخاب خليفتهم ؟ . وانها نهتهم عن مبايعة الحسين وامرتهم بمبايعة غيره ؟ .

ولئلا احسب متحاملا على السلطة المنتدبة ، وعلى فرنسا في

حكامي بهذا الشأن ، أخلي الميدان لمسلمين ، فيتكلمون هم ، كلاماً يأخذوا رأيي فيه ، ولا رأي غيري . بل نشأ عن مجرد وجدانهم ومحض اختيارهم ، وهو يعرب عن رأيهم صراحة ، ودرجة استنكارهم عمل فرنسا ؛ بل يجسم فظاعة الادارة الفرنسية في الشرق ويبرر الثورة عليها .

(١) : حمص ٣٠ نيسان ١٩٢٣

« وصل الى حمص مسيو شفلر مندوب المفوض السامي لدى حكومة دمشق ، لمفاوضة الحمصيين في قضية الخلافة ، واقناعهم بالعدول عن مبايعة الملك حسين . فاجتمع بهاشم بك الاتاسي . وشفيق بك ارسلان ، ويقال انه أعلن استياءه واستياء حكومته من خطة الحمصيين ، ومقاومتهم رغائب السلطة ، وتوعد باستعمال الشدة اذا لم يعدلوا عن خطتهم . ثم ذهب الى حماه للغرض نفسه »

هل في الشرق قلم بليغ ، كقلم دعاس أو هوغو أو شكسبير ، فيعلن لاوربا والملأ أجمع بل يعلن لفخامة مسيو بوانسو وحده ما في هذا المسعى من الرعونة والخرق السياسي ؟ . أمة من غير دينكم يا فرنسيون ، ومن غير جنسكم وغير وطنكم . أمة تحاملتم عليها ، ودخلتم عقر دارها ، وارغمتموها على قبول انتدابكم عليها بالنار والحديد ، فهي تكرهكم ولا كره الموت . هذه الامة تحلم بعداتكم نتراع ، من غير ان تبتدعوا أسباباً جديدة ، ثم تفاجئونها في أحرج المواقف ، عن مسألة من أعضل مسائلها وأخطرها ، علاوة على كونها دينية محضة . ومع ذلك تعرضون لها في نقطة هي

عندهم محظورة المساس على غير المسلم . وتتحكمون في حريتها واختيارها وتأمرونها بما لا تجوز عندها اطاعته ؟

أهذه منكم حكمة ؟ . أو هذا هو مؤدى الانتداب ؟ . فما هو شأن شفلر ، وما شأن حكومته النصرانية الاجنبية ، في أمر الخلافة النبوية ؟ . وعلى أي أساس يتوقع مسيو شفلر ان ينحاز هاشم بك الاتاسي وشفيق افندي ارسلان لرأيه ؟ . وهب ان هذين الذاتين حملهما الاغراء أو التحذير على المضي وراء شفلر ، فأية قيمة لعملهما هذا في عيون المسلمين ، في حمص وفي غير حمص ؟ .

ولو ان مسلمي الدنيا أجمعوا على مبايعة الملك حسين ، أفيمكن حمص ، وسورية معها ، ان تؤثر في الامر ؟ . بل هل تستطيع فرنسا ان تحول دون خلافة من يجمع عليه المسلمون ؟ . واذا كان مسلمو الارض لا يقبلون بالحسين خليفة ، فهل يضير فرنسا شفيق ارسلان ورصيفه هاشم بك ؟. واذا تمنع مسلمو الهند والصين وجاوا واخواتها في الباسفيك ، وملقا والافغان والعجم والتاتار وتركيا ومصر والسودان واليمن ونجد ومراكش والجزائر وتونس وطرابلس وبنغازى ، وفي كل الارض ، عن قبول خلافة الحسين ، أفيصير خليفة بارادة حمص وبعض سورية والعراق وفلسطين والحجاز . فأين رجالات فرنسا ، وأين مستشرقيها ، يفهمونها عبث عملها ، وفساد رأيها .

واذا فرضنا ان السوريين أخطأوا بمبايعتهم الحسين — وليس من صلاحيتنا الحكم بالخطأ والصواب في الامر ، ولكن هب انهم أخطأوا — فخطأ فرنسا أكبر ، بل أفظع ، بل أجهل وأشد حماقة

وخرقاً من كل خطأ في هذا الشأن . فتجوال شفلر في سناجق الشام ، ليثني عزائم المسلمين عن مبايعة الحسين خليفة عليهم ، هو أسخف ما سجله التاريخ من اجراآت الاستعمار .

(٢) . حمص أيضا

ومن ظاهرات تلك الرعونة ما جاء عن حمص في وثيقة ثانية : ـ

« بينما كان الحاج عزة افندي الاتاسي ـ أحد وجهاء حمص ـ خارجاً من بيته في فجر يوم الاحد الماضي ، لاداء فريضة صلاة الصبح في الجامع اعتقله رجال السلطة الفرنسية ـ فمنعوه من أداء الصلاة ـ وأركبوه سيارة سارت به الى جهة مجهولة ، يظن انها « بيت الدين » بلبنان . فاستغرب الحمصيون هذا الامر جداً . ولا سيما لان هذا الرجل أبعد الناس عن السياسة ومشاكلها » .

فيا فخامة المفوض الحكيم ماذا تظن يكون تأثير عملكم هذا ـ اذا لم أقل تعديكم ـ في عائلة الرجل ، لما أوقظ بنوه وبناته من نومهم قبل شروق الشمس ، وطنت آذانهم بان والدهم الحنون ، سيق بأمر الدولة النصرانية ، الى حيث لا يعلمون ، ومصير لا يتصورونه ، فقط لانه لا يجري في أمور دينه على هوى فرنسا ، التي يحسبونها كافرة مستبيحة ؟ . ماذا يكون وقع عمل فرنسا في بيت الحاج عزة . وماذا تكون نتائج تلك الرنة في آل اتاسي بحمص . وهم أكثر من الف نسمة على ما أعلم . يتبعهم من فلاحين

وخدم وبستانيين وغيرهم ألوفاً من النفوس . وكلهم يكرهون ويمقتون تعدي فرنسا . ماذا تظن . أفتحسب من يحاول اطفاء النار بصب الزيت عليها رجلا عاقلا . هذا هو عملكم ليس الماضي فقط بل الذي ما زلتم تعملونه حتى الساعة وقد كلفكم ذلك ألوف الملايين من الفرنكات .

(٣) : ـ في حمص أيضاً

اعتقلت السلطة الحامي الوجيه شكري بك الجندي . وحظرت على كل انسان مقابلته أو مراسلته . وساقته في جنح الظلام الى حيث لا يعلم ولا تعلم عائلته . والجندي كالاتاسي من اسرة عريقة في المجد في سنجق حمص . وقد كانت اسرته تحكم اللواء الحمصي فيما سلف حكماً اقطاعياً . علاوة على ذلك الرجل من الطبقة المنورة . بعيد عن التعصب والسفاسف التي تعيب الرجال . وهو جاد كل الجد في خدمة وطنه ورفعة شأن قومه . فالقبض عليه وسوقه الى حيث لا يعلم . وهو لم يجنِ ذنباً . ولا سعي سعياً منكراً وبعد مدة طويلة فهم ان مقصد فرنسا هو الحيلولة دون مبايعة الملك حسين خليفة . أقول ان عمل فرنسا هذا ليس في مصلحتها لانه يسقطها أدبياً . ولا ينفعها مادياً . دعنا من البحث والتعليق ولنلازم سياق الموضوع الخاص وهو : لماذا حاربت سورية فرنسا : ألا يرى فخامة مسيو بونسو ان تصرفات فرنسا هذه مما يحمل أضعف أمة في الأرض على الثورة وان الامة السورية على ضعفها أزعمت بهذه التعديات على ثورة لا تقبل فيها هوادة ولا مهادنة .

(٤) . في طرابلس وبيروت

لم يكن ما عملته فرنسا في حمص إلا رمزاً طفيفاً لما اقترفته في طرابلس الشام — جارة حمص — وفي بيروت أيضا . حيث اعتقلت السلطة المنتدبة عبد الحميد افندي كرامة والدكتور سامح الفاخوري وأبعدتهما إلى خارج الحدود . واعتقلت عدداً من الصحافيين . وعطلت جريدة الحقيقة ، وأصدرت أمراً باعتقال صاحبها . وفتشت كثيراً من المنازل والمخازن . وتعرضت لكثيرين من كبار القوم تعرضاً منكراً .

(٥) . في الشام

كل ذلك لا يكاد يحسب شيئاً بازاء ما أجرته السلطة بالشام . واليك البيان . —

قامت السلطة الفرنسية بالشام على الشيخ سليم البخارى رئيس علماء الشام — رحمه الله تعالى فقد توفي بهذا الاسبوع ٩ ت سنة ١٩٢٨ — رئيس العلماء ، وعزلوه من وظيفته · لانه لم يخضع لهم في أمر يحسبه دينياً لا صلاحية لهم فيه ، ولا لكل أوربا والعالم أجمع ولا يطاوعه وجدانه في اطاعتهم به . وهو أمر اختيار أو مبايعة خليفة المسلمين . فاهتزت البلاد لهذا الاستبداد ، وكادت ترفع علم الجهاد ضد تعديات فرنسا على الدين المحمدي . ولو فعلوا لكان عملهم أقرب إلى الصواب — بل إلى المعذرة والتسامح — من عمل

السلطة المنتدبة. فلينظر مسيو بونسو إلى أي حد من الخطأ والخطل وصل قومه في سورية . وبعد ذلك يتعجب ـ اذا ساغ له التعجب ـ من ان سورية تحارب فرنسا .

ها أنا أتكلم ، في جو هادىء ، بعيداً عن التحمس الديني . لاني مسيحي ، ولا تهمني مسألة الخلافة كثيراً ولا قليلا . فلا فرق عندي اكان الحسين بن علي ، أم عبد المجيد بن عبد العزيز ، آل عثمان ، أم سعود بن عبد العزيز الوهابي ، أم مصطفى كمال باشا الاناضولي ، أم عبد الكريم المغربي ، أم امان الله الافغاني ، أم فؤاد الاول ملك مصر ، أم السنوسي ، أم غير هؤلاء خليفة . وسيان عندي أكان في الدنيا خليفة وبابا وباب وحاخام أعظم أم لم يكن . ومع كل ذلك فقد ساءني تعرض فرنسا للمسلمين . وشعرت في نفسي بثورة الانكار . ولماذا ؟ . لان فرنسا خرجت عن دائرة صلاحيتها ، وتعرضت للمسلمين في ما لا يجوز لها ولا لغيرها التعرض له . فكنت أقول . — ما دخل السلطة النصرانية الاوربية في أمور الدين الاسلامي ؟ . وأية نتيجة تتوقع فرنسا من استعمالها السيف في ارغام المسلم على معاكسة منزع ضميره وحكم وجدانه ؟ أو يلام المسلمون اذا كرهوا دوله هذه أعمالها ، وأخذوا رجالها حيث ثقفوهم ؟.

(٦) اسمع وأفهم

قال المسلمون . —

قد نكون خالفنا الاجماع بمبايعتنا الملك حسيناً ، ولكن ما ،

للسلطة الفرنسية ولهذا الامر الديني البحت ؟ . وهل ينطوي الانتداب على الاشراف والسيطرة أيضاً على الشؤون الدينية ، كما على الشؤون الادارية والسياسية والاقتصادية ؟ وهل حكم على السوريين أيضاً ان يكونوا قاصرين حتى في واجباتهم الدينية فيرشدهم أبناء فرنسا الى هذه الواجبات ؟ . وهل الدين أيضاً مما يخضع للانتداب ويستلزم الاصلاح والتهذيب ليسيطر عليه المنتدبون وهلا يباح للسوريين ان يتمتعوا بحريتهم الدينية وحدها بعد ان حرموا من الحرية السياسية ، ومن حرية المطبوعات ، ومن حرية الكلام ، ومن حرية الاجتماعات ، ومن الحريات الاخرى ، التي هي من حقوق الانسان الطبيعية .

« يقول السوريون كل هذا ، ثم يلتفتون الى صك الانتداب الذي قدمته فرنسا لجمعية الامم ، وتعهدت للدول بلسان مندوبها مسيو فيفياني بتنفيذ أحكامه فيقرأون المادة الثالثة من صك الانتداب وهذا نصها : —

« وتمتنع الدولة المنتدبة عن التدخل في ادارة مجالس المعابد أو في الفرق الدينية ومعابد الطرائق المختلفة التي تظل حرمتها مضمونة الجانب ضماناً تاماً »

« يقرأ المسلمون هذه المادة ثم يتساءلون . هل امتنعت الدولة المنتدبة بشخص ممثلها الجنرال ويغان عن التدخل في شؤون المسلمين الدينية ، وعن انتهاك حرمة معابدهم ، التي كانت تحاط بالجنود — الاجانب — ورجال البوليس ، في دمشق وحمص وحماه وبيروت وطرابلس ، ويضرب حولها سور من البنادق أيام الجمع لمنع الناس عن ذكر اسم « حسين » عن المنابر ، وللقبض على

كل من يجرؤ على المجاهرة بهذا الاسم .

« هذا من جهة ، ومن جهة أخري فقد عزلوا الشيخ سليم افندي البخاري ، رئيس علماء دمشق ، وألغوا وظيفته لانه بايع الملك حسيناً وعزلوا أيضاً الشيخ أبا اليسر افندي عابدين ، وأيضاً خطيب جامع الورد في دمشق لانه دعا للملك حسين . وعزلوا أيضا الشيخ توفيق افندي خطيب جامع الطاوسية فى دمشق لانه ذكر اسم الملك حسين — في الدعاء يوم الجمعة —

« ولما كانت حادثة عزل رئيس علماء دمشق مما يستحق الذكر لغرابتها فاننا نقصها ليظهر كيف وقعت . دعا حقي بك العظم حاكم دمشق الشيخ سليم البخاري وسأله عن السبب الذي دفعه لمبايعة الملك حسين . فقال له ان المسألة مسألة دينية تعبدية لاعلاقة لها بالسياسة ، ونحن أحرار فى مبايعة من نشاء . فقال له الحاكم ، ألا تدري انك بعملك هذا أغضبت السلطة الفرنسية ؟ . قال لا علاقة للسلطة الفرنسية المسيحية بهذا الامر الديني الاسلامي . قال . لقد أمرني الجنرال ويغان ومسيو شفلر ان أبلغك ان اشتراكهما معك وتعاونكم غير مستطاع بعد الآن . ولذلك عليك ان تستقيل . قال الشيخ عليك ان تبلغهما اني لا أستقيل . وفى استطاعتهما ان يعزلاني . وهكذا كان . فقد صدر الامر بعد المقابلة ببضع ساعات بالغاء وظيفة رئاسة العلماء بتاتا . ولم يكتفوا بذلك ، بل أرسلوا سامي بك العظمة ، سكرتير مدير الحقانية للاتحاد السوري ، الى قاضي دمشق يطلبون اليه الاستقالة لانه بايع الملك حسينا . فاجاب أيضاً كما أجاب سلفه ، انه لا يستقيل وان عليهم أن يعزلوه اذا شاءوا . »

وهو يعتبر مسألة البيعة مسألة دينية لا علاقة لها بالسياسة .
فعزلوا هذا أيضاً وقطعوا معاشه .

« هذا بعض ما جرى في دمشق ، اما في بيروت فقد قبضوا على الدكتور سامح الفاخوري ، أو بعدوه إلى خارج الحدود . واعتقلوا بضعة صحافيين وأدباء ، ثم أبعدوهم أيضاً . وأقفلوا جريدة الحقيقة ، وأصدروا أمرهم باعتقال صاحبها ، ولكنه نجا من أيديهم وفتشوا منازل كثيرة ، وتعرضوا لعدد كثير من كرام القوم . وقبضوا في طرابلس على سماحة مفتيها السابق عبد الحميد افندى كرامة ، زعيمها الوطني الكبير . فاهتزت الفيحاء ، وقامت على قدم وساق تطالب برد ابنها . وكاد يقع ما لا تحمد عقباه ، لولا تدخل بعض العقلاء ، الذين أخمدوا جذوة الهياج — ليتأمل مسيو بونسو كيف احرج رجال الانتداب الفرنسي السوريين المسالمين الضعاف فأرغموهم على الثورة .

« فأصدر موسى كاظم باشا الحسيني رئيس الوفد الفلسطيني جواباً يستنكر فيه الاعمال التي أثارها ممثلو الجمهورية الفرنسية في سورية انتهاكا لحرمة الدين ، وهذه صورته : —

(٧٠) السلطة الفرنسية في سورية

ان الرواية الاخيرة التي مثلتها المفوضية الفرنسية في سورية بشأن الخلافة الاسلامية كانت من أفظع الروايات التي مثلت حتى الان في تلك الارجاء . فبينما نرى دول أوربا ، والامم غير المسلمة تظهر حيادها في هذه القضية الاسلامية البحتة ، نجد حكومة فرنسا التي تتغنى بالحرية والتمدن ، في القرن العشرين ، تجيز لأوربيها

في سورية أن يحولوا بين المسلمين وبين دينهم ، ويضللوا الرأى العام وحملوا المسلمين الذين أجمعوا في تلك الجهات على مبايعة جلالة الملك حسين الخلافة الاسلامية ، وفقاً لنصوص الشرع الاسلامي الشريف ، واسوة باخوانهم العرب ، على نقض البيعة . ويرسلوا البوليس والعساكر المسلحة إلى المساجد ليمنعوا الخطباء من ذكر اسم خليفتهم الشرعي ، وهددوا أهل الحل والعقد ، الذين سارعوا لبيعة جلالته بانواع التهديد . ولم تقتصر مداخلتهم السيئة الى هذا الحد ، بل تجاوزته إلى نفي صاحب السماحة عبد الحميد افندى كرامة ، مفتي طرابلس الشام ، وزعيمها الاوحد ، والوجيه الدكتور سامي الفاخوري ، أحد وجهاء بيروت ، من بلادهما إلى خارج سورية ظلما وعدوانا . وعليه فانا نحتج . على هذه الاجراآت المخالفة الشرائع السموية والقواعد الانسانية . ونلفت انظار العالم المتمدين الى هذه المداخلة الفظيعة التي يعدها المسلمون والشعوب المتمدينة تعدياً غير مشروع من حكومة الجمهورية الفرنسية ومأموريها في سورية على حقوق الاسلام الدينية المقدسة ولربما يحدث اقدامها على هذه الاعمال فتنة دينية في الشرق لا تحمد عقباها . وتكون الجمهورية الفرنسية هي المسؤولة عنها في نظر العالمين ، الاسلامي والمسيحي . فنطلب من ملوك المسلمين وأمرائهم ونرجو من الدول الغربية ، والشعوب المتمدينة أن تضم أصواتها الى صوتنا ، وتؤيد احتجاجنا هذا لخدمة الانسانية ومصالح البشرية العامة

رئيس اللجنة التنفيذيه
للمؤتمر العربي الفلسطيني السادس
موسى كاظم الحسيني

هل حلم مسيو بونسو ان خرق السياسة سيبلغ من دولته هذا المبلغ؟.

ان في هـذا القرار كلمات اصلاحيـة فنية ، لا يفهمها الاديب الاوربي، لها قوة عظيمة في اصطلاح علماء الاسلام، كقوله « يحملوا المسلمين على نقض البيعـة » فكلمـة « نقض البيعـة » لا يفهمها الاوربي . ولا الشرقي غير المسلم . لكنها في عرف المسلمين كلمة قوية جداً . فان من نقض البيعة عندهم يجب فيـه الجهاد . وقوله « ليمنعوا الخطباء من ذكر اسم خليفتهم الشرعي » وفي هذه أيضاً ما في تلك . فان ذكر الخليفـة بالخطبة في صـلاة الجمعة هو عندهم تقليد مقدس كذكر رؤساء الكنيسة في القداس عند المسيحيين وعلى هذا القياس نجد في قرار موسي كاظم باشا عبـارات فنيـة يفهمها متشرعو الاسلام ويجهلها موظفو الانتـداب وفحواها عنـد المسلمين فوق حـد الاحتمال . فليست هي احتجاجاً بسيطاً - بروتستو - في العرف الاوربي . فهي عندهم توجب الجهاد على المسلم الصميم الذي يختلج الايمان في صدره .

فترى أن فرنسـا هي التي أضرمت - عمداً أو سهواً - نيران الثورة بتعرضها للمسلمين في ما هو من خصائص دينهم ، ولا يجوز عندهم احتماله مع اخلاص الايمان . وبعبارة شعرية أقول : « لقد كومت فرنسـا الحطب ، وصبت عليه الزيت والبنزين ، وأورت الشعلة وألهبت النار ، ولـكن الحطب كان يومئذ أخضر » . لان شمس المنطقة الدرزية لم تكن قد سطعت عليه لجففته « فاذا لم تنشب الثورة يومئذ فليس ذلك لان فرنسا قصرت في اضرامها . بل لان المسلمين لم يكونوا على استعداد لخوض غمراتها . ومتصفح

التاريخ اللبيب ، الحر النفس ، المتوقد الذهن ، يرى ان فرنسا أتت أكثر مما يلزم لاثارة المسلمين . فلا يسمح المنطق لرجل تثقف بالجامعات الاوربية ، وخبر الاسلام ونفسية المسلمين أن يبدى تعجبه من انهم يحاربون فرنسا . اللهم الا اذا كان يهزأ عن هو منهم ويحسبهم أطفالا لا يفقهون للكلام معنى . بل بالحرى ان كل عاقل منصف مطلع يذهل ويدهش لرضوخ المسلمين لتمادي فرنسا في انتهاك حرمة الدين الاسلامي ، وتعديها على أحكامه وحكامه وانهم لم يبيعوا أرواحهم رخيصة في سوق الجهاد . كما يستدل باقوال الحسيني باشا الذي لم يكتب ما كتب عن جهل أو هوى ، او عن غير روية وتدبر ، بل ما كتب الا مستنداً الى قواعد راهنة يسلم بها كل مسلم في مشارق الارض ومغاربها . وعلى مسيو بونسو ومن يريد ادراك المسائل باطرافها وعلاقاتها المنطقية ان يدرك بان رجلا آخر من آل الحسيني بالقدس الشريف ، كان أمين صندوق الثورة . أفهمت يا مولاى كيف حاربكم السوريون ؟ . أو لا ترى في تبيان السبب موجباً لزوال ذلك العجب ؟ . وأعظم خطأ عمله المسلمون — هو انفرادهم بالثورة . ولو انهم أشركوا معهم اخوانهم المسيحيين ، كما (لا بد ان يكون في المرة الثانية ، لكانوا فازوا في طرح فرنسا بالبحر ، وارغامها على احترام الناس كما فاز الاتراك من قبلهم فان الدرس الذى أملاه عليها مصطفى باشا كمال في الاناضول لم يكن كافياً . فقد دلتهم تصرفاتها بسورية على انها لا تفهم بغير القوة . فرأوا كل جهد للتفاهم والتعاون معها ضربا من المحال ، إلا اذا كان تعليقاً ولوقت قصير ، ريثما تلم الامة شعثها وتستعد لخوض الامتحان . والا لم تكن أمة على الاطلاق بل حظها

الفناء والعار الابدي . قال قائل وذلك على مسؤوليته انه ولو فقه السوريون ، لوضعوا يدهم بيد ايطاليا ، وصانوا بها استقلالهم ، كما عملت رومانيا وبلغاريا ، وكما عمل فنزيلوس مؤخراً . ان الامور تسير نحو هذه النقطه . وانه بعد ان ييأس السوريون من انكلترا سيولون وجوههم شطر « موسوليني » . فهو القادر أن يرفع عن أعناقهم نير فرنسا . ولا يقطع الشجرة الا فرعها . فلا يقهر أوربا إلا باوربا . كما ان أوربا لم تتخلص من آل عثمان ، على ما لها من حول وطول إلا بعضد العرب المسلمين . هذا باب جديد للمسألة السورية . وقد لفظت به الصحف غير مرة . ولا أراه بعيداً كثيراً عن ميدان السياسة الحكيمة .

وقد يهزأ القارىء بكلامي هذا ، ويرى فيه شيئاً من الخرفه . فلا بأس في ذلك . انما لا ادعي النبوة ولست بالمعصوم . ولكنه يتراءى لي من خلال الظاهرات ، انه قد يكون وراء الاكمة ما وراءها ، كما يظهر لك من رسالة المنيور ارنلدو تشيبولا مكاتب جريدة الستمبا الايطالية ، يصف بها الاضطرابات في سورية قال . —

« أن الهياج الذي استفحل أخره بين العرب ناجم عن الاحتلال الفرنسي . وهو احتلال يثير الكراهية والنفور — افهم يا قارىء — وتقوم أركانه على الاستبداد ، ومن شأنه ان يفضي الى قيام العرب كلهم قومة واحدة بين لبنان والفرات . فقد جهر العرب بعد جلاء الفرنسيين عن كيليكية ، بانهم سيجلون الفرنسيين هم أيضاً عن سورية — أليس هذا الذى قلناه في السبب الثالث ؟ — ويخرجونهم منها ، لان هيبة فرنسا في الشرق قد هزت هزة عنيفة

بخروج جنودها من كيليكية ، ولا سيا بعد ما عظم الـكاثوليون أمر هذا الجلاء وكبروه وصوروه بصورة فوز عظيم . وان وصو الجماعات المتوالية من الارمن الفارين الى لبنان ، وكثيرون منهم من الذين خدموا الجيش الفرنسي ، أثار مرارة في نفوس المسيحيين ، وحملهم على الاشمئزاز من الفرنسيين وعلى جفائهم .

وهنا لك أسباب أخرى زادت الاشياء شدة . ومنها قسمة سورية الى دويلات ، وجعلها بمعزل عما حولها من البلدان كالاناضول والعراق وفلسطين التي كانت لها علاقة تجارية عظيمة بها . وبوار التجارة وكساد الاعمال ، وفوق ذلك كله وجود الجنود السود ، قد أثار حنق العرب السوريين ابناء العائلات العريقة في الحسب والنسب ، والذين يباهون بانهم كانوا على الدوام زعماء الحركة الفكرية والادبية في العالم العربي كله

لقد توهم الفرنسيون ان العرب سيخلدون الى السكينة ، وانهم تنقصهم وسائل المقاومة ومعداتها . ولكن الامر جاء على خلاف فان هذه المقاومة نظمت تنظيما تاما ، واشتركت قبائل البادية فيها . فقد كان الفرنسيون يمدون الامير مجحما بالسلاح والذخيرة ، وجهزوه بالمدافع السريعة ومدافع الميدان ، لانه كان خصما حرا للامير جاجم عدوهم . فلما قضى الامير مجحم لباناته من الفرنسيين وحصل منهم على مراده ، صالح الامير حاجما واتفق معه ، وانضم بقواته اليه . ويقال ان عند كل من الاميرين الآن قوة لا تقل عن ١٥٠٠٠ . فيكون مجموع قوتيهما جيشاً مؤلفاً من ثلاثين الف محارب ، حسني العدة موفوري الاهبة . وعرب البادية يباهون

الآن بان عندهم كل ما يحتاجون اليه من السلاح والذخيرة . وقد حدثت اضطرابات منظمة في أوائل الربيع في دمشق وحلب وجاهر العرب بانهم يأبون القعود على الضيم ، ولا يصبرون على معاملتهم كأمة منحطة ، ولا ان يستعبدوا على يد جنود سنغاليين من سودان افريقية .

وأخيراً شبت فتنة مظلمة في دمشق ، واضطر الفرنسيون الى استخدام المدافع السريعة ، والسيارات المدرعة ، وأعلان الحكم العرفي ، لقمع الفتنة ، وقد هاجم الجمهور دور الحكومة ، فقتل اناس وجرح آخرون . وجرى مثل ذلك تماما في حمص ، التي صارت مدينة فيها الف نفس (كذا) . فان الجنود السنغاليين هجموا بالحراب غير مرة ، فقتل وجرح من الاهالي ٣٠ نفساً ، وقتل ضابط فرنسي ـ والارجح ان الكاتب أشار هنا الى حادثة حماه والخطأ في الترجمة ـ

وتشرف اللجنة على الفتنة ، وتدير حركاتها . وقد أرسلت الرسل الى القبائل البادية ، وبثت الدعاة ليحضوا الرجال على القيام بعمل مشترك ضد الفرنسيين . فثار الامير جحجم في دير الزور ، وانزل العلم الفرنسي المرفوع ، ومزقه . وهاجم الجنود الفرنسيين في جرابلس ، واضطرهم الى التقهقر في جهة حمص المجاورة حدود لبنان . وأسر منهم ضابطين . اما الامير جاحم فنازل بعث حلب وبين دير الزور . وقد انصلت قوانه بقوات الامير جحجم .

ويقول الفرنسيون ان لهم ٤٩ الف جندي بسورية . ولكنهم كانوا قد زعموا قبلا ان لهم ٦٠ الفاً في كيليكية . في حين انه لم يكن

فيها تسعة آلاف . وقد اضطر الجنرال غورو ان يعد المجلس الفرنسي بتنزيل الجيش الى نصف ما هو الآن . ولكن السوريين يقولون انه بدلا من ان يتمكن الجنرال غورو من انقاص هذا الجيش سيضطر الى زيادته الى مئة الف جندي .

ويقال ان الفرنسيين قد هددوا السوريين بتسليمهم للترك . فاجابهم السوريون ان ذلك يوافقهم غاية الموافقة . لانه اذا كان عند الترك مقاتلة فعند السوريين مقاتلة أيضاً . ويتحدث السوريين بانشاء اتحاد عربي عام يشمل العراق وفلسطين . ا . ه .

انتهت مقالة السنمبا . وهي وان لم نوافقها فى كل ما أثبتت ، تعرب عن عواطف ايطالية . واليك ما هو أفصح اعراباً عن تلك العواطف . وهو قرار حزب الفاشيستى لسان حال الحكومة الايطالية . وهذا هو نص القرار : —

« أن الفرق الفاشستية ، بعد ان بحثت في مشاكل الشرق الادنى ، وعلى الاخص ما كان منها متعلقاً بالانتداب الفرنسى في سورية ولبنان ، والانتداب الانكليزى فى فلسطين ، رأت ان تبين موقفها حيال هذه المشاكل على الصورة الآتية

١ ان الانتدابات ذات العلاقة بمعاهدة سيفر تعتبر ساقطة بسقوط هذه المعاهدة . كما ان كل القرارات التى أخذت بشأن مسائل شرقى المتوسط تعد منقوضة للسبب نفسه .

٢ ان الانتدابات المفروضة على سورية ولبنان وفلسطين ليست في الحقيقة سوى خرق صريح لمبدأ استقلال الشعوب وحريتها . ولا سيما ما تعلق بسورية التي بلغت من الحضارة شأواً بعيداً :

ولبنان الذي كان يتمتع دائما ، حتى فى أشد ايام الترك ، نظام استقلالي تضمنه الدول العظمى

٣ على ممثلي ايطاليا فى جمعية الامم ان يحولوا دون ابرام هذه الانتدابات الجائرة وان يسعوا لاسقاطها لانها لم تعد مرتكزة على اساس قانوني ، ولان ابرامها قد يفضي الى الاضطراب وسفك الدماء .

٤ ان مصلحة ايطاليا الادبية والمادية تقضي بالمساعدة على انشاء حكومات مستقلة متحدة ، او غير متحدة ، في البلاد الواقعة شرقي البحر المتوسط كالواسطة الوحيدة لتقييد مطامع الاستعماريين الانكليز والفرنسيين ، ولافساح المجال لرواج التجارة الايطالية في تلك البلاد التي بدأت تظهر على بلادنا منذ وقت قريب عطفاً شديداً » .

عن الفرقة البرلمانية

جيونتا لوبي ١ : نوري شيانو موسوليني

* * *

ان تدابير مسيو بونسو الحكيمة اللطيفة تعتبر ، بعين الناقد الحكيم ، كصب الماء على النيران المتأججة ، يخمدها قليلا ، ولكنها لا تطفأ فيشتد ضرامها ثانية ، فلا يمكن مياه المتوسط ان تخمدها

هنا أقف ، وأقول ، ليس أمر الخلافة محط نظري . فانها مسألة تهم المسلمين وحدهم . فلا حظ فيها لعواطفي وقلبي ، مع اني أريد كل خير وبركة لاربابها . فليس بحثي في . أملائم الملك حسين للخلافة او غير ملائم .

وقد فصل الزمان في المسألة موقتاً ، وسيفصل فيها مؤبداً . فمحط نظري هو تصرف فرنسا ، باعتبار هذه القضية ، تصرفاً أدى الى نفور السوريين من ابتدائها . فلا ابحث في هل اصاب المسلمون في مبايعة الحسين او اخطأوا . وهل اضرت بهم فرنسا بمقاولتها اولم تضرهم او نفعتهم . وسواء كان هذا او ذاك فليس هذا مرمى قلمي . فرماه هو ، سواء كان المسلمون مخطئين بمبايعة الحسين ، وفرنسا مخطئة في التعرض ، فقد أبعد عنها عملها قلوب أكثرية السوريين ، وحملهم على الاستعداد عليها . لا لانه جرح عواطف المسلمين فحسب ، بل أكثر من ذلك ، ان عمل فرنسا ، في هذه القضية ، باسلحتها وجنودها ، واصدارها الاوامر للمشايخ بالامتناع عن ذكر اسم خليفتهم الذي أرادوه ، ومحاولتها الغاء البيعة بالقوة ، ونفيها الذوات الذين صرحوا بمبايعتهم الحسين ، أقول ان تصرف فرنسا هذا يجرح الدين الاسلامي في نقطة تكاد تحسب من صميمه . وهو تعرض منكر غير معذور لانه ينافي الامور الآتية :

١ العدالة

٢ صلاحية الانتداب

٣ وعود فرنسا لجمعية الامم

٤ انصاف المسلمين ومحبتهم

٥ احكام الاسلام

٦ لم يبق محل للصلح بين الاسلام وبين فرنسا على الاطلاق ولا اظن . انها ترتاح او يرتاحون معها .

وغني عن البيان اني لست أرمي الى تسفيه واعابة السياسة الفرنسية في الشرق ، وان اجرا آتها واهنة ، وغير مستندة الى امر متين ولو. اردت ذلك لكان علي سهلاً لتوفر البينات وقاطع الادله ليس هذا شغلي . بل شغلي هو ان أبين لفخامة المفوض السامي مسيو بونسو ، ان ليس السوريين بل الفرنسيين هم الذين سعوا الى الثورة واضرموا نارها وانهم اضلوا انفسهم بانفسهم فستنتهي بهم مسالكهم التي ذكرت بعضها وسأذكر البعض الآخر منها بالبراح من سورية كما برحوا هايتي وكندا ولوزيانا ومكسيكو وجنوبي افريقيه ومصر وسيلان وهندستان وكيليكية وشمالي سورية .هذا الذي اريد ان اثبته لمسيو بونسو .

واذا كان لي من وراء ذلك غرض آخر فهو حفظ مكانتنا في أعين احفادنا ، وفي عيون ارباب الصحافة والاطلاع في فرنسا وأوربا. ليفهموا اننا وان كنا مرضي فلسنا بالعميان . فان خروج فرنسا من سورية أمر لا مندوحة عنه اعا الامور مرهونة باوقاتها فمسألة طرد فرنسا من سورية هي مسألة وقت فقط . ولن نخرج منها بشرف بل بدون شرف ، تطبيقاً للنتيجة على المقدمات ، ومن يعش يره . كان يجب ان ينتهي كتابي هنا ، لولا اني أحسب سورية ولبنان جزءاً لا يتجزأ . وان سورية ولبنان عائلة واحدة حية يقتلها الانقسام . فلبنان هو لبنان سورية . وسورية هي سورية لبنان . والمسلمون والحوارنة والدروز واليهود اخوان ، مصلحتهم واحدة . علاوة على ذلك ان في تصرف فرنسا مع اللبنانيين اقطع دليل على ان السوريين معذورين في محاربتها .

السبب التاسع

فرنسا ولبنان

هل كان لبنان جزءاً من سورية سياسياً ؟ .
كيف عاملت فرنسا أحبابها اللبنانيين .
ماذا كان شعور اللبنانيين نحو فرنسا ؟ .
(١) لبنان

لبنان قسم من سورية ، وله في تاريخها ماله من الاهمية ، وهو عبارة عن سلاسل جبال ، تمتد على طول البلاد ، تجاه البحر المتوسط من الشمال الى الجنوب . انحدر كثيرون من سكانه الى السواحل وسكنوا مدنها ، ولا سيما بيروت . وقد كانت مسألة لبنان ، وما زالت ، من أهم وأعقد المسائل السياسية في سورية . لا يمكن فهم كنه القضية السورية مع قطع النظر عن المسألة اللبنانية

ويدعى القسم الشمالي من لبنان « جبال العلويين » وهو يمتد من سهل عكار وصفيتا الى حدود طورس وراء خليج اسكندرونة يقال لها « جبال النصيرية » . والنصيرية أو العلوية احدى الشيع الاسلامية تعتبر علياً بن أبي طالب اعتباراً خارقاً ، وانه أولى بالخلافة من أبي بكر وخليفته عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ولا يهمنا الدخول في شعاب هذه النظريات ، والتعرض لاربابها « بالصح والخطأ » . بل أقول ان أهالي جبال النصيرية كانوا وما

زالوا متميزين عن بقية اخوانهم السوريين مذهباً واجتماعاً وعادات فهم أقرب إلى الشكل الاقطاعي ، وخضوعهم لقدميهم أو لشباخهم أشبه الاشياء بخضوع الفلاحين للاسياد في النظام الاقطاعي ، المدعو في تاريخ الاجيال الوسطي « فيود لازم » .

وقد ثار زعيمهم الشيخ صالح ، في القدموس ، على فرنسا ، وحاربها مدة . وقد زرت بلده ، ودرست المسألة بنور الموقع الجغرافي والاجتماعي . ولا لزوم لشرحها هنا . فقد خضع الشيخ صالح لحكومة الانتداب واستراحت فرنسا من حربه . وأوجدت لجبال العلويين حكومة مستقلة على رأسها حاكم فرنسي . وفي المنطقة العلوية عدة قرى مسيحية ، فيها أسر راقية عمراناً وادباً ، تهذب كثيرون من رجالاتها في المدارس العالية وهم يؤلفون حلقة نيرة في تلك الاقطار . وقد اجتمعت بأولئك المهذبين ، ودرست الموضوع معهم في جو هادىء . وعرفت أميالهم وأحكامهم في المسائل السورية . وليس من أغراض كتابي التبسط في شرح القضية العلوية احدى فروع القضية السورية .

لكنني لست اترك الموضوع بدون اشارة الى تدخل فرنسا في الجبال العلوية تدخلا يخرج عن حدود صلاحيتها . من ذلك ان الحاكم هنالك فرنسي . وان أصابع فرنسا هي التي أبرزت مسألة الاستقلال العلوي الى حيز الوجود ، وضربت بها الاتحاد السوري .

الآن التفت الى القسم الآخر من لبنان . وهو الممتد من سهول عكار الى مصب الليطاني بقرب صور . وهي تدعي سلسلة

لبنان الغربي . والسلسلة الممتـدة من جنوبي حمص الى وادي التيم ، هي لبنان الشرقي أو انتيلبنان .

يتبع لبنان الغربي مدن فينيقية وهي طرابلس وبيروت وصيدا وصور . وقد ضم اليه الفرنسيون بلاد بعلبك وسهل البقاع ووادي التيم ـ كما ضموا اليه مدن فينيقية ولم تـكن منه في عهد الاتراك ـ يسكن القسم الاعلى والشمالي الموارنة . اما الجنوبي فالدروز ، وبينهـم كثيرون من النصارى والمسلـمين ويكثر الدروز في اقليم الشوف المتاوح بيروت والممتد منها الى الجرد . استثني من ذلك الوجـه البحري فاكثر سكانه نصارى

ان الموارنة أكبر طوائف الجبل . ولـكنهم ليسوا أكثرية سكانه . بل هم ١٩٥ من ٦٠٠ أي أقل قليلا من الثلث . يأتي بعدهم المسلمون . ولـكن الموارنة كتلة واحدة زعيمهـا غبطة البطريرك ، مقر السلطة الروحية ، والحلقة الوحيـدة بين الطائفة وبين الحـبر الروماني . وقد خضع الموارنة للحبر الروماني وارتبطوا برومية من أجيال عديدة

اذهب ولا اراني اشط عن الصواب الى ان الموارنة هم انقى بقايا الارامين في سورية دماً . وكان لذلك الشعب الراقي منذ العصور الخالية عواصم عديدة في سورية والعراق والجزيرة ومنها نينوى واور وكركميش ودمشق . وكان الاراميون ينتمون الى عواصمهم أو أقاليمهم . فيقال ارام دمشق وارام النهرين الخ وهم سلالة الاشوريين الاعاظم . ولغتهم «السريانية» أقدم لغات العالم واعرقها مدنية وفلسفة . وبهم دعيت بلادنا « سورية » أي بـلد السريان .

فالموارنة هم سكان البلاد الاقدمون ، التحقوا بالكنيسة الكاثوليكية باعترافهم برئاسة البابا ، لكنهم في طقوسهم ولغتهم الكنسية سريان . واللغة السريانية هي دون شك لغة البلاد القديمة ولا يعارض ذلك امتزاج الاهالي ، كثيراً أو قليلا ، بالعرب فالعرب والاراميون اخوان . حتى ذهب بعض كتابنا الى ان الاراميين عرب أيضاً ، أو من أصل عربي .

على ان السريان سبقوا العرب كثيراً تمدناً وسيادة . فقد مصروا الامصار ، وشيدوا الدول قبل محمد وقبل المسيح وقبل موسى وقبل حورابي . وملأوا الخافقين بالكتب العلمية والفلكية والفلسفية وغيرها . واذا كان العرب يفخرون بانهم أخذوا عن اليونان ، فالسريان هم الذين أعطوا اليونان تمدنهم وأصول فلسفتهم فهم أجداد التمدن الاوربي بلا خلاف . ويجب ان أقول ان مسيح النصرانية سرياني . باعتبار ان اليهود كالفينيقيين عائلة سريانية . واليهود عائلة لا جنس

فهذه البقية النقيه من الجنس الارامى هى الطائفة المارونية . وهى تؤلف أكثرية ساحقة فى شمالي لبنان أعني في كسروان والبترون وجبة بشرة . وهم ضلع فرنسا من قديم الزمان . وكان تعلقهم بفرنسا من أكبر أسباب مذابح سنة ١٨٦٠ وأمرها معلوم

اما الدروز فيكثرون في اقاليم الشوف ووادي التيم وفي جبل الدروز . وهم كالنصيرية — أو العلويين — من الشيع التى تنتمى الى الاسلام ، وهى ليست من الاسلام على شيء . فهي تؤله الحاكم بامره ، كما يؤله العلويون علياً بن أبى طالب . والارجح ان كل

الدروز أو جلهم من عرب كندة . وهم رجال أشداء صلاب العود ذوو نجدة وبطش ، محافظون على الآداب الجنسية . واذا كان في سورية كتل تستحق ان تدعي أمة فتلك الكتل هي (١) الدروز (٢) الموارنة (٣) النصيرية هذا عسكرياً اما علمياً واجتماعياً فالموارنة هم في الدرجة الاولى .

ففي هذه العناصر الصغرى في سورية ، من الرابطة القومية ما يحلها محل الامم الحية . وكانت تتلاعب بهاتين الكتلتين اصابع يلدز والنز وكاديرو حتى انفجرت مراجل الحرب الاهلية بينهما واتسع نطاق دمارها ، فشملت غير الدروز من المسلمين ، وغير الموارنة من المسيحيين . وكانت المذابح والفضائح التي وصمت جبين الاتراك ، وأحلت الضربة القاضية بالقومية السورية ، بمذابح حاصبيا وراشيا ودير القمر والشام سنة ١٨٦٠ فاورثت الاهلين التقاطع والبغضاء ، وما زالت سمومها في عروق السوريين الى هذه الساعة . تلك كوارث طوتها الايام ، ولكن ذكراها حية في الصدور .

وبما ان الدروز من جانب تركيا ، وهم يمتون بالنسب الى الاسلام ، والموارنة من جانب فرنسا وهم نصارى دون ريب ، اتخذت مسألة النزاع بينهما الصبغة المذهبية ككل شيء في الشرق . فقسمت عواطف السوريين الى قسمين ، مسيحية واسلامية ، أقول ذلك وعيناي على عابر الحوادث كغزوات الصليبيين ، والفتح الاسلامي ، وقدوم نابليون ، وفتوحات ابراهيم باشا . وغير ذلك من مولدات النعرة الذهبية . فلست أزعم ان ذلك التقاطع ،

والداء الاجتماعي الدفين لم يكن قبل سنة ١٨٦٠ . ولكنه اتخذ من ذلك التاريخ قوة جديدة واستحكم في الجسم السوري حتى يتعذر شفاؤه .

وجاءت أساطيل أوربا — بزعامة فرنسا — لحماية المسيحيين فاتسعت بذلك شقة الخلاف بين الطوائف السورية . وزادت المرائر، وتأصلت الاحقاد في الصدور . وتوارثنا هذا الداء اللعين خلفاً عن سلف ، حتى صار فينا طبيعة خامسة . فنحن السوريين متعصبون .

وكل عيب كان من طي الحشا في المرء ينمو فيه كلما نشا

عقدت الوفود الاوربية ، مؤتمراً دولياً ببيروت ، دامت جلساته أشهراً متوالية . اشتهر فيه اللورد دوفرين بالدفاع عن الدروز . هل كان دفاعه عملا انسانياً أو سياسة انكليزية ؟ . تلك مسألة أطويها لانها ليست من أغراضي . كما انه ليس من أغراضي ان أقول هل كانت مبادرة فرنسا لنجدة الموارنة عملا انسانياً أو سياسة فرنسية . والذى أريد ان أقوله هو ان الدول المعظمة الممثلة في ذلك المؤتمر وهي روسيا وبروسيا وفرنسا وانكلترا وايطاليا والنمسا ، قررت بالاتفاق مع تركيا سلخ لبنان عن جسم الامبراطورية العثمانيــة . ومنحوه استقلالا ادارياً . وسنوا له دستوراً . كان الباب العالي ، بموجب ذلك الدستور يعين حاكم لبنان من الكاثوليك غير السوريين ، بمصادقة الدول الست وليست مسألة استقلال لبنان ، وما يتعلق باستقلاله من الشؤون ، إلا كاخواتها المسألة الارمنية ، والمسألة البلغارية ، والمسألة اليونانيــة ، ظاهرات المسألة الشرقية

وهي حل الامبراطورية العثمانية واخراج الاتراك من أوربا . تلك لامبراطورية التي أسسها عثمان الاول سنة ١٣٠٤ وظلت الى سنة ١٩١٨ . مدة تربو على ستمائة عام ، أبدت فيها تركيا من الفعال ما أبدت . وهذه أيضاً غير مقصودة بهذا التأليف . وقد دب المرض في جسمها منذ سنة ١٦٤٨ وبدأ انحلالها منذ سنة ١٨٠٠ او قبل ذلك التاريخ بقليل . وجعلت ايالاتها تنسلخ عنها واحدة فواحدة فانفصلت عنها صربيا واليونان ورومانيا وبلغاريا وقبرص ومصر ولبنان وكريت ودودوكانيز وطرابلس الغرب وبنغازي . وهذا لبنان ألف منذ بدء استقلاله سنة ١٨٦٠ صفحة جميلة في تاريخ الامبراطورية العثمانية الآخذة في الانحلال .

جئت لبنان في حكم عبد الحميد الثاني ، قبل اعلان الدستور العثماني بسنين . وما أعش لا أنس عواطفي يوم ظللتني سماؤه ، وارتياح خاطري لتبطني غبراءه ، وارتشافي ماءه ، واطلاعي على هناء سكانه ، واستئمانهم من اللصوص والغزاة . ولم يكن مثيل للاغتباط الذي شعرت به تحت سماء لبنان إلا اغتباطي يوم وطئت البر الامريكي . والذي شاقني في لبنان دماثة أخلاق سكانه ، ولا سيما الدروز . وائتلافهم مع المسيحيين في أفراحهم وأتراحهم ، وتناسي الفريقين الضغائن والاحقاد ، مع التزام كل فريق منهما تقاليده وعاداته . وظل الموارنة يخطبون ود فرنسا ويحلمون بالوقت السعيد الذي فيه يخفق في جوهم العلم المثلث . والدروز يحلمون بمحبة انكلترا ويرغبون في ان تكون لهم ظهيراً . والمسلمون في لبنان وخارج لبنان اميل الى مشرب الدروز . وكانوا مع

يكرهون فرنسا ويستخصمونها ، كما أثبتت ذلك تقارير راين .

في الاتراك استقرت الزعامة الاسلامية في الدنيا . ففيهم الخلافة النبوية منذ قرون ، ولم يقم من يناقشها الحساب ، فقبل المسلمون الامر الواقع ، وسكتوا عن النقد إلا ما كان همساً في جنح الظلام . ومع ما عانى العرب من مظالم الاتراك ظلوا يوقرون مسند الخلافة « ظل الله الظليل » وكان مسلمو الولايات الممتازة كمصر أكثر تعلقاً بالعرش العثماني ، وأشد اخلاصاً للخليفة التركي من سائر العناصر الخاضعة للهلال العثماني . مسلمو الولايات العثمانية يحسدون اخوانهم المصريين ، ويتمنون ان يحصلوا على نعمتهم والمصريون وقفوا قلوبهم لمحبة ذلك العرش .

هذا كان موقف المسلمين يوم شب ضرام الحرب الاوربية الكبرى . وبنشوب تلك الحرب استيقظت المسألة العربية من سباتها الطويل ، وبرزت ظاهراتها الى الوجود . هل كان استيقاظها طبيعياً بهمة العرب وابائهم ، أو صناعياً باموال انكلترا ومساعيها ، ليس هذا ما ابحث عنه . انما أقول ان الحرب الاوربية قسمت مسلمي تركيا الى قسمين متحاربين ، العرب والاتراك . وكان الأتراك فيما سلف يحتسبون من العرب أصحاب الحق الاول في الخلافة . لانهم منبت الاسلام ، ومهده ونصراؤه الاخلصين في كل القرون . وبلغتهم انزل القرآن الكريم ، فهم صميم الاسلام فى الدنيا . فلم تكن للاتراك حجة مشروعة يدافعون بها دعوى العرب فكان خوفهم من نهضة العرب يقض مضجعهم ويسلبهم الراحة

والسلام . فعمدوا الى القوة ، والقوة في موضع البرهان دليل الافلاس . فامعن الاتراك في العرب نفياً وشنقاً ، بسبب وبلا سبب . ولم يميزوا بين المسيحي وغير المسيحي . فخفف ذلك ولو الى حين وطأة التعصب ، وأوجد في السوريين شيئاً من الحياة الروحية . وصار المسلمون يخطبون ود المسيحيين ، والمسيحيون ود المسلمين ، كانهم اخوان . معيدين رواية اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨

وخرج شريف مكة ، الحسين بن علي ، على مولاه الخليفة العثماني محمد رشاد ، واعلن استقلال الحجاز ، ونادوا به ملكا ، وجرد جيشاً عربياً بقيادة نجله الامير فيصل — ملك العراق اليوم — وساقه لنصرة الحلفاء . فسارت الجنود الشريفية الى جنب الجيوش الانكليزية ، يسوقان امامها الجيوش التركية من فلسطين وسورية ولبنان . ولما اخترقت جنود الحلفاء الجبهة البلغارية ، وانفصمت حبال الاتصال بين القسطنطينية وبرلين طلب الاتراك الهدنة وانسحبوا نهائياً من سورية . وألقت الحرب أوزارها في ١١ ت ٢ سنة ١٩١٨ والامم السورية أقرب الى الوحدة من كل وقت سالف . ولو أعلن استقلال سورية يومئذ دون تدخل أوربا إلا تدخلا بسيطاً مقروناً بالنزاهة والاخلاص لقويت العاطفة القومية في صدور السوريين ، وتدرجت البلاد في مناهج التمدين الحديث .

ولكن مسألة الانتداب ، وتقسيم البلاد السورية الى مناطق ، وبعبارة أضبط ، وأقرب الى العدالة ، أقول : الانقسام الروحي

بين فرنسا وانكلترا : رد السوريين الى الوراء أجيالا وقرونا . فانتبه شيطان التعصب من مرقده ، وقسم البلاد الى مسيحية واسلامية

بدأ الاحتلال وسورية مقسومة الى لبنان تحت الانتداب الفرنسي ، وسورية تحت الحكم العربي ، مع وجود الجيش الانكليزي ، وفلسطين تحت الانتداب الانكليزي .

ولأمر ما نادى السوريون بالامير فيصل ملكا عليهم ، وخطا الفرنسيون خطوتهم بضمهم الى لبنان اقساما لم تكن من لبنان منذ سنة ١٨٦٠ الى ١٩٢٠ . وألفوا من المجموع ما سموه لبنان الكبير وليس من أغراضي البحث فى عدالة هذا العمل أو عدم عدالته . ولا النظر في هل نفع ذلك العمل لبنان واللبنانيين او اضرهم . وليس من أغراضي الموازنة بين تمليك فيصل وخلق لبنان الكبير لا . لست ذلك الرجل . ولكني الرجل الذى يقول ان أكبر أنواع الخطأ السياسي الذى يرتكبه اخواني السوريين هو اعتمادهم على نجدة أوربا . والحقيقة التي يجب ان نبكيها ونحاربها في وقت واحد هي ادخال الدين في السياسة . وقد تبرهن لاخواني المسلمين والنصارى على السواء ضرر الامرين . أعني الخلط بين الوطنية والدين والاستناد الى أوربا . وقد روى لي رجل ممتاز كان ترجمان الامير فيصل لدى اللويد جورج فى فرساى ، ان اللويد جورج قال للامير فيصل هذه العبارة . «يا أمير ، فرنسا جارتنا يفصلنا عنها زقاق ضيق ، وقد امتزج دماء أبنائنا وأبنائها فى الحرب معاً . فلسنا نريد ان نحارب جارتنا لأجل بلادكم الحقيرة سورية :

وقد أوردت في صفحة ٣٠ — ٣٥ من هذا المجلد أخبار الحرب بين الملك فيصل — بل بالحرى بين السوريين — وبين الجنود الفرنسية . وأبنت كيف انتهي الامر بفوز الفرنسيين واحتلالهم الشام في ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠.

ومن ذلك التاريخ يبتدىء الانتداب الفرنسي على سورية ولا يزال . وكانت عاصمة الانتداب الفرنسي بيروت ، والشام فرعاً . فيحل المندوب السامى في الاولى ، ومفوضه في الشام .

والآن ألوي عنان البحث نحو اجرا آت فرنسا بلبنان

(٢) خلق لبنان الكبير

انحصرت حدود لبنان سنة ١٨٦٠ بين مصب الليطانى جنوباً والهرمل شمالاً ، والبحر غرباً والبقاع شرقاً . فكان اول عمل باشرته فرنسا خلق لبنان الكبير فاضافت الى لبنان القديم جبال النصيرية وبلاد الحصن وكل صفيتا وعكار والضنية وطرابلس الشام وبعلبك والبقاع وحاصيا وراشيا ومرج عيون وصيدا وصور وبيروت تصرفت فرنسا بذلك بمحض اختيارها وارادتها دون استفتاء سكان تلك الاقاليم . لأنها عرفت أنها لو استفتتهم لرفضوها . فكان خلق لبنان الخطوة الاولى فى سلسلة التصادم بين اغراض الانتداب والامانى الوطنية . هل اقول ان ذلك العمل كان الحلقة الاولى فى سلسلة خطيئات ذلك الانتداب ؟ .

القارىء حر في الحكم بين هذا وذاك . فلست اريد ان اكون محبذاً ولا لواماً . ولكنى اذا قلت ان ذلك العمل ساء المسلمين ،

حتى من سكان تلك الاقسام فاءا اكون قد رويت الواقع ولا فضل لي ، ولا حرج علي في ذلك . وهذه هي العبارة التاريخية التي دونتها الاصقاع : —

« ايلول سنة ١٩٢٠ اعلن الجنرال غورو تأليف لبنان الكبير ».

وعلى اثره نشر ما يأتي

« نشر النظام الموقت للبنان الكبير المستقل ، وقد نص في القسم الاول منه على تقسيمه الاداري ، فجعله اربع متصرفات ومدينتين ممتازين ، هما بيروت وطرابلس وجعلت بيروت عاصمته الكبرى. واضيفت اليه مرج عيون .

اما القسم الثاني فينص على تاليف الهيئة التنفيذية . وفيه أن حاكم لبنان العام موظف فرنسي مسؤول للقومسير العالي الفرنسي . وهذا الحاكم العام يقرر الميزانية لدولة لبنان ، ويعرضها على القومسير العالي للمصادقة ، ويعين الموظفين لكل الدرجات ، ما عدا الذين يترك انتخابهم لمصادقة القومسير العالي ، والى جانبهم مستشارون فرنسيون ، يعينهم القومسير ، وجميع القرارات الادارية التي يقررها رؤساء المصالح تعرض على المستشارين الفرنسيين ، الذين يصادقون عليها بامضاءاتهم ويرفقونها عند الحاجة بملاحظاتهم ، ولا تصبح هذه القرارات نافذة الا بعد مصادقة الحاكم العام .

وقد جعلت المصالح الكبرى التي مع الحاكم العام سبعاً ، وهي .

١ الداخلية ٢ المالية ٣ العدلية ٤ النافعة ٥ التلغراف والبوستة والمعارف والفنون الجميلة ٦ الزراعة والصناعة والتجارة ٧ الصحة

اما مجلس الادارة فابدل بلجنة الادارة ويكون رأيها استشاريا.

ثم صدر قرار رسمي من الجنرال غورو بتعيين « مسيو رزكار ترابو » حاكماً عاماً للبنان الكبير . وبعد اعلان لبنان الكبير الغيت جميع الدوائر الادارية في أراضي لبنان السابق . وستتخذ فيا بعد تدابير خصوصية في شأن الموظفين الذين سيعينون في وظائف لبنان الادارية ٦ موارنة ٣ ارثذكس ٢ سنيان ٢ شيعيان ١ روم كاثوليك ١ درزى المجموع ١٥ ولكل متصرف مستشار فرنسي .

يتضح من ذلك ان فرنسا عملت عملين في وقت واحد ، كلا منهما ضد مصلحتها ، الاول : انها ضمت الى لبنان أقاليم ضد رضا سكانها

الثاني : انتزعت ادارة لبنان من أيدي أبنائه فنشأ عن الاول ايغار صدور المسلمين عليها

وعن الثانى فتح الباب لخسران عواطف الموارنة .

هنا يقف الباحث النزيه ويسأل : —

ما هو الباعث على تحمل فرنسا كل هذه المسؤوليات ؟ .

لماذا ضمت أقاليم الى لبنان وصياح سكانها قد طبق السماء احتجاجاً وانكاراً ؟ .

وأية فائدة لفرنسا ولبنان في ذلك العمل ؟ . لست من الفنيين حتي ولا في المساحة . لكني أريد ان أفهم . اذا فرضنا ان سهل البقاع لازم للبنان لاجل الزراعة . وان مدن السواحل كذلك لازمة . فما هو ازوم حاصبيا وراشيا وبعلبك ومرجعيون ؟ .

ويتراءى لي ، وقد أكون مخطئاً انه لو اكتفت فرنسا بضم

سهل البقاع الى حدود الايطالي ، وجعلت هذا الجدول حداً فاصلا بين لبنان والداخلية لما كان في ذلك باس . ولو تركت طرابلس وما يتبعها الداخلية لما كان عليها لوم ولا تثريب .

ولكي يقف القارىء على نفسية الاهالي ، وتصرف الفرنسيين يومئذ معهم أورد له الرواية التالية : —

دعا متصرف بيروت نجيب بك أبو صوان ، بامر الحكومة العسكرية الفرنسية المنتخبين الثانوين عن سنة ١٩١٣ للاجتماع الساعة ١٠ صباح ذلك النهار في قاعة السراي القديمة في بيروت . ولما اكتمل عقدهم دخل عليهم الكولونيل نيجر ، المندوب الاداري العام ، والمتصرف نجيب بك ابو صوان ، ومسيو ترابو مستشار الولاية — وذلك قبل تعيينه حاكما لجبل لبنان — ومسيو دوازله مستشار المتصرفية . وطلب الكولونيل نيجر ان تقرأ اسماء المنتخبين الثانين . فاذا جميعهم حاضرون الا اثنين تخلفا عن تلبية الطلب . فطلب الكولونيل من المتصرف توقيفهما . ثم التفت الى الحاضرين وخاطبهم قائلا : —

تلقينا عن ثقة انكم تسعون في انتخاب ممثلين لكم في المؤتمر السوري المنعقد في دمشق . وقد كلفني الجنرال غورو ، المندوب السامي ان أبلغكم أن مؤتمر الصلح قد قرر انتداب فرنسا لسورية كلها . وانه تلقى الامر من حكومته بابقاء القديم على قدمه ، ريثما يتقرر شكل الانتداب . فكل حركة تتعلق بالانتخابات التي أشرت اليها تعد مخالفة للحقوق الدولية ، وتلقي تبعتها على القائمين بها ، وتعرضهم للمحاكم العسكرية . وانا انصح لكم — أي

آمركم — ان لا تعرضوا انفسكم لسخط العسكرية » .

نظرة بسيطة في هذا الخطاب تكفي الذهن الحر لادراك ما تنطوي عليه سياسة فرنسا من نحو اللبنانيين . استهانة باثمن ما يحرص عليه الانسان من حرية وكرامة . جفوة وغلاظة في الخطاب لا تستعمل لغير احقر العبيد . فلم يترك للبنانيين — احباب فرنسا — أقل حرية . بل وضع السكين على العنق . وقال لهم اما « اما الاستسلام او الموت » .

افيرى مسيو بونسو في ذلك البلاغ شيئا من العدالة او الكياسة التي عرف بها الذوق الفرنسي في التاريخ ؟ . بل ايرى في صوغ الخطاب على هذه الصورة شيئا من الجمال الفاتن الذي نسبه اللبنانيون لفرنسا ، لاستمالة القلوب ؟ . ليس هذا موضوع البحث . فهنالك امور جوهرية هي اجدر بالنظر الدقيق والتأمل العميق

١ ان هذا البلاغ ينافي تصريح الجنرال غورو قبل ١٣ يوما اذ قال « لما تشرفت باستقبال مجلسكم الاداري ، في ١١ اذار الماضي ، صرحتم لي ، بشكل شبيه بالرسمي ، برغبتكم في ان تدرسوا مشروع دستوركم الاساسي . فالحكومة الفرنسية تحبذ هذا العمل وان يكن لا بد من انتظار تقارير مؤتمر السلم في هذا الشان . فان هذا الدرس ، علاوة على كونه تمهيديا ، مفيد فائدة عظيمة . وهو من حقوقكم » الشرعية . ومما لا ريب فيه « ان لمجالسكم الصلاحية » في ذلك . ولكنني رأيت من الموافق ان اوسع دائرته بان أضم اليكم بعض وجوه اللبنانيين الذين اخترتهم من المتنورين من جميع

الطوائف ، حسب التناسب المعول عليه في لبنان . وانا اعتقد فيكم الكفاءة لهذا العمل ، ولزيادة الفائدة أضم اليكم رئيس المراقبة الاداري للمنطقة الغربية ، او معاونه . والمستشارين الماليين والتشريعيين في القومسارية واقبلوا فائق الاحترام » .

مع ما في هذا القرار من الخروج عن حدود الانتداب ، وذلك بتعيينه في المجلس اللبناني « بعض الوجوه » وضمه اليهم مستشارين « اجانب » — مع ذلك — هو صورة لطيفة مقترنة باعتراف صريح ، ووعد جميل ، يصح تسجيلهما على الحكومة الفرنسية . واحترام الدولة مقترن حتما ولزوما بحفظها وعودها . فماذا كان منها بعد ١٣ يوماً ؟ . هذا هو موقفنا امام الكولونيل نيجر الذي خاطب نواب لبنان ذلك الخطاب الجاف

٢ لما سمع الحضور كلام نيجر نهض انطون بك شحيبر رئيس محكمة التجارة وحاول التكلم فنمه الكولونيل نيجر بلهجة شديدة بقوله : ليس الموقف موقف مناقشة او اظهار عواطف وابداء آراء . انما هي « أوامر عسكرية » كلفت ابلاغكم اياها .

٣ قرار عالي الشان . من الجنرال غورو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية ، الى مجلس لبنان الاداري

أولا . الغي مجلس ادارة لبنان لعدم استطاعته القيام بوكالته .

ثانياً . تقوم مقام مجلس لبنان الاداري لجنة موقتة ادارية ريثما يتم تعيين النظام السياسي للبنان الكبير ، يمكن الشروع بالانتخابات العامة .

ثالثاً : سيصير فيما بعد تعيين اعضاء اللجنة . ا . ه .

قارن بين قول الجنرال « التي المجلس لعدم استطاعته القيام بوكالته »، مع قوله سابقاً « ان لمجالسكم الصلاحية » للاشتراع . اما قوله « بوكالته » فمن الذى وكله ؟ . أفرنسا أم الامة ؟ . فاذا كانت الامة فعزل المجلس والغاؤه هو من حقوق الامة، بموجب الدستور. وليس من حقوق الجنرال الاجنبي . ومتى وبماذا ثبت عجز المجلس؟ ان متصفح للتاريخ ينشد الحقيقة . والحقيقة تتألق ببهاء، في سماء الاذهان، فوق غيوم الاغراض وخطيئات السياسة .

تألف ذلك المجلس سنة ١٨٦١ بمصادقة فرنسا وأوربا . وسار في عمله ٦٢ سنة لم يقل احد — في كل تلك المدة — بعدم كفاءته. فعلى أى أساس، وبأى حق، واستناداً الى أية مادة، في أى دستور، يحكم الجنرال غورو على المجلس والغائه ؟ .

وما شأن غورو « ليعين » اعضاء اللجنة « تعييناً » ؟ .

٤ ان غورو لم يعزل أعضاء المجلس بل ألغاه الغاء، كائناً من يكون اعضاؤه . ومعنى ذلك انه كسر دستور البلاد وداس كرامتها أفمفوض هو بذلك ؟ . ومن الذى فوضه ؟ . وأين الاوامر بيده بهذا المعنى ؟ . الا يحتمل ان يخطيء هذا الجنرال ؟ . دعنا من ذلك أفليس هذا هو نفس المجلس الذى خاطبه نفس الجنرال، منذ ايام بما يجعل هذا القرار قولاً نكراً ؟ . هنا لك فوض اليه سن الدستور بمساعدة المستشارين . وهنا ألغاه الغاء أبدياً، واستأثر بالامر، فعين هو ثلث اللجنة الاستشارية .

وهو عمل لم يجرؤ عبد الحميد الثاني العثماني ان يقدم عليه .

٥ ان تصرف الجنرال ينافي الامر الذى استند اليه الكولونيل نيجر ، القاضي « ببقاء القديم على قدمه » وهذا المجلس « قديم » فلماذا يلغيه الجنرال ؟ .

هل يتعجب الجنرال بونسو ان أمة ، تعاملها فرنسا هذه المعاملة ، قد رفعت لواء الحرب ، وشرعت الاسنة والنصال ؟ . اما التاريخ وعقلاء الارض والسماء وجوهم ، وانا ، فنتعجب من قعود اللبنانيين على هذا الضيم ، وعدم محاربتهم فرنسا

٣ ــ حادثة السبعة أعضاء مجلس لبنان

يجب القارىء ان يقف على مجرى الحوادث ، ليتبين نفسية البلاد ، وما هية السلطة الاجنبية . فاقول : —

أعضاء مجلس لبنان الادارى هم نواب الامة المنتخبون انتخابا حراً . فهم يمثلون لبنان ، بل هم لبنان . وعددهم ١٣ عضواً انتخبتهم الامة اللبنانية طبقاً لنصوص الديكريتو الذى سنته الدول المعظمة سنة ١٨٦٠ القاضية باستقلال لبنان ، والقائمة على رقابته ، والدفاع عن استقلاله . وهؤلاء الاعضاء غير مسؤولين لحاكم لبنان ، الذى كان يتعين بفرمان عثماني وتصديق الدول الست . بل هم مسؤولون للامة التي انتخبتهم . فاجتمع هؤلاء الاعضاء بمحض حريتهم واختيارهم ، ضمن حدود صلاحيتهم ، وأصدروا القرار الآتي :

” ان مجلس ادارة لبنان النيابي ، المؤلف نظاما من ١٣ نائباً وفى الوقت الحاضر من ١٢ نائباً ، لسبب خلو مركز أحد نائبي قضاء كسروان المستقيل . قد وضع نهار السبت الواقع فى ١٠ تموز

١٩٢٠ باكثرينه الكبرى القرار الآتي : —

« انه لما كان اللبنانيون ، منذ أعلنت الدول العظمي حق انعام الحكومة الوطنية لشعوب هذه البلاد ، فقد طلبوا ، وما زالوا يطلبون ، حقوقهم بتأسيس حكومة وطنية مستقلة . ولما كان استقلال لبنان ثابتاً تاريخياً ، ومعروفاً منذ أجيال طويلة ، وموقعه وطبيعة أهاليه المؤلفة للحرية والاستقلالية منذ القديم تستلزم استقلاله وحياده السياسي أيضاً ، لوقايته من الطوارىء ، وكان من أهم مصالحه وراحة شعبه الوفاق ، وصفاء العلاقات مع مجاوريه . وقد دل علي ذلك ما أحدثه التقاطع من ثوران الجهل لارتكاب الحوادث المؤلمة المتعلقة المتسلسلة من السنة الماضية الى هذه الآونة فبناء علي ذلك كله ، قد بذل هذا المجلس مزيد الاهتمام توصلا لوفاق يضمن حقوق البلادين ، لبنان وسوريه ، ومصالحهما ، ودوام حسن الصلات بينهما في المستقبل . وبعد البحث في هذا الشأن وجدانه من الممكن الوصول الى ذلك بمقتضى البنود التالية

١ استقلال لبنان التام المطلق

٢ حياده السياسي بحيث لا يحارب ولا يحارب . ويكون « بمعزل عن كل تدخل أجنبي » .

٣ اعادة المسلوخ منه بموجب اتفاق يتم بينه وبين سورية

٤ المسائل الاقتصادية يجرى درسها ، وتقرر بواسطة لجنة مؤلفة من الطرفين . وتنفذ قراراتها بعد موافقة مجلس نواب لبنان وسورية .

٥ يتبادل الفريقان السعي لدى التصديق على هذه البنود الاربعة

وضمانة أحكامها

ولاجل التمكن من العمل على ذلك تجربة ، وعزل عن كل ضغط وتأثير خارجي ، ولاجل السعي الناجح في المراكز الايجابية لتقرير أحكام البنود الاربعة المقدم بيانها التي هي مطالب الامة اللبنانية ومصلحة لبنان الحقيقية المنزهة عن المآرب والاغراض الخصوصية ، وبالنظر لنيابة هذا المجلس عن الشعب اللبناني القانونية والمؤيدة مؤخراً باصوات أكثرية الشعب الكبرى قد قررت باكثرية المجلس موقتاً هذه المضبطة الانتقال والتوجه بالذات للاحقة ومتابعة تقرير مضمون البنود الآنف بيانها في المحال المقتضاة والمراجع الايجابية وابلاغ هذا القرار منه الى المقامات الرسمية الاوربية بالطرق الممكنة على الامة اللبنانية

فؤاد	محمود	سليمان	خليل	سعدالله
عبد الملك	جنبلاط	كنعان	عقل	الحايك
			محمد الحاج	الياس
			حسن	شويري

ان من ينظر الى هذا القرار يراه حائزاً على الصفة المشروعة الرسمية ، وهو من صلاحية الذين ألفوه ووقعوه وليس أكثر من ان أعضاء مجلس لبنان رأوا طريقاً صالحا لادارة بلادهم فقرروه هل كان قرارهم هذا صواباً أو خطأ ؟ . تلك مسألة لا يتناولها قلمي . قل ما شئت فى الامر . انما كل عاقل نزيه خالي الغرض يؤيدهم فى قرارهم باعتبار نيابتهم . أو على الاقل لامة المستأمنة لهم تؤيدهم وهي واثقة بهم كل الثقة . فارادتهم هي ارادة الامة .

ومن العبث اتهامهم بالخيانة والارتشاء . وهم ليسوا بموظفين أجانب وغرباء عن مصالح الامة . بل هم أبناء الامـة ومن جسمها . فغير معقول انهم يبيعون مصالحها بثمن لانها مصالحهم ومصالح أبنائهم وأحفادهم . ولا يرى في قرارهم هذا ما ينافي مصلحة لبنـان بوجه من الوجوه . وإلا فأى ضرر في كون لبنان « مستقلا » فى كونه على اتم « وفاق » مع جيرانه ، مع حفظ ذاتيتـه ؟ . نعم هنـالك شيء واحد لم يرض الانتداب الفرنسي ، وهو تقريرهم الاتفاق مع اخوانهم السوريين بدون تأثير خارجي . وهي فـكرة أوحاها اليهم النظر العميق في مصلحه الجيل .

فماذا حدث بعد ذلك ؟ . اسمع وتعجب ! !

بعد توقيع هذا القرار المار ذكره المعرب عن آمـالهم هموا بالذهاب الى الشام ليمكنهم التسرب منها الى فلسطين فيوصلوا صوتهم الى مسامع أوربا لانفاذ قرارهم ، ولا ريب فى انهـم فعلوا ذلك بعد تبادل الاراء ، ومراجعة الافـكار ، والوقوف على آمـال الامة ، ولا سيما عظمائها ، وتحت تأثيرات حوادث اختبارات كثيرة ، وكون هؤلاء الموقعين من أحباء فرنسا ، والمرحبين بها ، ايماء إلى فشل السياسـة الفرنسية في سورية دون مراء . وسبب ذلك الفشل هو تجاوز فرنسا حدود الحق والعدالة وهضمها حقوق الذين وثقوا بها كما سأبينه بنصوص صريحة من أصدقاء فرنسا اللبنانيين ، الذين تكلموا فى جو هادىء ، خلواً من كل تأثير أو غرض . وسأبين ان فرنسا « ليس فقط عجزت عن ربح قلوب خصومها ، بل زادت على ذلك انها خسرت قلوب محبيها »

والآن أحول النظر إلى ما كان من أمر السلطة الفرنسية بهذا الشأن فأقول . ركب هؤلاء السبعة السيارات قاصدين إلى دمشق الشام ، فعلمت السلطة بأمرهم ، وذلك طبعاً من جواسيسها المنبثين ، حتى في دوائر الحكومة العليا . فبعثتهم قوة عسكرية تبعتهم بإيعاز الكولونيل نيجر . فادركتهم في صوفر ، فقبضت عليهم ، وعادت بهم مخفورين الى دار حبيب باشا السعد ، حيث كان الكولونيل نيجر والقومندان لا لرو حاكم لبنان . ولما حضروا سأل الكولونيل نيجر رئيس المجلس عن السبب الذى من أجله سافروا . فانكر الرئيس معرفة شيء عن هذا الامر . وقال ان لا علم له بهذه الرحلة الفجائية وبعد ان استجوب الاعضاء مراراً أرسلهم مخفورين الى السراي القديمة . ووزعهم فى غرف كلا على حدة ، بحيث لا يمكن أحدهم أن يرى الآخر . وأقيم عليهم الحراس من الجنود الفرنسية . وحظرت عليهم مقابلة الناس .

وبعد ما سجنتهم أرسلت بعضاً من رجالها ، فاوقفوا سعيد البستانى قائد الجند اللبناني سابقاً ، وجاءوا به الى السراي لاشتباههم فى أمره ، لا سيما بعد عودته الاخيرة من الشام . وقبضت أيضا على يوسف البريدي ، العضو الاداري ، وانطون بك الخوري ، قائمقام المتن سابقاً ، وضموا الجميع الى رفاقهم فى السراى القديمة

وان العضوين داود بك عمون ، ونقولا افندي غصن هما العضوان اللذان لم يشتركا بهذه الحادثة . وأحيل المقبوض عليهم على المحكمة العسكرية ، المؤلفة من أعضاء فرنسيين ، أجانب عن البلاد

فحكمت عليهم الاحكام الآتي بيانها . —

					ليرا		ليرا
خليل بك عقل :	نفي	عشر	سنين	ورد	١٤٠٠	وغرامة	٢٠٠٠
سليمان بك كنعان :	»	»	»	»	٣٢٠٠	»	٢٨٠٠
سعد الله بك الحويك :	»	٨	»	»	١٤٠٠	»	٢٨٠٠
فؤاد عبد الملك :	»	١٠	»	»	١٨٠٠	»	١٦٠٠
محمد محسن :	»	٨	»	»	١٤٠٠	»	٢٨٠٠
محمود بك جنبلاط :	»	٧	»	»	١٥٥٠	»	٢٧٠٠
الياس افندي الشويري :	»	١٠	»	»	١٥٠٠	»	٣٠٠٠
سعيد بك البستاني :	»	١٠	»				
امين ارسلان :	»	٨	»				
الياس بك الحويك :	»	٩	»				

وقد مر بك الغاء مجلس ادارة لبنان . فرأى السوريون في ذلك أمرين كبيرين : الاول انتزاع ثقة اللبنانيين بفرنسا وثقة فرنسا باللبنانيين . وامحاء المحبة المتبادلة التي سادت العواطف من عهد القديس لويس الحادي عشر . الثاني ان فرنسا استعملت القوة لارغام السوريين على الامتثال والخضوع لرأيها . فلم تبق لها صفة الانتداب المزعوم بل صارت قاهرة ، تنكر على الاهالي حرية التفكر وابداء الرأي . وقد سمت هؤلاء الاعضاء خونة ، وما هم بخونة . ونفتهم من بلادهم ولا صلاحية لها بذلك . فاذا كان نواب البلاد يضطهدون ويهانون ويجلون عن بلدهم لانهم استعملوا الحرية التي لهم في ما ظنوه واجباً عليهم كنواب الامة ، ولم تسمح الدولة

المنتدبة حجة ولا دليلا ، بل اعتصمت بالقوة ، ولم تبق وسيلة لافهامها واقناعها إلا القوة افتستغرب يا مسيو بونسو اذا قامت الامة تخاطبكم باللغة الوحيدة التي تفهمونها ؟ . فاقتضت الامة السيف لتفهمكم صلاحيتكم وحدودكم

قد ألبست السلطة المنتدبة حادثة لاعضاء السبعة غير ثوبها . فحسبت نواب لبنان خونة ، وانها هي الذائدة عن حرية لبنان وسلامته. فاذا فرضنا جدلا ان فرنسا تعني ما تقول ، وان هؤلاء الاشخاص هم خونة كاشخاص لا كلبنانيين ، فالداء اذاً محصور فيهم ، وبقية الامة بريئة ، اليس هكذا يريد الكولونيل نيجر أن يقول ؟ . والجواب عليه ان كان ذلك صحيحاً فيكفي عزلهم واستبدالهم بسواهم من الرجال الامناء ، مع ابقاء القديم على قدمه حسب الاوامر الرسمية الواردة اليكم .

فلماذا لم تكتف السلطة بذلك ، بل ألغت المجلس بتاتاً ؟ . اليس لعلمها ان قرار هؤلاء السبعة هو قرار الامة ؟ . وان أي عضو آخر حل محلهم نحا نحوهم ، ونسج على منوالهم ؟ . لان الامة اللبنانية تريد أن تتفاهم مع اخوانها السوريين هذه كل خطيئتها . تريد أن تضع يدها بيد جيرانها الاقربين . فساء الدولة المنتدبة ذلك وقامت تضطهد السوريين لانهم راعوا الاخاء . وهي تريد ان تفرق بينهم لتسودهم .

ولئلا تحسبني يا سيدي بونسو مفتئتاً عليكم ، ومجازفا بالقول ، أورد لك شهادة تمحى الهام امامها ، وتقتنع ان القلم الذي خط ما تقرأه مغسول بماء النزاهة والحرية .

أفتجهل يا مسيو ان فى باريس برلماناً ؟ . كلا . أو تجهل ان في البرلمان رجلا اسمه مسيو بيرار ؟ . كلا . أو لا تعلم ان الرجل صادق الفرنسية، مخلص في ما يقول ؟ . بلى. فاسمع ماذا قال في ٣٠ حزيران سنة ١٩٢٢ في وسط البرلمان ، بحضور هيئة الوزارة ومسيو بوانكاره رجل فرنسا العظيم ، قال : —

« انى أجهل يا حضرة الرئيس الحوادث السياسية التي وقعت في السنوات الثلاث الماضية وأنا عالم انك لم تستلم زمام الامور إلا منذ بضعة أشهر . ان الحقيقة التي لا جدال فيها هي ان عمالنا في سورية تمكنوا من تطبيق سياسة (فرق تسد) ـ قاعدة مكفيالي ـ من الوجهتين ، النظرية والعملية . فقسموا سورية الى دويلات لا مبرر لوجودها . ونفثوا العداوة بين شعوبها . وجددوا فيها المنازعات الدينية الى درجة لم تكن تعرفها من قبل . اسألوا أيا شئتم من السوريين ، وكم كنت أود ان أجيء اليكم بمسيحيين ومسلمين وماسونيين ويهود وجزويت — حتى الجزويت أنفسهم — لان الكل مجمعون على رأى واحد ، وهو ان وجودنا في سورية أدى الى احياء الاحقاد والمنازعات الدينية . ولماذا ؟ . لاننا أغدقنا النعم والنفقات على كل من السوريين بدوره . ففي سنة ١٩٢٠ قمنا بعملنا الكبير ضد فيصل . فقال المسيحيون في نفوسهم ان فرنسا جاءت لحماية المسيحيين . ولكننا في أواخر تلك السنة ، وأوائل سنة ١٩٢١ أصدرنا الحكم في مسألة أعضاء المجلس الاداري . انى أستميحكم عذراً ، يا حضرة رئيس الوزراء اذا عدت الى هذه المسألة مرة أخرى . لان من أعظم أحزانى ان أرى الدور الذي

مثلناه في هذه المسألة · وقد مضى على الآن ١٤ شهراً ، وأنا ألفت انظار الحكومات التي تعاقبت على مقاعدكم هذه ، الى حالة لا يجيزها شرع ولا يبررها قانون ، وسوف تسمحون لي ان أقول رأيي في الجرم القضائي الذي اقترفناه مع أعضاء مجلس ادارة لبنان

(ليلاحظ القارىء . سيدي بولسو ان حنا خباز لم يأت بشيء من عند نفسه . ولا حاد عن سنن الاستقامة وحرية الضمير . فما أورده في سلسلته قد مر أولا بالبرلمان الفرنسي . والآن أعود لايراد بقية خطاب مسيو بيرار)

« كان هذا المجلس مؤلفاً من الاعضاء المنتخبين . وقد أوقفت السلطة تسعة من أولئك الاعضاء بتهمة الاتفاق مع العدو . أي مع فيصل الذي كان يومئذ لا يزال حليفنا . وحاكمتهم في مجلس عسكري فرنسي · وحكمت عليهم بالنفي (والغرامة) رغم المعارضة الشديدة التي أبداها بعض أعضاء ذلك المجلس . وكان معظم هؤلاء الاعضاء من المسيحيين ، ورئيسهم هو شقيق البطريرك الماروني . . . .

وقد نفذ هذا الحكم ، واعتقل هؤلاء اللبنانيون ، بكورسكا ثم بفرنسا . واسفرت المساعي الفرنسية في نيسان سنة ١٩٢١ عن حمل الحكومة على الاعتراف بان هذه الحالة غير قانونية (أي ان الاعضاء مظلومون) وقد أفرغت وزارة الخارجية — التي أدركت حرج الحالة — قصارى جهدها لكي تسفر المفاوضات عن نتيجة ولكن مضى الآن على وجود هؤلاء اللبنانيين ١٤ شهراً ودوائرنا ببيروت تمنع وزارة الخارجية عن احترام العدل ، وخدمة مصالح

فرنسا الحقيقية . فهذه الحال لا يمكن أن تدوم (صراخ من مجالس الاعضاء — حسن . حسن جداً) وهكذا كانوا السبب في العواطف التي تسود سورية الآن (أي عواطف النفور من الانتداب الفرنسي وكره رجاله) فان السوريين اعتمدوا على فرنسا ورجوا منها الصداقة والعدل . ولكنهم صادفوا عكس ما كانوا يرجونه » .

هذا يا سيدي كلام رجل فرنسي سامي المقام بباريس . وقد أملاه على مسامع الهيئة الحاكمة الفرنسية ، في أسمى مراجع الدولة أعني به مجلس نواب فرنسا . فما قولك في هذا أيضاً ؟ . هب انك كفرت بمحبة واخلاص بطريرك الموارنة وهذا الداعي الذي عشقكم وعشق انتدابكم . وهب انك قلت فينا ما قاله غيرك في غيرنا . أفيمكنك أن تكفر بوطنية مسيو بيرار وباخلاص مسيو برانكاره ؟ . فلا أراك تجهل اذاً ان معاملتكم أعضاء مجلس ادارة لبنان محسوبة عليكم في عداد الامور التي خسرتكم احترام محبيكم وقلوب وثقة مريديكم . وبرهنت على انكم أمة لا غنى عن اصلات السيف في وجوهكم لتحترموا حقوق الآخرين . فقاموا يعاملونكم بما ألزمتموهم وأرغمتموهم أن يعاملوكم به رغم ضعفهم وفقرهم . فاذا جاز لك أن تتعجب ، فلا تتعجب من محاربة السوريين لكم بل يجب أن تتعجب من غرابة تصرفاتكم وفظاعتها التي جعلت أحباءكم يحاربونكم

ويرى السوريون في حل السلطة مجلس ادارة لبنان ، افتئاتاً على حقوق الجبل . لان المفوض السامي لا يملك هذه الصلاحية ،

ليتدخل في شؤون لبنان المقررة . زد على ذلك أن المفوض السامي أمر بان يكون حاكم لبنان فرنسياً . وهذا أيضاً يخالف نص بروتوكول لبنان . ولا يجوز مخالفة قانوناً قبل الغاء ذلك القانون ، وإلا عد مخالفه جارماً .

ثم ان في تعيين حاكم فرنسي للبنان ، وللعلويين ما يوغر صدور أبناء الامة على المنتدبين ، ويحملهم على مقتهم وكراهيتهم

(٤) مقالة تعرب عن نفسية اللبنانيين

قال كاتبها : —

لا أقدر إلا أن أحب فرنسا ، البلد الذي أبرز مثل جوفر وبوانكاره ونابليون وغمبتا وباستور ولامارتين وهيوغو . على ان هنا لك نفراً من الموظفين الفرنسيين في سورية يهتمون بمصالحهم الشخصية ، أكثر مما يهتمون بمصالح الدولة التي ندبتهم ، فافسدوا كل ما غرسته فرنسا في سورية من بذور التربية والادب . وكادوا يقضون على كل الارث الادبي الذي فاخر مسيو بوانكاره به قائلا : ان فرنسا اكتسبته في الشرق :

ومما يصح اتخاذه دليلا على ذلك مخالفة هؤلاء روح الادب في ما حدث أخيراً في حالة تعيين حاكم لبنان الكبير . فقد أصدر دولة الحاكم العام بواسطة حكومة لبنان الكبير أمراً يقضي بحل جميع البلديات بلبنان ، وانتخاب بلديات جديدة . وحدد موعداً للانتخاب ١٨ نيسان الماضي . وفي اثناء ذلك كانت الاوامر ترد

الى مديري النواحي باعداد لوائح الكشوف باسماء الاعيان الذين يرشحون أنفسهم للانتخابات ، مع الاشارة الى الذين اشتهروا منهم بميلهم الى فرنسا . وبعد ما أرسلت الكشوف المذكورة الى ديوان الحاكم العام ، وضعت قوائم خاصة بكل بلدية وفيها أسماء الاعضاء الذين وقع عليهم اختيار الحاكم العام ليكونوا أعضاء بلدية . وأرسلت هذه الكشوف الى المديرين . فجعلت الاشراف على الانتخابات ومراقبتها لتسييرها في الوجهة التي تلائم السياسة الموضوعة ، مع العمل على انتخاب أصحاب الاسماء المذكورة في القوائم الواردة من ديوان الحاكم العام . ولما حل ميعاد الانتخاب أعد الحكوميون عدتهم ، وخاضوا غمار المعركة الانتخابية فنجحوا في كل الجهات تقريباً ، نجاحاً اذا لم يعطهم الاجماع فقد ضمن لهم الاكثرية بلا نزاع . واحتفظ الحاكم العام لنفسه — وهو فرنسي — بحق تعيين الرئيس لكل بلدية . فكان يعين الرئيس الذي يراه مناسباً ، أي الذي يمتاز بالميل الى فرنسا . وهذا في نظرهم ليس الذي يحب فرنسا حباً خالصاً ، بل الذي يخضع لجميع الاوامر والرغبات التي تصدر من ديوان الحاكم العام والسكرتارية .

وهكذا تم انتخابات البلديات ، وتعيين كل رؤسائها كما أرادوا تمهيداً لاعراب الشعب عن رغبته بواسطة البلديات في تعيين الحاكم العام .

جرى ذلك في ١٨ نيسان ، وما جاء آخر تموز حتى ورد على المديرين برقيات مختلفة تدعوهم إلى يبدأ ، أو غيرها من عواصم

للتصرفيات ، وهاك نص برقيتين . . . . نموذجاً لسواها

(١) قابلوني غداً (كسروان) أي كسروان الخازن .

(٢) احضروا غداً لمركز بعبدا (التوقيع)

فلما اجتمعوا طلب منهم أن يحملوا رؤساء البلديات على ان يرسلوا تلغرافاً الى النواب والمجالس طالبين تعيين القومندان ترابو حاكما لجبل لبنان . وهكذا وقع . فعاد المديرون الى مراكزهم ، وما لبث بعض البلديات ان ارسل تلغرافات هذا نصها : —

« قررت بلدية صيدا باجماع الاصوات ان يكون الحاكم فرنسياً لمدة خمس سنوات ، وأن يكون القومندان ترابو بالنسبة لمحبة الشعب له »

وأرسلت أوامر مكتوبة بالحبر والورق لمتصرفي البقاع وصيدا تحضهما على ارسال التلغرافات المجلس لتعيين ترابو حاكما على جبل لبنان لمدة خمس سنين . على ان عدة بلديات رفضت ان تكون ألعوبة بأيدي الفرنسيين وضنت بكرامتها ان تؤمر فتأتمر . ولكن ذلك لم يمنع الكثير من البلديات من ارسال البرقيات المذكورة

فترى من هنا ان فرنسا خسرت حتى محبة اللبنانيين الذين كانوا يريدونها . وذلك لتحاملها وتجاوزها

٥ مسألة القداس الرسمي

وقد يراها القارىء من الغرائب ، وقد تكون حكايتها أغرب من حكايات الغول والعنقاء . ولكنها أمر واقعي ، رأيناه بعيوننا

ولمسته أيدينا ، وشممنا عبيره . وشهوده أحياء ، وهم كلنا . وحكاية هذا القداس أغرب ما سمع في ملكوت ابن مريم . لكنها في انتداب فرنسا ليست أمراً مستغرباً ، بل هي مما اعتاد السوريون ان يروه يومياً من اجراءات الانتداب . وسأذكر شيئاً من ذلك في الجزء الثاني . اما هذا الجزء فمختص بسياسة فرنسا العامة فقط ولكن هذا القداس هو من اغلاط السياسة الفرنسية العامة وقد ملأ ذكره الصحف ، وتحدث الناس بامره في البيوت وفي الاندية وشغل بيروت ولبنان وسورية وروميــة وباريس وجنيفا والارض والسماء .

ملخص الحكاية

اعتاد الآباء الكبوشيون في بيروت ان يقيموا قداساً حافلا لممثل فرنسا في سورية ولدى وصوله البلاد السورية . يحضره المفوض السامى بحاشيته ، والبيئات الرسمية في كل دوائر المفوضية الفرنسية .

فلما حضر الجنرال ساراي ، وهو من الحزب الحر المناوىء الاكليرس ، ظن الآباء ان الخطة المثلى التى جرى عليها المفوضون السامون هي سنة محتمة الاتباع . فارسل كاهنهم الاب ريمي بلاغا الى الجنرال ساراي المفوض السامى الجديد ، الذي وصل سورية حديثا (في أوائل سنة ١٩٢٥) يخبره ان القداس الخاص سيكون في كذا الشهر .

وبما ان الجنرال ساراي من غير ذلك المشرب ، وليس عنده تعليمات بهذا الشأن ، وليس من التزاماته حضور قداس كهذا ،

خلن كما يظن كل واحد في مثل تلك الظروف انه يتصرف فيه حسب ميله الخاص . فارسل كتابا الى الاب ريمي يشكره ويعتذر عن قبول دعوته وانه لا يحضر قداساً كهذا ، لا في كنيسة الاب ريمي ولا في غيرها من الكنائس ، باعتبار كونه مفوضاً سامياً . وانه حين يمكنه حضور الصلاة فسيحضرها كشخص عادي ، لا كمفوض سام . وذلك في المكان والزمان اللذين يختارهما ، لا اللذين يعينهما له كائن من الناس . وظن الجنرال ان ذلك سيكون خاتمة الامر بينهما . ولكن الاب ريمي رفع القضية الى القاصد الرسولي « جانيني »

فكتب هذا بدوره الى الجنرال ساراي يقول : —

ان هذه العادة قديمة ، وان كل اسلاف الجنرال ساراى قد جروا عليها من بدء الاحتلال ، وقال انه سيرفع الامر الى قداسة الحبر الاعظم برومية فاذا فقدت فرنسا هذا الامتياز كان الجنرال ساراى هو المسؤول ، وليس الكنيسة

ذلك كان بدء الحادث ، ومنه يتبين القارىء ان المسألة ليست مسألة تسفيه طلب الاب « ريمي » ولا تحبيذ عمل الجنرال ساراي فلا يهم هذا القلم صلى الجنرال عند الكبوشيين أو عند العازريين أو الموارنة أو الكاثوليك أو الارثذكس أو في جامع المسلمين أو في كنيس اليهود أو في خلوة الدروز أو لم يصل على الاطلاق . ليس هذا موقع النظر . ولكن الموقع هو ان هذه المسألة لم يكن لها نظام مقرر يتصرف الجنرال بحسبه فهي غير مسجلة في بروتوكول لبنان ، ولا في الدستور الفرنسي ، ولا في قانون

الانتدابات في جنيف ، ولا في واجبات الجنرال كجنرال . ولو انها من واجبات الجنرال ساراى الرسمية لما تأخر عن القيام بذلك الواجب ، كما انه لو كان حضور القداس متروكا لارادته لما كان الاب ريمي والسيد جانيني اكترثا له ، ولما كان أزعج نفسه وأزعج الآخرين حتى اهتزت عروش أوربا والشرق . وشغل الدوائر العالية سياسية ودينية ، وملأ صحف العالم ومجلاتها شرحه والتعليقات عليه . فترى أن التشويش في الانتداب الفرنسي ناشيء عن عدم تحديد صلاحيات الموظفين والتزاماتهم

لما ذاع أمر تخلف الجنرال عن حضور القداس ، واستاءت منه الدوائر الاكليريكية ، أخذته الصحف مآخذ متنوعة ، حسب صبغاتها وأميال كتابها ، بين مادح ومفند وهازيء وناقم . فالصحف الاكليريكية سفهت تصرف الجنرال ، والحرة استحسنته ؛ والصحف غير المسيحية هزأت بالامر .

قالت لا سيري . —

« ان الجنرال ساراى أدخل أكبر انحلال الكلية العلمانية الفرنسية في بيروت ، وانه طاف بزوجه وولده مشاة على الاقدام دون ابهة ولا خفر » تعني بذلك انتقاد تصرفه وتفنيده .

بعد ذلك ذهب الجنرال ساراى لرد الزيارة للقاصد الرسولي جانيني فأوصد في وجهه الابواب ، بدعوى انه غير موجود . فالتزم الجنرال أن يسلم كارد زيارته للبواب وقفل راجعاً . ومن المعلوم ان الجنرال لا يذهب لرد زيارة كهذه دون ارسال اشارة . وعليه فيكون القاصد الرسولي تعمداً رفض زيارة الجنرال ، لانه لم

بحضر القـداس . ومسألة كهـذه ليست بصغيرة في عرف الهيئـة الاجتماعية . لان المفوض أكبر شخصية رسمية في البلاد . وأكبر ممثـل للجمهورية الفرنسيـة في الشرق . فرفض القاصـد الرسولي مقابلته دلالة واضحة علي بالغ الاستياء وجـيم الاعتداء والعداء . بل على كبير التصدع بين حزبي الدولة ، الاكليريكي والحر ، فالى الاول يـنتمد القاصد الرسولي طبعاً ، ومن الثاني كان الجنرال .

بعده ، ذهب القاصد الرسولي الى روميـة . وتشرف بالمثول لدى قداسة الحـبر الاعظم . وقابل بالفاتيـكان رئيس الكرادلة ، وقابل غيره من مراجع الملـكوت . ولا شك في انه بسط لهم حادثة القداس والجنرال ، وبادلهم الافـكار في ما يلزم ان يعمل . وعلى أثر ذلك توجـه الى باريس ، واجتمع برؤساء الـكنيسة ، وممثـلي الحبر الاعظم ، وذاكرهم في الامر ، وطرح الـموضوع للنظر بين أعلى مراجع البابوية وبين وزارة هريو الحـرة . ولا ريب في ان رومية وباريس ، وبعبـارة أضبط الفاتيـكان ودورسي ، تبادلتـا الـكتابة بهذا الشأن ، رسمياً أو غير رسمي لا فرق . وكانت النتيجة النهائية ان وردت الى فخامة الجنرال اشارة من رئيس وزراء فرنسا — مسيو هريو — أو من وزير حربيتها يأمره بحضور القداس ، نزولا عند رغبة الاكليرس . فاضطر الجنرال ساراي ان يصدع بالامر . فسار بموكبه الرسمي ، وحاشيته العريضة ، الى كنيسـة الاباء الـكبوشيين ، وحضر القداس حسب رغبـة الاب دريمي والقاصد جانيني .

قد ينكر القارىء علي الافاضة في الامر - فمهلا انه لم ينته بعد

بل ما زالت عيوننا على المسرح تشهد من بدائع الحوادث غرائب الفصول . فدعنا نتتبع هذه المهزلة الفرنسية الى نهايتها ، فاقول :ـ ان فخامة الجنرال ساراي تناول أمراً بحضور قداس الاباء الكبوشيين . لكنه لم يستلم أمراً بعدم حضور غيره من القداديس والحفلات الدينية . فرأى انه حر يفعل ما يشاء . ولذلك بعد ما اطاع الامر ، وحضر القداس المذكور ، عملا باشارة باريس ، أبت عليه نفسه الحرة إلا أن يحضر قداديس وصلوات كل الطوائف . فصار يحضرها الواحدة بعد الاخرى ، اليوم عند الكاثوليك ، وغداً عند الارثذكس ، وبعده عند الموارنة الخ .

هل كان تصرفه هذا من تلقاء نفسه أو باشارة من باريس ؟ . وهل قصد بذلك تعطيل امتياز الاباء الكبوشيين بجعله كغيره من حفلات بقية الطوائف الدينية ، أو قصد به ابداء روح المساواة بين الطوائف في نظر المفوضية ؟ . سيان عندي . فليس غرضي نقد فخامة الجنرال ، ولا تفنيد تصرف غبطة القاصد الرسولي لا لا بل تبيان ضعف الادارة الفرنسية في الشرق . وقد سبب ضعف رأي فرنسا كثيراً من القيل والقال في سورية . فأي نظر يكون المسلمين والدروز واليهود والبروتستانت والعلويين في أمر صبياني كهذا ؟ . ومع احترام الكنيسة والحكومة كلتيهما أرى ان أمراً كهذا كان يجب ان يكون مقرراً ، احتفاظاً بهيبة الجنرال ومكانة فرنسا . فاذا كان حضوره القداس واجباً وجب ابلاغه ذلك الواجب كي لا يتأخر عن أدائه . واذا كان غير واجب لا يتعرض له الآباء الروحيين . هذا مثل واحد من مئات الامثلة اوردته لا بين للقارىء

عموماً والمسيو بونسو خصوصاً — لماذا سقطت هيبة فرنسا وجرؤ الناس على مناوأتها .

٦ انقلاب اللبنانيين على الانتداب

عرف اللبنانيون باعظم الميل الى فرنسا من قديم الزمان والرغبة الزائدة في الحصول على حمايتها ، وزاد هذا الميل فيهم بعد حوادث سنة ١٨٦٠ وتظاهر نابليون بونابارت الثالث بنصرتهم . وذلك معلوم فلا أطيل فيه . وأوضح أدلتي على شدة تملق اللبنانيين بفرنسا القرار الذي رفعه الوفد اللبناني الثاني بفرساي لمجلس الاربعة ، وسأورده في موضع آخر .

وكان يجب ان يكون اللبنانيون راضين عن انتداب فرنسا ، ولا بد من كونهم كذلك لو عدلت فرنسا في معاملتهم . فلم يغير عواطف اللبنانيين نحو فرنسا الا تصرفات فرنسا ، والخطيئات التي ارتكبها الفرنسيون . ليس ان فرنسا داست ناموس لبنان فقط ، بل انها داست ناموس الانسانية ، ناموس المحبة والاستقامة والوفاء . وسأورد الادلة على ذلك في المجلدات التالية ٢ و ٣ و ٤ . لانها لا يخلو واحد منها من تبيان سوء صنع فرنسا في سورية . وانها جنت بذلك على مصالحها وعلى كرامتها جناية كبيرة . كالغاء مجلس لبنان ، والحكم الصارم على أبرياء لم يعملوا إلا واجباتهم . وأظن ان عمل فرنسا في سورية هو أفظع ما عملته دولة في الدنيا في كل العصور . ومثلها تعيينها حكاماً فرنسيين في لبنان وجبل الدروز والمنطقة العلوية . فتكون فرنسا قد سلبت لبنان أعز ما يملك ،

وهو الحرية والاستقلال. وجردته من كل صلاحيـة . وانتزعت منه امتيازاته المقتناه بدم رجاله ، وبمـا هو اثمن من تلك الدماء . لذلك هب اللبنانيون في اقسام المهجر ، وألفوا الجمعيات واللجان ضد الغاصب الجاني — دفاعاً عن حقوق لبنان وانتصاراً له من مظالم الفرنسيين وتعدياتهم . فليتامل القـارىء اللبيب كيف تبدلت الاوضاع ، فصار عشاق فرنسا في الامس أعـداءها اليوم . لانهـم رأوا فيها ما لم يكونوا يتصورونه ولا يصدقونه لو أمـلاه عليهم نبي من الانبياء .

لست أريد ان أشغل وقت القارىء وعقله بالتقارير والشواهد على صحة ما قلت — أعني على قيام صميم اللبنانيين فى كل الدنيـا ضـد فـرنسا — فاكتفي بالقليـل منهـا لانه عـلى الـكثير دليل .

أولا : احتجاج حزب لبنان الفتي

« حزب لبنان الفتى الذى يمثل معظم اللبنانيين في الاسكـندرية يحتج بشدة على النظام الذي وضع أخيراً ليكـون دستوراً للبنان الـكبير . ويطلب الغاءه وتحقيق مطالب الحزب باستقلال لبنان استقلالا تاماً ، وتعيين حاكم وطني ، أو دعوة لجنة من المفـكرين اللبنانيين في الوطن والمهجر لوضع النظام الدستوري للبلاد ، وتسليم مقاليـد الحـكم للشعب ، ويعتبر أصراركم على تنفيـذ النظام النيابي المذكور اعتداء على حرية اللبنانيين ، وحقوقهم التي نالوها بدمائهم

رئيس الحزب

توفيق طنوس

ثانياً : جريدة الراديكال الفرنسية

جاء في جريدة الراديكال بتاريخ ٣ ايار سنة ١٩٢٢ ما نصه

« المسألة السورية »

« درس المجلس الملي لجمعية حقوق الانسان في جلسته التي عقدها في ٢٤ نيسان ما صارت اليه الحال في سورية استناداً الى وثائق يعول عليها . فوضع القرارين التاليين

القرار الاول · تحتج شعبة مرسيليا على ابطال الحرية السورية بسبب احتلال الجيش الفرنسي البلاد احتلالا عسكرياً .

القرار الثاني . نطلب من السلطات العمومية اجراء استفتاء تحت رقابة جمعية الامم في شكل الدولة التي يريدها السوريون في المستقبل . وان يعمل هذا الاستفتاء في فلسطين ، التي تعد جزءاً من الوحدة السورية . وانه ريثما يجرى هذا الاستفتاء تصدر فرنسا منشوراً بالغاء رقابة المطبوعات والتجسس

(السكرتير العام)　　　(الرئيس)

يتذكر القارىء كلامى في التجسس في صفحة ١٠٣ — ١٠٦ من هذا الكتاب . فترى ان لي شركاء في هذا الشعور النزيه المجرد عن كل هوى . فان جمعية حقوق الانسان ليست عدواً لفرنسا ، بل هي فرنسية . وما كتبته بهذا الشأن أملاه عليها الاخلاص . وهي تغار على مصلحة فرنسا وشرفها ، كما يغار كل صديق نزيه .

فالجاسوسية عيب وعار ، لا يرغب فيها انسان شريف النفس سليم الاخلاق .

ثالثاً : احتجاج جمعية الدفاع عن حقوق لبنان بمصر

في مصر جمعية لبنانية ، فرنسية الميل ، باباوية الاعضاء ، نزيهة المقاصد ، سامية المطالب . « وهي تدعى جمعية الدفاع عن حقوق لبنان » . رئيس هذه الجمعية عبد الله باشا صفير . وقد عرف أعضاؤها بحب فرنسا ، حباً خالياً من كل شائبة . وليس أحد من اعضاء هذه الجمعية ، على ما أعلم ، يرمى الى انتفاع شخصي من وراء مساعيهم السياسية ، بل كلهم يرمون الى المصلحة العامة ، مجرداً عن كل غرض نفساني . واليك احتجاجهم .

احتجاج لجنة الدفاع عن حقوق لبنان

لجناب مسيو جايار المفوض السامي والوكيل السياسي الفرنسي بمصر

يا جناب الوزير

نحن الموقعين أسماءنا على هذا ، اعضاء لجنة الدفاع عن حقوق لبنان الكبير ، نتشرف بان نعرض عليكم ما يأتى : —

ليس بخاف على جنابكم ان لجنتنا خلفت اللجنة اللبنانية السورية بعد انحلالها . وهي التى تألفت فى الحرب وطلبت انتداب فرنسا لسورية ولبنان

وغرض لجنتنا السعي ايتم للبنان تحقيق الوعود التي جاهر بها الحلفاء عموما وفرنسا خصوصاً . ولذلك . ولذلك سبق لنا ان قدمنا لكم بروغرامنا في يوليو سنة ١٩٢٠ وفيه

١ اعلان استقلال لبنان
٢ اعادة أراضيه المغتصبة
٣ انتخاب جمعية وطنية تأسيسية
٤ تحديد موقف وعمل رجال الانتداب

وقد اطلعنا فخامة مندوب الجمهورية الفرنسية السامي في سورية ولبنان ، الجنرال غورو على هذا البروغرام بواسطة جنابكم . وبتنا ننتظر منه تحقيق الامل بملء الثقة وفي شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٢٠ انشأ فخامته دولة لبنان الكبير وأعلن استقلالها . ولكنه عين الحاكم الاعلى للدولة الجديدة فرنسياً . فكان هذا التعيين خروجاً عن مبدأ الانتداب ، ومساساً باستقلال لبنان ، من حيث حقه ان تكون ادارته وطنية صرفة

وكان الجواب على ما بدا يومئذ من الشكايات ان ذلك تعيين موقت سيزول بعد انتخاب الجمعية اللبنانية . فما كان أشد دهشتنا اذ فوجئنا باذاعة قانون أساسي أعدته سلطة الانتداب من دون استشارة أي كان من عناصر الامة اللبنانية ؟ . وأوجدت فيه مجلساً لبنانياً ليس له على العموم الا اختصاصات استشارية . اما السلطة فحصورة بموجب هذا القانون في يد الحاكم الفرنسي ، وفي يد المندوب السامي . مع ان التصريح الذى أذاعته الدولتان ، الفرنسية والبريطانية ، فى ٨ نوفبر(٢ ت) ١٩١٨ واضح ، لايحتمل

تأويلا وهو : ـ ان هاتين الدولتين تتحاشيان اخضاعهم (السوريين واللبنانيين) لشيء من الانظمة الغريبة عنهم ولا يكون لهم هم إلا بتسهيل عمل الحكومات التي اختاروها بحريتهم لانفسهم » . فكان هذا القانون نقضاً صريحاً لهذا التصريح الرسمي

ومن نتائج هذا القانون الحط من منزلة لبنان قهراً ، الى صف البلدان التي من درجة ب في ترتيب جمعية الامم . وهي الدرجة التي يحق للدولة المنتدبة ان تديرها على ان تستشير الاهالي فقط . فالموقف مخالف تماماً لنص البند الثاني والعشرين من جمعية الامم وهذا نصه : — ان بعض الجماعات التي كانت خاضعة للدولة العثمانية قد بلغت من الرقي مبلغاً يمكن معه ان يعترف لها موقتاً انها أمم مستقلة على شرط ان يرشدها في سبيل ادارتها ، وان يعينها عليها دولة منتدبة الى ان تتمكن من السير وحدها ، وعملا بهذا البند قد جعل مجلس جمعية الامم لبنان وسورية في درجة الحرف أ وقررا ان يكون الانتداب لهاتين البلادين قاصراً على مجرد الشورى والارشاد دون ان يمس سلطة الحكومة المحلية بشيء . ثم ان مسيو ريمون بوانكاره رئيس مجلس وزراء فرنسا شرح بكل وضوح غرض الانتداب في مجلة العالمين الصادرة في أول يناير (٢ ت) ١٩٢١ قائلا : ـ لسنا في الشرق لضم أراض وبسط حماية . بل نحن فيه بموجب انتداب عهد الينا من جمعيه الامم ، ورب قائل ان ذلك مجرد ظواهر ، واننا سادة البلاد . كلا ثم كلا . فان مجلس جمعية الامم تنفيذاً للبند ٢٢ حدد ثلاث رتب ـ ا ٠ ب ٠ ج ـ فيدخل في الحرف ـ ا ـ انتدابنا في سورية ولبنان » : ونضيف الى ان

هذا القانون يخالف أيضاً المطالب التي عبر عنها باسم اللبنانيين ، الوفد اللبناني الثاني ، الذي رأسه البطريرك الماروني حين طلب انتداب فرنسا بمذكرته لمؤتمر الصلح في ٢٧ اكتوبر (١ ت) ١٩١٩ وهذا نص المذكرة . –

« ان استقلال لبنان مؤيد على ما فيه من النقص بنظامه الاساسي الذي أنشيء سنة ١٨٦١ . وعليه فالوفد اللبناني يرى انه اذا كان الغرض من تقرير الانتداب التسهيل على الشعوب المقصودة به سبيل الوصول الى السيادة الوطنيــة المطلقة من أقرب الطرق ، وأسلمها عاقبة ، كما يتضح من نص المادة ٢٢ من عهدة جمعية الامم فلبنان بعد ان خبر ستين سنة شكل الانتداب الدولي ، ونمى تربيته السياسيه ، صار يحق له ان يكون اليوم ذا استقلال مطلق . فاللبنانيون بطلبهم الانتداب الفرنسي يعتقدون اعتقاداً راسخاً ان فرنسا ، بما عرفت به عن سعة الصدر والشهامة لا تقتصر على احترام استقلالهم . بل انها تعززه وتدافع عنــه . وهم يعتقدون ايضاً انها ستحترم كرامتهم وحكومتهم وارادتهم التي يرغبون في بقائها لبنانية صرفة . وانها ستجيء لبنان جيئة المرشد والصديق . وتهتم باعلاء الشعور الوطني بتركها شؤون تنظيم الحكومة والادارة والقضاء في أيدي اللبنانيين . ويعتقد اللبنانيون أيضاً ان فرنسا أبعد من تفرق بينهم ، وانها سوف لا تدخر وسعاً لتأليف الوحدة الوطنيــة بين طوائف لبنان المختلفة . وانها تساعد على احترام كل أنواع الحرية بواسطة نظام ديموقراطي يكون فيه للمجلس المنتخب كل اختصاصات المجالس النيابية في البلدان الغربية » .

« فيظهر جلياً من كل هذه النصوص ان وجود حكومة وطنية شرط ضروري للقيام بالانتداب من درجة - ا - . ويستلزم ذلك وجود مجلس نيابي منتخب ، له حق الاشراف على الحكومة . اما الطريقة التي تتبعها السلطات الفرنسية في لبنان الآن فمخالفة تماماً لهذه المادة . وهي أقرب الى طريقة الحكم في مستعمرة منها في بلد مستقل . وذلك لان الحاكم الفرنسي معفى لكونه فرنسياً من المشورات والاشراف التي يكون الحاكم الوطني مقيداً بها . فيتحمل هو نفسه المسؤولية تجاه المندوب السامي الذى لا يسعه إلا الاعتماد على مشوراته . ثم ان هذا الحاكم ليس تجاهه مجلس تمثيلي له حق الاشراف على أعماله . فينتهي به الامر الى الاستقلال في العمل استقلالا تاماً . ويترتب على ذلك أن رجال الانتداب في لبنان يعدون الحاكم الفرنسي مرجعاً لهم ، ويقاسمونه السلطة مسيطرين على الموظفين اللبنانيين غير مكترثين لهم

ونحن نرى أن الجنرال غورو نظم حكومات سورية تنظيما مطابقاً لقوانين الانتداب . فكان ذلك مؤديا بنا الى هذا الموقف . وهو ان الولايات السورية التي كانت مستعبدة صارت الآن حرة . ولبنان الذي كان حراً صار الآن مستعبداً . وهذا الحرمان كاف وحده ليزيل من قلوب اللبنانيين أهم وأمتن دافع لهم منذ القديم الى التعلق بفرنسا

حاشية - هذا اعتراف صريح من لبناني صميم بلسان جمعية لبنانية شريفة ، ان تصرف الانتداب افقد فرنسا محبة اللبنانيين أنفسهم .

« اذ لا شيء من جميع أعمالها وصفاتها يستوي في نظرهم متى فقدوا من استقلالهم .

نستأذنكم يا جناب الوزير ، بان نعبر لكم عن ألم الخيبة الالم الذي أحدثته في نفوسنا اذاعة هذا القانون الذي جاء قاضياً على الآمال التي أعرب عنها الوفد اللبناني في شهامة فرنسا وصدقها .
ونطلب بكل الحاح الغاء النظام المتبع الآن في لبنان ، وابداله بنظام آخر يطابق حقوقه التاريخية ... بانشاء حكومة وطنية وايلاء المجلس اللبناني الصلاحيات التي يقتضيها استقلال لبنان . ونؤمل ان ثقتنا في عدل حكومة الجمهورية لن يخيب . وان جناب رئيس الوزارة الفرنسية ، ووزير خارجيتها ، الذي نرفع اليه شكوانا هذه يحتم بتنفيذ قوانين الانتداب على ما فرضها هو نفسه بالتدقيق التام .
وعليه يا جناب الوزير نرجو أن تتكرموا بتبليغ عريضتنا هذه للادارة الخارجية . وتقبلوا احترامنا

عن لجنة الدفاع
عن حقوق لبنان

نائب رئيس	كاتب	رئيس
فريد بابازوغلي	أسعد عطيه	عبد الله صفير

موقف نامل : يا فخامة المفوض السامي ، مسيو بونسو

لم يمس قلبي ، في مطالعاتي مدة خمسين عاماً ، كلام قط أكثر من هذا الاحتجاج . ولا سيا القرار الذي قدمه الوفد اللبناني لمؤتمر فرساي .

واني استغرب ، الف ضعف استغرابك ان سورية حاربت فرنسا . استغرب كيف أمكن مسيو جابار ، ومسيو بوانكاره . ومسيو بريان ، ومسيو كليمانصو ، ورجالات فرنسا الكبراء ، ان تتحمل نفوسهم هذه النصوص التي تمس حبة الفؤاد . وتمزق الجيوب ، مع ما في الدم الفرنسي من الحماسة والحياة . فالانسانية مهما تحط وتتقيد لا تقوى على احتمال مثل هذه الشعورات . أخص بالذكر ٤ نقاط

الاولى : ثقة اللبنانيين بشرف فرنسا وشهامتها . حتى انهم ضحوا على مذبح تلك الثقة استقلالهم وحريتهم

الثانية : وعد فرنسا الرسمي الواضح انها تحترم حرية هذا الشعب .

الثالثة : تقرير جمعية الامم ، وفيها أكبر رجالات فرنسا ، أهلية اللبنانيين

الرابعة : ماذا كان من شهامة فرنسا وعزة نفسها بعد كل ذلك ؟ . هل حققت ثقة اللبنانيين ؟ .

بأسف نسمع صيحات اللبنانيين المخلصين ان « آمالهم خابت » بوفاء فرنسا . لانها عبثت بحريتهم ، وداست حقوقهم ، وقتلت دستورهم ، واستعبدتهم . فقتلت أعظم حب في قلوب أخلص اصدقائها .

قد يظن فخامة المفوض اني أتحامل على فرنسا : استغفر الله وما الحاجة الى التحامل ، ولو اني رمت منها مقتلا فمقاتلها أوفر عدداً من شعر رؤوس أبنائها . انما يتحامل صاحب الغرض على

خصمه حين لا يجد له فيه موجباً للوقيعة والملام . وليس أحد في الارض يحاول ان ينقب صفاة . لان فيهما من الذنوب ما لا يبقى زيادة لمستزيد . فالزعم ان التحامل على فرنسا يبقى اني في احتياج الى مستندات في تبيان خطيئاتها .

فليفتكر قرائي في هذا الشيء الواحد فيكفيه وهو ان كلام لجنة الدفاع الرقيق الحكيم المتين الحجة . العذب المذاق المسبوك في ألطف صور التحنان والصراحة الودية ، حتى انه لو رفع الى أرملة فقيرة ، بل الى قطاع الطرق ، لجادوا بالارواح في سبيل كاتبيه . ولم يرم هذا الاحتجاج الى نيل مطالب بطريق التسول . ولم يبغ ما ليس له . كلا . بل طلب حقاً غمطته فرنسا بصورة منكرة وشكل معيب . طالباً حقاً مقرراً أعترفت هي به للسوريين شفاهاً وكتابة رسمياً وغير رسمي . وقد عرفته وسلمت به الدول في كل الارض . وكان شرف فرنسا ومصلحتها والوجدان الحر يقضي باجابة اللجنة الى ما طلبت . ولكن بكل أسف لم تسمع فرنسا ولم تلب طلب أحبائها المخلصين . فمرت سنة ١٩٢٢ و١٩٢٣ و١٩٢٤ و ١٢٩٥ ولم تبد فرنسا أقل ميل الى احبائها الثقات ، أو أقل ميل لانصافهم فكانت ثقة اللبنانيين بفرنسا وحبهم اياها مقيسين بظلمها اياهم واستهانتها بحقوقهم . ظلت فرنسا على هذا الحال حتى رفع الدروز والشوام أعلام الثورة . واخترق رصاصهم علمها المثلث ، بل مزقوا أوصال جنودها ، وردوا ميشو واخوانه على اعقابهم وانتزعوا من فرنسا كل البلاد . من حدود نجد الى ابواب حمص ولبنان الصغير . عند ئذ لانت عريكة فرنسا وعرفت للبنان شيئاً من

الحق عليها . ففهم السوريون ان فرنسا لا تفهم ، ولا تنصف ، لغير القوة القاهرة . وانما تحتقر المحبة والولاء ، وتهزأ بالثقة والاخلاص — هكذا رأوا — فجاءوا يخاطبونها باللغة التي تفهمها لغة الحديد والنار

وهنا جواب مسيو بونسو . فانه يتعجب كيف حاربت سورية فرنسا . وجوابي على ذلك انكم أرغمتموها على ركوب هذا المركب الخشن .

لا أزال يا فخامة المفوض في معرض البرهان . فأورد لكم الادلة المحسوسة على صحة ما أقول .

ولئلا ابعد شاهدي أورد هنا قرار حزب الدفاع عن حرية لبنان . وهو الوارد على الصفحة التالية وما بعدها : —



« لبنان وفرنسا »

مصر في ١٦ ـ ت ٢ سنة ١٩٢٤

« كان مؤسسو حزبنا — الدفاع عن لبنان — قد عرضوا في تموز سنة ١٩٢٠ على ذوى السلطة الفرنسية البرنامج المحتوى على المطالبة الآتية مستندة الى نص المادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ، والى التصريح المشترك الصادر من انكلترا وفرنسا ، والى وعود فرنسا .

١ استقلال لبنان

٢ توسيعه حتى يعود الى حدوده الطبيعية القديمة

٣ انتخاب جمعية مؤسسة تقوم لسن القانون الاساسي طبقاً للمبادىء الديموقراطية

٤ تحديد اختصاص رجال الانتداب ، وعملهم بموجب اتفاق يعقد بين السلطة المنتدبة والحكومة المحلية طبقاً للمادة ٢٢ من قانون لجنة الانتداب فى جمعية الامم .

وقد وافق رئيس جمهورية فرنسا على كل ما تقدم . ولما تألفت لجنة الحزب الحالية للعمل على تحقيقه وتنفيذه . بيد انه لم يلبث ان حدث في شهر ايلول سنة ١٩٢٠ ما جاء مخالفاً لهذا البرنامج بتعيين حاكم فرنسي على دولة لبنان الكبير . وقد أكد المفوض السامى آنئذ ان ذلك ترتيب موقت ريثما يتم انتخاب المجلس النيابي . تلا ذلك في اذار سنة ١٩٢٢ قرار المفوضية السامية ببيروت — موقع

بامضاء مسيو « روبير دي كاي » سكرتير المفوضية العام ، الصحافي الاستعماري سابقاً ، خص المندوب السامي بسلطة مطلقة في الادارة وفي التشريع ، يعاونه حكم خاضع لسلطته ، مشارك له في اختصاصه . وانشيء بموجب هذا القرار نفسه ، مجلس نيابي ذو صفة استشارية ، إلا في بعض الامور التافهة ، التي ترك له حق البت فيها نهائياً . وكان مما تقدم اقامة الحكم المباشر على الطريقة الاستعمارية ، وخرق صريح للمبادىء المقررة في مادة ٢٢ من عهد جمعية الامم ، ونكث علني للوعود المقررة . فبادرت اللجنة الى رفع احتجاج شديد على ذلك الى وزارة الخارجية بواسطة السفارة في مصر .

ثم واصلنا السعي والجهاد الجدي في باريس لحمل السلطة على العودة الى مبادىء الانتداب والعمل بها .

وقد حدثت مناقشة في مجلس الشيوخ الفرنسي سنة ١٩٢٣ بشأن الانتداب وموضوعه . عرف بها مسيو لوسان هوبير (وكيل لجنة الامور الخارجية ومقرر ميزانية سورية ولبنان) الانتداب تعريفاً حكيما جلياً ، وافقه عليه مسيو بوانكاره ، رئيس مجلس الوزراء نفسه . وقد جاءت التصريحات يومئذ موافقة بجوهرها مطالب اللبنانيين

١ سيادة لبنان وسورية ٢ انشاء حكومة وطنية ذات سلطة في الادارة والتدبير ٣ تخويل المجالس الوطنية المنتخبة حق التشريع

٤ تحديد اختصاص رجال الانتداب

بيد انه ارتفع في المجلس في اثناء المناقشة صوت معارض ، فان المسيو دومنك دي « لا هي » أحد شيوخ المحافظين من حزب اليمين أبى الاعتراف بالعهود التي قطعتها فرنسا على نفسها لاجل تنفيذ الانتداب على حقيقته ، وأيدها حضرة رئيس الوزارة نفسه بقوله « انها نتيجة لازمة لمعاهدة فرساي ولسائر المعاهدة التي أبرمها مجلس النواب (الجريدة الرسمية في ٢١ حزيران سنة ١٩٢٣ صفحة ٩٣٦ عمود أول) . اما مسيو « لا هي » فأنكر عليها ذلك وجهر بوجوب الجري على سياسة فرنسا في سورية فحسب . وانه لا يصح ان تعدل فرنسا هناك عن سياستها التقليدية يرمي بذلك الى استعادة حكم الفرنج في سورية كما كان في عهد الصليبيين . فهو يحاول ان يربط الحاضر بماضي مرت عليه سبعة قرون ، منتحلا لزعمه ما ينتحله الصهيونيون في فلسطين ، من الحجج لاستعادة حقوق كانت لهم قبل الفي سنة .

يتجاهل مسيو « لا هي » تطورات الاجيال والمبادىء التي قررتها ثورة الفرنسية العظمى ثم ذلك العامل الخطير الذي أوضح مسيو ... هوبير انه قد نشأ عن الصالح وقلب التقاليد وبدل التاريخ والاوراق وبدل ذلك بكلمة حديثة العهد في لغة السياسة ، حضرية الدلول يقال لها « الانتداب » .

على ان هذا الصوت المعارض ذهب ذهاب الريح بسبب اجماع تلك الهيئة على تأييد مسيو هوبير في تعريفه الانتداب ، ووافقه حضرة رئيس الوزارة ، الذي بلغ منه التمسك بذلك حداً أنكر فيه على مجلس الشيوخ نفسه حق البحث في ميزانيات الحكومة السورية

واللبنانية . لان فرنسا ليست هناك في بلد من ممتلكاتها أو تحت حمايتها » صفحة ٩٣٧ عمود أول . بيد ان هذا الاجتماع لم يحل دون انتصار مذهب الشيخ المحافظ عند الانتقال من حيز القول الى حيز الفعل . لان مسيو بوانكاره صرح في ١٥ت٢ الحالي امام مجلس النواب تصريحاً فسره الطان في ٧ ت انه يقصد منه اقرار النظام الذي وضع بقرار في اذار ١٩٢٢ واحلاله محل النظام الذي يقضي به صك الانتداب (وقد صار نافذاً منذ ٢٩ ايلول الماضي بالاتفاق مع السلطات الوطنية ، ويكون مطابقاً لرغائب الاهالي . ان هذا النقض الصريح المتعمد لصك الانتداب انما هو تأييد لمبدأ التحكم بالبلاد . وتقرير للسلطة المطلقة التي حفظتها ممثل الدولة الفرنسية لنفسه . فاصبح بها في واقع الامر الحاكم العام ، والسيد المطلق في كل بلاد الانتداب . وترتب على ذلك ان هذه البلاد مع حرمانها من حكومة وطنية وايجاد مجلس استشاري مما لا فائدة منه سوى ستر الاعمال الاستبدادية . ومع حرمانها من جهة أخرى من مزايا ، وأثبتها البرلمان الفرنسي استناداً الى انها ليست البلاد المملوكة لفرنسا ، ولا تحت وصايتها ، قد أصبحت كأنها البلاد التي لا مالك لها وتسري عليها قوانين البلاد الاخرى . فيسوغ لاي موظف الاستئثار بالحكم فيها كما يشاء تحت ستار من الاوهام والمدعيات الفارغة . وليس علينا سوى ان نبحث عن الاسباب التي حملت الحكومة الفرنسية على الرجوع القهقرى سبعة اجيال ، وتفضيل مذهب مسيو دي لاهي وحزبه في مجلس الشيوخ من بعد ان كان رئيسها قد جاهر ان هذا الحزب ليس هو فرنسا وليدة الثورة ،

التي نادت بحقوق الانسان .

وعليه فان ثقتنا لم تتزعزع ، ولا تزال قوية بفرنسا . هـذه هي الحقيقة التي تمثلها أكثرية الاحرار في مجلس النواب ، والى هذه الهيئة الكريمة التجأت اللجنة والتمست منها السعي لدى الحكومة لتطبيق الانتـداب تطبيقاً عادلا يتفق مع معنـاه ، ومنع المصادقة النهائية على القانون الحالي . وهذا هو نص الالتماس .

لرئيسي المجلسين ، ورئيس لجنتي الامور الخارجية في المجلسين ورئيس اللجنة الفرعية لشؤون الشرق في مجلس النواب .

باريس في ٣ ت ١٩٢٣

يا حضرة الرئيس

في ١٩ حزيران الماضي بسط بطريقـة جلية حضرة مسيو لوسيان هوبير عضو مجلس الشيوخ ، ومقرر ميزانيـة الوزارة الخارجية لدى المجلس المشار اليه ، والى الانتداب الذي نالته فرنسا على سورية ولبنان وغرضه . وقد وافق رئيس الوزارة على كلامـه في هذا الموضوع وأيده . فعلق عليه سكان البلاد الآمال

قرر مسيو هوبير ان مهمة فرنسا ليست تولي الحكم بنفسها في سورية . بل تعليم السوريين مزاولة الحكم بانفسهم . وعقب على ذلك بقوله يجب ان نترك للمجالس الوطنية حق تقرير الامور مع الاحتفاظ للمفوض السامي بحق المعارضة والتعديل في بعض الاحوال ولا ينبغي ان يكون في سورية وصي ولا هيئـة تتلقى ارشاداته

وأجاب رئيس الوزاره على ذلك بقوله . أجل ان الانتـداب نوع من المراقبة ، تشرف بها فرنسا على الشعوب السورية ، وليس

الانتداب ضماً . وهذا لا حاجة الى التصريح به لانه مفهوم ، ولا حماية ، ولا أية طريقة للحكم تشبه الحماية . فكانت هذه التصريحات منطبقة على مبادىء الانتداب . ولكن لسوء الحظ جاءت تصريحات رئيس الوزارة بمجلس النواب في ١٥ ت ٢ هادمة تلك الآمال . وقد أسهبت في التعليق عليها جريدة الطان الشبيهة بالرسمية في عددها الصادر في ١٧ منه عما يؤيدها و يزيدها تأكيداً فالبند الاول في صك الانتداب ، الذي أصبح معمولا به منذ ٢٩ ايلول الماضي ينص بان على الدولة المنتدبة ان تضع في مدى ثلاث سنين ، بالاشتراك مع الحكومة الوطنية ، نظاماً أساسياً تراعي فيه أماني الاهالي إلا ان جناب رئيس الوزارة قد صرح ان هذا القانون قد وضع موضع الاجراء من قبل . ونشرت ذلك جريدة الطان عن حقيقة الانتداب ، التي قررها مجلس الشيوخ ، مع موافقة جناب رئيس الوزارة عليها ، والتي لا يجوز أن يكون الانتداب بمقتضاها سوى مراقبة تشرف بها فرنسا على الشعوب السورية واللبنانية ، فضلا عن ان هذه الخطة مخالفة لمنطوق صك الانتداب وخالية من كل مراعاة لاحتجاجات ذوي الشأن . ولذلك يحق لنا القول ان فرنسا بطلبها من جمعية الامم الموافقة على القانون الآنف الذكر على منهج لا يتفق مع روح المبادىء الديموقراطية وهو سيؤدي بلا شك الى نتائج وخيمة .

ان هذا التحدي لبلاد الانتداب سيقابل دون شك بصلابة الحزم وصادق العزيمة . وها ان سكان دمشق قد أعلنوا مقتهم للطريقة الحالية ، خلافاً لما ابلغ البرلمان الشعب الفرنسي عنه ،

وقاطعوا الانتخابات التي جرت في شهر ١ ت الماضي المجلس المؤلف طبق الطريقة التي وضعها القانون الاساسي المزعوم. فدمشق وحمص اقفلتا أكثر حوانيتها، والمحل العمومية عدة أيام متوالية مجاهرتين بالاحتجاج. فاضطرت الحكومة لرقابة الناخبين القليلي العدد الذين حضروا للانتخابات حتى ان مجلس دولة دمشق نفسه المنتخب في تلك الاحوال، والذي لا ريب في ولائه للانتداب قد أجاب على الخطاب الافتتاحي الذي ألقاه مندوب المفوض السامي بما يلي: —

ان الامة السورية كانت ترجو أن يكون لها حظها من الحكم الذاتي، أوفر مما يصرح لها به قانون الانتخاب. وقانون صلاحية المجلس النيابي. فلقد جاءت هذه القوانين مخالفة رغائب الامة من حيث الوحدة السورية والسيادة القومية.

وكان ذلك سبباً في الاستياء الذي ظهرت بوادره في دمشق خاصة. ان المجلس يتوقع من دولتكم أن تعاونوه بصورة جدية لتحقيق مطالبه وتمنياته التي تؤيد رغائب الامة المشروعة وهو يرى اعماله ضمن حدود الصلاحية الممنوحة له ستبقى عقيمة. واذا طال الامر على حصره ضمن الحدود الضيقة فان القنوط يستولي على نفوس أعضائه ويسود الاستياء بين جميع طبقات الشعب

هذه هي الحقيقة التي لم تنفك عن المجاهرة بها منذ اعلان النظام الجديد. وقد جئنا الى باريس لكي نذكرها بها. ورب معترض يقول ان لا صلاحية لنا للقيام بذلك. ولكن ما عساه ان يعترض على مطالب مجلس تمثيلي ليس فيه إلا غلاة أنصار الانتداب

الفرنسي ، الذي لم يؤلف إلا بانتخاب فريق معدود من المريدين الذين استهدفوا بهذا الانتخاب لسخط مواطنيهم .

هذا ولقد جرى في المجلس التمثيلي بلبنان الكبير حادثة مكدرة بخصوص قانونه الاساسي سنة ١٩٢٢ ، على أثر موافقة مجلس جمعية الامم على نص صك الانتداب — ولكن قبل صدوره — طلبت هذه المفوضية العليا من المجلس ان يوافق على استخدام طائفة من المأمورين الفرنسيين » وأن يكون ذلك على شكل اتفاقية معقودة بين الطرفين . ولما أبدى المجلس رغبة في الاطلاع على نص الصك الرسمي ، وعدوه بانهم يبلغونه اياه حالما يصل اليهم . وعلى ذلك أرجيء البحث في الامر الى فرصة أخرى . حتى اذا كان شهر آب الماضي بلغ هذا النص الى الحاكم ، ولم يبلغ الى المجلس . فاقترح أحد الاعضاء في جلسات ذلك الدور المناقشة فيه . الا ان مندوب المفوض السامي ، الذي كان حاضراً معهم ، منعهم من ذلك بحجة ان نظام المجلس كان يخصص جلسات ذلك الدور بالبحث في الميزانية فاحتج بعض الاعضاء على ذلك المنع ، وسألوا هل وصل الحكومة النص الرسمي ، الذي وعدوا به في السنة الماضيه أولا ؟ . ومتى تحيله الحكومة الى المجلس ؟ . فلم يعط جوابا .

فيتضح ، والحالة هذه ، ان المفوضية لا تنوي ان تفاوض المجلس في شأن القانون الاساسي . وان مقالة الطان المفسرة لتصريح جناب مسيو بوانكاره ، قد جاءت مثبتة هذا الامر . ولولا ذلك لسهل عليها أن تعد المجلس بانها ستبلغه ذلك القانون فيما بعد

ففي هذه الحالة لا يبقى للبلاد الخاضعة للانتداب من وسيلة الا

الالتجاء الى تلك الهيئة . ومما لا مشاحة فيه ان موقف الفريقين
نظراً الى الحق والعدل على تباين واضح والدليل على ذلك ما يأتي
ان فرنسا بركونها الى شهادة عمالها تزعم ان أهل البلاد قوم
متقهقرون . لانهم خالون من الشعور الوطني . فلا سبيل والحالة
هذه الى تخويلهم الانتفاع بالبند الاول من صك الانتداب

الا ان السوريين واللبنانيين يردون التهمة بشهادة جمعية الامم
نفسها التي عرفت لهم من التقدم في الحضارة ما جعلها تنظم بلادهم
في رتبة — ١ — اعترافاً لهم بالمقدرة . اما اللبنانيون فانهم فضلا
عن ذلك يدلون لاثبات حقهم في السيادة بالحجج الآتية :

١ الشروط التي بموجبها طلبوا انتداب فرنسا على بلادهم ، على
ما هو مبين بوضوح في المذكرة التي قدمها لمجلس الصلح الوفد
اللبناني سنة ١٩١٩ برئاسة غبطة البطريرك الماروني المفوض من
سكان لبنان الكبير .

٢ ما كانوا عليه قبل الحرب رمز الاستقلال الاداري المعترف به
من الدول المعظمة . وقد كانت فرنسا أشد أنصاره بحمايتها لتلك
الامتيازات التي يحاول عمالها الآن القضاء عليها

٣ البروغرام الذى وافق عليه ممثل فرنسا الجنرال غورو في
شهر تموز ١٩٢٠ وهو يتضمن انتخاب جمعية تأسيسية تضع بالاتفاق
مع تخامنه قانونا اساسياً مبنياً على المبادىء الديموقراطية الدستورية
وتحدد فيه اختصاصات رجال الانتداب . وهذا البروغرام هو
الذي طلبت جمعيتنا وضعه موضع الاجراء . وكلا الفريقين من
سورية ولبنان يستند الى وعود الحلفاء المكررة ، ولا سيما فرنسا

وهم يستندون أيضاً الى المنهج الذى تسير عليه انكلترا فى العراق باعترافها بسيادة هذه البلاد، وبحقها في ان يكون لها ممثلون فى الخارج، وبان تنظم فى جمعية الامم .

وقد نشر مشروع القانون الاساسى الذي سيعرض على الجمعية المؤسسة فى جمعية الامم . وهو ينص على تأليف مملكة دستورية ووزارة مسؤولة لدي مجلس نواب يتألف من عشرين عضواً . فيتضح من ذلك الفرق العظيم بين طريقة الحكم التي حتمتها فرنسا على سورية ولبنان وبين الطريقة التي سلكت بها انكلترا المملكة العراق .

أيجوز بعد ذلك ان يرى السوريون واللبنانيون بالجهل والتقهقر بالعالم طراً يعترف لهم بالتفوق حضارة على سكان العراق قد يلحأ ذوو الغايات الى محاولات أخرى، بيد ان كل فصاحة التقارير الرسمية والمقالات الموحى بها في الجرائد لا يمكنها ان تموه الحقيقة على مجلس غيور على كرامته، وعلى شرفه، كجمعية الامم .

يرون هؤلاء أن يستندوا الى شروط الانتداب في فلسطين معرضين عن العراق ليشوهوا الانتداب المقرر لسورية ولبنان . ولكنه لا يوجد أقل مشابهة بين تينك المنطقتين . ففلسطين محكوم عليها بقبول المهاجرين من جميع الامم ليستوطنوها، ويكتسبوا بها حق المساواة لسكانها الاصليين في الحقوق . اما سورية ولبنان فليست هذه حالتها .

ثم ان البند الاول من صك الانتداب لفلسطين يتحول بصورة

قاميـة الدولة المنتـدبة حق الادارة والتشريع . اما الانتـداب السوري اللبناني فانه بعكس ذلك منصوص فيه وضع قانون أساسي يمكن الاهالي من تولي شؤونهم بانفسهم بمساعدة الدولة المنتدبة وفقاً لمضمون البند الثاني والعشرين من عهد جمعية الامم ، وتصريحات الحليفتين المشتركة الصادرة ٢ ت ١٩١٨

اما عمال الانتداب فانهم لا ينفكون عن تحريك المقاومة التي يتهمون بها السوريين واللبنانيين ، زاعمين ان هؤلاء يناهضون الانتداب الفرنسي كلما اعترضوا على شيء من الاجراءات المخالفة لروح الانتداب . وهم ينسبون ذلك حتى الى أشد الناس اخلاصاً وصداقة لفرنسا . على ان الحقيقة هي ان الانتداب لا دخل له في شيء مما تقدم . واذا كان ثمة استياء فليس إلا من المنهج الذي يجرون عليه .

ولعمر الحق ان مثل هـذه الحال لا يمكن أن تدوم دون أن يجر فرنسا الى تضحيات متواصلة ، ودون أن يزعزع مركزها في الشرق ويعرضه لنوازيء الاحوال . أجل انها قادرة على المحافظة عليه إلا ان استياء الاهلين الذى تستفيد منه البلدان المجاورة يضطرها ان تبقي جيشاً محارباً كبيراً حذار ما تستهدف له من الاستمرار القلق الحاضر وفقدان الثقة في المستقبل مع ما يصحب ذلك من المخاطر والمحاذير . فنواب الامـة الفرنسيـة لا يسعهم والحالة هذه أن يظلوا غير مكترثين لهذه الامور . وقد سبق للبرلمان ان طلب اجراء تحقيق عن الادارة العسكرية في سورية ولبنان . وكان من وراء ذلك تخفيف اعباء الامة الفرنسية . أفلا يرون الآن

ان قد حان اجراء مثل هذا التحقيق عن الادارة ؟ . وهذا التحقيق يكون لغايتين . الاولى البحث عن حاجة الادارة الحقيقية الى طائفة المأمورين والى نفقات الميزانية سواء أكانت هذه النفقات تدفع من الخزينة الفرنسية أم من خزينة البلاد . الثانية التنقيب عن أفضل وسيلة يحسن بها التذرع لتنفيذ الانتداب على وجه يحقق اماني الاهالي دون أن يجحف بمصالح فرنسا . ويجب أن يجريه فريق من أعضاء البرلمان ونخبة من الموظفين الذين ينكرون مناهج التوسع والاستعمار التي نشرها الحلفاء على أثر هذه الحرب الاخيرة ويجرى ذلك بالاتفاق مع ممثلين ذوى صلاحية ينوبون عن الاهلين .

ولا يرجى حدوث أدنى تغيير فى الطريقه الحالية بعمل فرد من أفراد الموظفين لما يجره ذلك من المسؤولية التي لا يشار على أحد حمل اعبائها . فالوزارة تلقي المسألة على عاتق المفوض السامى وهذا لا مناص له من التعويل على أعوانه ، وهؤلاء متمسكون بخطة تعزز لهم سلطتهم المطلقة على البلاد ، وتمكنهم من المحافظة على مناصبهم . ولذلك يصورون للحكومة ان الامور تؤول الى اسوإ مصير ان هي أظهرت ميلها الى منح الاهلين الحرية والا تمهم على أمانيهم . على ان الحقيقة ان هذا المصير السيء يخشى من الوصول اليه اذا ظلت الحكومة مصغية لسماع أقوال هؤلاء الاعوان .

وعليه فان تدخل البرلمان دون سواه من شأنه أن يحمل الحكومة على تحمل المسؤولية بما يؤيدها من مراقبته وتعضيده . وانما ريثما يتم ذلك من المهم أن يحال دون حدوث مشاكل لا مفر

منها اذا أصمت الحكومة الفرنسية أذنيها عن صوت الاهالي في الدفاع عن حقوقهم التي قدسها الانتداب . وضربت باحتجاجاتهم عرض الحائط بتصميمها على استبدال القانون الاساسي بالنظام الحالي ورفعها اياه الى جمعية الامم للمصادقة عليه .

فمن شأن البرلمان الفرنسي التدخل لدى الحكومة لاجل وضع حد لهذه الحالة . ان في تدخله أملنا الوحيد والا خير بفرنسا

عبد الله صفير

رئيس جمعية الدفاع عن حقوق لبنان

هذا هو القرار الذي رفعه عبد الله باشا صفير اللبناني ، الى دولة فرنسا . وهو أهم من مجلد برمته . ولا سيما انه صادر من أصدقاء حميمين لفرنسا . ولئلا أشوه محاسنه اتركه بدون أدنى تعليق أو شرح . وأثبته في كتابي هذا أثراً — بل تحفة من تحف الدهر — شاهداً بعدالة اللبنانيين ، وخطيئة فرنسا .

قال لبناني آخر تحت عنوان : ماذا عمل الفرنسيون في سورية وجوابه على هذا السؤال ما بعضه . —

١ سنوا قانون الدين .... أن تدفع الجنيهات الذهبية ورق نقد سورى للدائنين . فكانت النتيجة ان ربح البنك الاجنبي وخسر الشعب السوري

٢ صرحوا للبنك باصدار الورق السورى بلا قيد ولا شرط فأصدر ٢٥٠٠٠٠٠٠ ليرا مضمونة بـ ٨٠٠٠٠ ذهباً أي ليرا واحدة ذهباً لكل ٣٠٠ ليرا سورية

٣ وضعوا القانون الاساسي اللبناني الذى جعل لبنان فى مستوى

المستعمرات .

٥ حصروا مقاولات المشروعات في شركة فرنسية لا تخفى مطامعها ليفوزوا برضا « لوشار وشركاه »

٦ أبقوا شركة الريجي التي ألغيت في الولايات العثمانية وفلسطين وشرقي الاردن .

٧ عقدوا اتفاقات مع الحكومات المجاورة من غير أن يستشيروا السوريين واللبنانيين

٨ حصروا السلطة بأيديهم غير مبالين بعواطف الشعب وارادته واستخدموا الحاكم المباشر في لبنان

٩ أوجدوا جيشاً من الموظفين (الفرنسيين) أثقلت كواهل الشعب (السوري) رواتبهم

١٠ أحيوا الامتيازات الاجنبية

ثم ليس السوريون واللبنانيون والفرنسيون فقط صرحوا بخطيئاتكم في سورية . بل أكبر موظفيكم في البلاد اعترف بها وهذا هو نص كلامه . قال الجنرال فندبرغ حاكم لبنان الكبير : —

ان الرجال الرسميين الذين سبقوني وسبقوا الجنرال « ويغان ارتكبوا خطيئات جمة »

وأنا أقول ان فندبرغ وويغان وساراي لم يكونوا أقل خطيئات ولا أخف مساوي ممن سبقوهم . فاصبح الفرنسيون في سورية محكوماً عليهم من أنفسهم .

وسأبين ذلك في المجلد الثاني والثالث والرابع

حنا خباز

ملحق

هذه تسعة أسباب يا فخامة المفوض السامي هي بعض ما ارتكبته فرنسا من الخطيئات في سياستها الاستعمارية شرقي المتوسط . ولا يغرب عن فطنتكم أني لم آخذ على عاتقي تعداد كل هذه الاسباب ، بل اقتصرت على ذكر البعض فقط ، وذلك اراه كافياً لازالة تعجبكم من اقدام سورية على محاربتكم . بل ان سبباً واحداً منها يكفي كالسبب الثامن مثلا ، أي تعرضكم للمسلمين في دينهم ، ومحاولتكم ارغامهم على انتخاب من تريده فرنسا ليكون خليفة لهم . فلو ان كاتباً امريكياً أو المانياً كتب في احدى مجلات اليوم ان فرنسا تعرضت للمسلمين في أمر انتخاب خليفة لهم ، وأمرتهم أن ينقضوا بيعتهم الملك حسين بن علي ملك الحجاز ، ويبايعوا شخصاً آخر غيره فثار المسلمون في سورية على فرنسا ، وساعدهم اخوانهم في فلسطين والعراق والحجاز » أقول . لو كتب الكتاب هكذا . افكان أحد في الارض يتعجب من قيام السوريين لمناوأة فرنسا ؟ . كلا . فما لي أراك تتعجب من ثورة السوريين وليس تعرضكم للمسلمين في أمور دينهم إلا واحداً من تسعة أسباب ذكرتها واغفلت غيرها . وكل ذلك يختص بسياسة فرنسا الاستعمارية في الشرق . وهو فرع واحد من أربعة فروع هي بيانات وايضاحات لازالة تعجب فخامتكم . فحق لي ان اتوقع من فخامتكم استبدال تعجبكم من قيام السوريين على فرنسا بتعجبكم من محاولة

رنسا سياسة السوريين . على لا يباس به زنوج مسدغشقر واشنتى وصفر طونكين

هذا ولا أزال في اول معارج التأليف فكم بالحري اذا تصفحتم الجزء الثاني وهو « خطيئات المأمورين الفرنسيين في سورية » التى اصلت جذوة الحرب . والجزء الثالث وهو الخطيئـات العسكرية . والرابع هو « معاملة فرنسا أحبابها » .

وسأوافيك يا فخامة المفوض بكل ذلك ان شاء الله . لا رأيك وأري قومك معك أن سورية لم تكن جانية عليكم بقيامها ضدكم بل انتم الجانون عليها لانكم هتكتم اسناد . المروءة والانصاف . وسجلتم على أنفسكم العار الابدي .

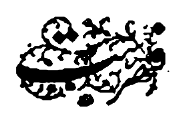


خطأ	صفحة	سطر	صواب
الدرو	٧	١٠	الدروز
نطالكم	١٦	١٤	نطاحكم
أقول	١٧	١	وأقول
١٣٠٠٠٠	٥١	٢	١٢٠٠٠٠
اندمحت	٦٦	٢	اندمجت
ناقشها على	٦٨	٥	أناقشها تخلى
١٩٢٥	٧٠	١	١٩١٥
الجهة	٧٤	٢٠	الجبهة
اربع	٨٩	٧	ربع
اجراءتها	٩٢	٢٠	اجراءاتها
استغلال برها	٩٧	١٩	استغلال غيرها
عق	١٠٣	٣	عن
الخبر	١٠٧	٤	الخبز
بالبنكوت	١٢٧	٢١	بالبنكنوت
ياربس	١٢٩	١٢	باريس
المواع	١٣٥	٢٢	الهواء
ترقة	١٣٦	٩	ترقية
الفانحون	١٣٩	٥	الفاتحين
الثار	١٤٨	٣	الثأر

خطأ	صفحة	سطر	صواب
تجنى	١٤٨	١٤	نجن
رامة	١٥٤	٩	كرامة
بعشه	١٥٩	١٩	بعشائريين

اكتفي بهذا القدر تاركا اصلاح باقي الخطيئات لفطنة القارىء





المجلد الاول من سلسلة الخباز (فرنسا وسورية)